المورد العذب الزلال

فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية

من العقائد والأعمال

تأليف الشيخ

أحمد بن يحيى النجمي

بسم الله الرحمن الرحيم .

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ان لاإله إلا الله وأشهد ان محمداً عبده ورسوله . أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

ولقد سرنا كثيراً ما رأينا من الصحوة الإسلامية التي ما كنا نتوقعها إذ أقبل كثير من الشباب على الله تائبين واتجهوا إليه منيبين وقرعوا أبواب الخير مخلصين فذكرت حين رأيت ذلك قول النبي ﷺ **«إن الله ليغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم بطاعته»**(١)

فقد طمعنا أن الله ينصر بهم دينه ويعلي بهم كلمته وينشر بهم الإسلام في ربوع الأرض لكن هذا الطمع سرعان ما تبدد حينما رأيناهم قد تفرقوا شيعاً وأحزاباً يكيد بعضهم لبعض وينال بعضهم من بعض ويبغض بعضهم بعضاً .

قد قنع كل حزب بما لديه وظن أن الحق محصور فيما هو عليه فتذكرت أن الشيطان الذي آلى على نفسه -أن لايزال يغوي بني آدم ما دامت أرواحهم في أجسادهم والذي نذر عداوتهم واضلالهم حين قال **﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾** (٢) .

قد أدخل في هذه الصحوة ما يضمن له فيهم الشقاق ويفرق الكلمة ويخلط الحق بالباطل والسنة بالبدعة وربما خلط التوحيد بالشرك . فيكون ذلك مقبولاً وإن خالف العقيدة ومستحسناً وإن ناقض الإسلام لأنه جاء من علماء يحسن بهم الظن وتضفى عليهم القداسة فكل ما جاءوا به فهو حسن إذ لايتصور في نظر التابعين أن يخالفوا الإسلام وهم يدعون إليه وان يحصل منهم الهدم وهم يريدون البناء بل قد يصل بهم أو ببعضهم الظن أنهم لايخطئون وبذلك يقعون في فخاخ الشيطان باتخاذهم لمتبوعيهم أرباباً من دون الله فيطيعونهم في معصية الله ويمشون على

---

١) أخرجه الإمام أحمد في المسند وأخرجه الساعاتي في ترتيب المسند جـ٢٣ صـ ١٠٩ وأخرجه ابن ماجة في المقدمة والألباني في صحيح ابن ماجه وقال حسن لايزال الله عزوجل يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته .. وأخرجه في الصحيحه رقم ٢٤٤٢ .

٢) سورة ص الآية ٨٣،٨٢ .

النهج الذي رسموه لهم وإن خالف نهج رسول الله ﷺ ويلتزمون بما ألزموهم به وإن كان فيه إسخاط لله تعالى فلما رأيت ذلك فيهم قد شاع وانهم تفرقوا شيعاً وأحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون ومع جماعة حزبهم متعاطفون قد جعلوا ذلك الحزب هو الرابطة التي بها يتناصرون وعليها يجتمعون ومن أجلها يتحابون ويتوادون . ينشرون ماجاء من قادتهم وإن كان يحوى الباطل ويزدرون ماجاء من غير متبوعيهم وإن كان يحمل الحق من وجه إلى أحد من متبوعيهم نقداً عادوه وإن كان النقد في البدع والشركيات وزهدوا في كتابه وإن دلهم على مواضع النقد في الكتب التي حوته والصفحات وعادوا حتى من وزعه ونشره وإن كان ممن له عليهم منة وفضلاً واتهموه بالغباء والجهل وإن كان مثل إياس ذكاءً ونبلاً .

فلما رأيت الداء فيهم قد فشا والباطل قد راج عندهم ومشى أحببت أن أكتب لهم تذكيراً لعل الله به ينفع ولولم أحصل إلا على براءة الذمة لم أيأس ولم أجزع والله أسئل أن يجعل عملي لوجهه خالصاً ولنهج رسوله صلى الله عليه وسلم موافقاً وقد رأيت أن أجعله في ثلاثة عشر باباً وخاتمة .

أسأل

الباب الأول : في الحكمة التي خلق الله الناس من أجلها .
الباب الثاني : في بيان العبادة التي أوجد الله الخلق من أجلها .
الباب الثالث : أن الرسل هم الأدلاء على الله تعالى .
الباب الرابع : في ضمانة النجاة .
الباب الخامس : في بيان منهج الرسل في دعوتهم إلى الله .
الباب السادس : في بيان أن الإنحراف عن نهج الرسل ترك للصراط المستقيم الذي أمر الله باتباعه .
الباب السابع : في بيان أن الحزبية ليست من نهج الأنبياء بل هي بدعة .
الباب الثامن : في بيان مساوئ الحزبية .
الباب التاسع : في بيان ما انتقد على الإخوان المسلمين .
الباب العاشر : في بيان ما انتقد على جماعة التبليغ .
الباب الحادي عشر : في بيان وجوب السير على منهج النبي ﷺ في الدعوة الى الله وغيرها .
الباب الثاني عشر : في ذم البدع والمبتدعين .
الباب الثالث : عشر في بيان ثواب من تمسك بالسنة .
الخاتمة : وبها يتم الكتاب إن شاء الله تعالى .

الباب الأول : في بيان الحكمة في خلق الجن والإنس وخلق الكون كله

سؤال يطرح نفسه على العقول ويطلب الاجابة عليه دائماً فما هو هذا السؤال وما هي الاجابة عليه .

السؤال هو لماذا خلق الله الانسان ماهي الحكمة من خلقه وما هي الغاية التي يسعى إليها والنهاية التي سيصل إليها .

والجواب هذا السؤال قد ضلت في الإجابة عليه العقول وتحيرت فيه الفهوم وتخطبت فيه مدارك الفلاسفة والحكماء والعلماء والعباقرة من ذوي الفهم الثاقب والذكاء الخارق فضلاً عن غوغاء الناس . لايستثنى من ذلك إلا العقول التي استنارت بوحي الله واهتدت بهداه واتبعت رسله فهي التي عرفت الإجابة عن هذا السؤال بالتلقي عن الله وعن رسله ومن هنا نعلم علم اليقين أن العقل لايمكن أن ينفرد بعلم العقيدة لأنه علم يرتبط بالغيبيات والغيبيات اذا نطق فيها العقل بعيداً عن الوحي ضل وتاه وارتبك وتخبط تخبطاً عجيباً وتصور تصوراً غريباً (١) ذلك لأن العقل ماهو إلا أداة لتصور المعلومات التي تصل إليه من طريق الحواس ومتى تجاوز ما يحيط به في الأرض وقع في متاهات كبيرة وانحدر الى مزالق خطيرة قال تعالى **﴿أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به بين الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾** (٢) نعم بإمكان العقل أن يستدل من خلال مشاهداته ومسموعاته أن ربه وخالقه ورازقه هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . ذو القدرة العظيمة والحكمة البالغة والعلم الشامل والألطاف الخفية قال تعالى **﴿أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون . أولم يرو أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون﴾** (٣) .

واذا علمت أن العقل عاجز عن الإستقلال بمعرفة الحكمة التي من أجلها خلق الإنسان فعليك أن تتعرف على الحكمة التي من أجلها خلق الانسان من كتاب الله الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

---

١) إن من يقرأ في كتب الملل والنحل يرى أموراً غريبة وتصورات عجيبة تثير الاستغراب ويستبعد الانسان أن يصدقها العقل .

٢) (٢) سورة الأنعام آية ١٢٢ .

٣) سورة السجدة آية ٢٦، ٢٧ .

فقد بين الله تعالى في القرآن الكريم الذي قال عنه منزله جل وعلا ﴿**مافرطنا في الكتاب من شيء**﴾ (١) حكماً وأحكاماً أقل شأناً من هذا الأمر العظيم كيف لا وهو أهم المهمات وأعظم الواجبات إذاً فالحكمة التي خلق الله الإنسان من أجلها هي العبادة قال تعالى ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ (٢) فقد أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه خلق الجن والإنس للعبادة فالعبادة هي الحكمة التي من أجلها خلقوا ومن أجلها خلق الله السموات والأرض والدنيا والآخرة والجنة والنار ومن أجلها أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وسن الأحكام وبين الحلال والحرام ليبلوكم أيكم أحسن عملا قال تعالى ﴿**الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور**﴾ (٣) وذلك أن الله خلق عباده وأخرجهم لهذه الدار وأخبرهم أنهم سينتقلون الى دار أخرى وأمرهم ونهاهم وابتلاهم بالشهوات المعارضة لأمره ونهيه فمن انقاد لأمر الله أحسن الله له الجزاء في الدار الآخرة ومن مال مع شهوات النفس ونبذ أمر الله وارتكب نهيه فله شر الجزاء (٤) .

فالعباد جميعاً خلقوا للعبادة ولكن لما كان منهم من خلق للعبادة من دون ابتلاء بمضاد كالملائكة فهذا القسم صارت العبادة سجية لهم لايريدون غيرها قال تعالى عنهم ﴿**وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون**﴾ (٥) ومنهم من خلق للعبادة مع ابتلاء بمضاد كالجن والإنس الذين جبلوا على خلائق وسجايا تنأى بهم غالباً عن الطاعة وتوقعهم في المعاصي ابتلاء من الله لهم وذلك كالإبتلاء بالشهوات شهوة المطعم وشهوة المشرب وشهوة المنكح وشهوة القهر والتغلب والاستعلاء الى غير ذلك . وكما ابتلاهم بقرناء السوء وبالشبه التي تلقي في قلوبهم الشكوك لأن إيمانهم بالغيب . وفوق ذلك الإبتلاء بالشيطان الرجيم ذلك العدو اللدود المتربص الذي ما زال منذ أن أخرج أبانا آدم من الجنة حريصاً على إغواء بنيه وإيقاعهم في

---

١) سورة الأنعام آية ٣٨ .

٢) سورة الذاريات آية ٥٦ .

٣) سورة الملك آية ٢ .

٤) تفسير السعدي ٧/٤٢٩ بتصرف .

٥) سورة الأنبياء آية ٢٦،٢٧ ، ٢٨ .

الكفر والشرك والفسوق والعصيان لذلك كانت العبادة في حقهم ابتلاء واختباراً للدواعي المضادة لها فمن استحاب لتلك الدواعي والنوازع وأطاع الشيطان كان من الغاوين الذين يستحقون دخول النار كما قال تعالى **﴿قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾** (١) أما من قدم طاعة الله وحرص على رضاه

واتبع رسله والتمس حل الشبهات من شرعه واستعمل الشهوة فيما أباح الله فذلك هو المؤمن حقاً الموعود بالدرجات العلى في جنة الفردوس .

وأما الغاية التي يسعى لها فهي تختلف باختلاف الناس وثقافاتهم وعقائدهم فمنهم من عرف ربه وعرف حقه عليه وآمن بلقائه وعلم قدر الدنيا وأنها ماهي إلا معبر ومنفذ ومطية الى الآخرة فأخذ منها ما يصلحه وتزود منها ما يوصله الى رضى ربه وجنته وتلك هي الغاية التي يسعى لها . ومنهم من جهل ذلك ولم يعرف ربه ولم يؤد حقه ولم يؤمن بلقائه بل ظن أن الدنيا وحياتها ولذاتها هي الغاية فسعى لها ورضي بها واطمأن إليها وشمر في جمعها وأفنى عمره في لذاتها وتلك هي غايته التي يسعى إليها ولقد تحدث القرآن الكريم عن القسمين وبين حال كل من الفريقين فقال تعالى وهو أصدق القائلين **﴿إن الذين لايرجون لقائنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون ، أولائك مأواهم النار بما كانوا يكسبون﴾**.

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحتيهم فيها سلام ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ (٢) .

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسير هذه الآيات **﴿إن الذين لايرجون لقائنا﴾** ، أي لايطمعون بلقاء الله الذي هو أكبر ما طمع فيه الطامعون وأعلى ما أمله المؤملون بل أعرضوا عن ذلك وربما كذبوا به . **﴿ورضوا بالحياة الدنيا﴾** بدلاً عن الآخرة **﴿واطمأنوا بها﴾** أي ركنوا إليها وجعلوها غاية أمرهم ونهاية قصدهم فسعوا لها وانكبوا على شهواتها بأي طريق حصلت حصلوها ومن أي وجه لاحت ابتدروها قد صرفوا إراداتهم ونياتهم وأفكارهم وأعمالهم إليها .

فكأنهم خلقوا للبقاء فيها وكأنها ليست بدار ممر يتزود فيها المسافرون إلى

---

١) سورة ص الآيات ٨٤، ٨٥ .

٢) سورة يونس الآيات ٧، ٨، ٩، ١٠ .

الدار الباقية التي اليها يرحل الأولون والآخرون وإلى نعيمها ولذاتها شمر الموفقون ﴿والذين هم عن آياتنا غافلون﴾ . فلا ينتفعون بالآيات القرآنية ولا بالآيات الآفاقية والنفسية . والإعراض عن الدليل مستلزم للإعراض والغفلة عن المدلول المقصود ﴿أولائك﴾ الذين هذا وصفهم ﴿مأواهم النار﴾ أي مقرهم ومسكنهم التي لايرحلون عنها ﴿بما كانوا يكسبون﴾ من الكفر والشرك والمعاصي . فلما ذكر عقابهم ذكر ثواب المطيعين فقال ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي جمعوا بين الايمان والقيام بموجبه ومقتضاه من الأعمال الصالحة المشتملة على أعمال القلوب وأعمال الجوارح على وجه الإخلاص والمتابعة ويهديهم ربهم بإيمانهم) بسبب ما معهم من الايمان يثيبهم الله أعظم الثواب وهو الهداية فيعلمهم ما ينفعهم ويمن عليهم بالأعمال الناشئة عن الهداية ويهديهم للنظر في آياته ويهديهم في هذه الدار الى الصراط المستقيم وفي دار الجزاء الى الصراط الموصل الى جنات النعيم ولهذا قال ﴿تجري من تحتهم الأنهار﴾ الجارية على الدوام ﴿في جنات النعيم﴾ أضافها الله الى النعيم لاشتمالها على النعيم التام ، نعيم القلب بالفرح والسرور والبهجة والحبور ورؤية الرحمن وسماع كلامه والاغتباط برضاه وقربه ولقاء الأحبة والإخوان والتمتع بالإجتماع بهم وسماع الأصوات المطربات والنغمات المشجيات والنظرات المفرحات ونعيم البدن بأنواع المآكل والمشارب والمناكح ونحو ذلك مما لاتعلمه النفوس ولا خطر ببال أحد أو قدر أن يصفه الواصفون .

﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم﴾ أي عبادتهم فيها لله أولها تسبيح وتنزيه له عن النقائص وآخرها تحميد لله فالتكاليف سقطت عنهم في دار الجزاء وإنما بقي لهم أكمل اللذات الذي هو ألذ عليهم من المآكل اللذيذة ألا وهو ذكر الله الذي تطمئن به القلوب وتفرح به الأورواح وهو لهم بمنزلة النفس من دون كلفة ومشقة أما تحيتهم فيها فيما بينهم عند التلاقي والتزاور فهو السلام كلام سالم من اللغو والإثم وموصوف بأنه سلام ﴿وآخر دعواهم﴾ اذا فرغوا ﴿أن الحمد لله رب العالمين﴾ (١) أهـ .

وقد تبين من هذا أن المقاصد التي يسعى لها العباد مختلفة بحسب مافي قلوبهم من العلم والجهل والايمان والكفر والتصديق والتكذيب . فالمؤمن الخالص يسعى للآخرة فقط فهو وإن باشر الدنيا ببدنه وحرص عليها بقلبه فإنه لايريدها إلا للآخرة كقوله تعالى ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن

---

١) ٣ /٣٢٨/ ٣٣٢من تفسير السعدي .

فأولائك كان سعيهم مشكوراً﴾ (١) والكافر الخالص يسعى للدنيا فقط لأنه لايؤمن إلا بها ولا يركن إلا إليها قال تعالى **﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً﴾** (٢) والمسلم العاصي بين ذلك وهو لما غلب عليه .

وأما النهاية التي سيصل إليها فهي الدار الآخرة إما في الجنة أبداً وإما في النار أبداً قال تعالى **﴿يا أيها الإنسان انك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه . فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعوا ثبوراً ويصلى سعيراً﴾** (٣) .

---

١) (٢) سورة الإسراء آية ١٩ .

٢) سورة الإسراء آية ١٨ .

٣) سورة الإنشقاق الآيات من ٦-١٢.

الباب الثاني : في بيان العبادة التي أوجد الله الجن والإنس من أجلها

أما العبادة التي من أجلها خلق الله العباد فقد بينها الله عزوجل في القرآن الكريم وبينها رسول الله ﷺ أحسن بيان . وهي مجموعة التكاليف الشرعية التي كلف الله بها عباده سواء كان ذلك فيما يجب له عليهم أو فيما يجب لبعضهم على بعض أو فيما يجب عليهم أن يفعلوه في أنفسهم كإعفاء اللحية وقص الشارب وتحريم الإسبال وتحريم أكل الربا وأكل الميتة وتحريم شرب الخمر وما أشبه ذلك .

وقد عرف بعض أهل العلم العبادة فقال العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة . وقال بعضهم العبادة عبارة عن توحيده وإلتزام شرائع دينه .

وقال بعضهم هي الطاعة والتعبد التنسك وأصل العبادة الخضوع والتذلل مع محبة وتعظيم ، ولا تكون العبادة عبادة حتى تكون خالصة لله ، فإن شابها شيئ من الشرك كانت مردودة على صاحبها وباطلة من أصلها لأنها حينئذ لاتسمى عبادة شرعية وبهذا تعلم أن العبادة لاتسمى عبادة شرعية إلا مع التوحيد وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى « أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه» (١)

ثم اعلم أن من العبادة ماجاء مجملاً في القرآن وبينته السنة كالصلاة والزكاة . فالسنة بينت أوقات الصلاة وعددها وركوعها وسجودها وذكر كل من القيام والقعود والركوع والسجود والإعتدال والتحريم والتحليل والفرض والنفل والزكاة قد بينت السنة انصبائها ومقاديرها وأجناس ما تجب فيه ومتى يجب وكيف يجب . ومنه ما بينه القرآن أعظم بيان كالتوحيد فقد بين القرآن قضية التوحيد أعظم بيان فالأدلة على اثبات ألوهية الله وكمال قدرته وذكر أسمائه الحسنى وصفاته العليا المقتضية لتفرده بالكمال دون سواه وضعف الآلهة المعبودة وعجزها الى غير ذلك كلها أدلة على التوحيد .

ومن أنواع العبادة ما بينته السنة ولم يذكر في القرآن كقوله ﷺ (ألا لا يحل ذو ناب من السباع ولا الحمار الأهلي ولا اللقطة من مال معاهد إلا أن

---

١) أخرجه مسلم في الزهد رقم ٢٤٠٦/٢٤٠٧ رقم الباب عن أبي هريرة .

يستغني عنها ربها وأيما رجل ضاف قوماً فلم يقروه فإن له أن يعقبهم بمثل قرآه) (١) .

وبالجملة فإن أنواع العبادة منها ما بينه القرآن ومنها ما ذكره القرآن مجملاً وبينته السنة ومنها ما بينته السنة فلا يجوز أن نأخذ العبادة من القرآن وحده ولا من السنة وحدها . فمن أخذ بالقرآن وحده دون السنة كالخوارج ضل ومن أخذ بالقرآن ومتواتر السنة وترك آحادها أوحكم العقل فيها كالمعتزلة ضل ومذهب أهل السنة والجماعة الأخذ بكتاب الله وبصحيح سنة رسول الله ﷺ سواء كانت متواترة أو آحاداً ولما كانت العبادة هي مجموعة الأوامر والنواهي من واجبات ومندوبات ومحرمات ومكروهات ومباحات كانت لابد أن تكون مرتبطة بالإستطاعة وبالأخص فعل الأوامر فالله تعالى يقول ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ (٢) ويقول ﴿لايكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ (٣) والنبي ﷺ يقول لعمران ابن حصين صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب (٤) أما التروك وهي المنهيات فلكون الترك لا يشق لذلك فإنه يجب على المسلم أن يجتنبها جميعاً كما جاء في الحديث الصحيح «ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه» (٥) .

---

١) صحيح سنن أبي داود ٣٢٢٩ .

٢) سورة التغابن ١٦ .

٣) سورة البقرة الآية ٢٨٦ .

٤) أخرجه البخاري باب إذا لم يطق قاعداً صلى على جنب من آخر تقصير الصلاة رقم ١١١٧ وأبو داود باب الصلاة القاعد رقم الحديث ٩٥٢ .

٥) خرجه البخاري في الإعتصام باب الإقتداء بسنن رسول الله ﷺ ومسلم ١٣٣٧ في الحج باب فرض الحج مرة والترمذي في العلم باب الإنتهاء عما نهى النبي ﷺ والنسائي في الحج باب وجوب الحج مرة.

الباب الثالث : أن الرسل هم الأدلاء على الله عزوجل.

خلق الله آدم في الجنة من قبضة قبضها من الأرض وخلق منه زوجه حواء وأباح له الأكل من جميع أشجار الجنة إلا شجرة واحدة نهاه عنها وحذره من أكلها ولكن لم يكن عدوه إبليس ليتركه وقد لعن وطرد من الجنة بسببه فدلاه بغرور وأقسم له إنه له لمن الناصحين وزعم أن من أكل من الشجرة التي نهاه عنها ربه يخلد فلا يموت ويكون مَلكاً فانساق بالطمع في الخلد وأكلا من تلك الشجرة هو وزوجته فبدت سوآتهما وعلما أنهما قد عصيا ربهما فندما وتابا فتاب الله عليهما وأهبطهما إلى الأرض كما قد أهبط إبليس قبلهما ليتم الإبتلاء على هذه الأرض بعد أن أراهما عداوة إبليس وحرصه على إهلاكهما حين قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين قال تعالى ﴿**فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هُداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ (١)

وقال تعالى ﴿**قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى**﴾ (٢) .

قال ابن كثير في تفسير آيات البقرة يقول تعالى مخبراً عما أنذر به آدم وزوجته وإبليس حين أهبطهم من الجنة والمراد الذرية أنه سينزل الكتب ويبعث الأنبياء والرسل كما قال أبو العالية الهدى الأنبياء والرسل والبينات البيان . وقال مقاتل الهدى محمد ﷺ وقال الحسن الهدى القرآن وهذان قولان صحيحان وقول أبو العالية أعم .

---

١) سورة البقرة من آية ٢٥ - ٢٨ .

٢) سورة طه الآيات ١٢٣-١٢٧ .

﴿فمن اتبع هداي﴾ أقبل على ما أنزلت به الكتب وأرسلت به الرسل ﴿فلا خوف عليهم﴾ فيما يستقبلونه من أمر الآخرة ﴿ولا هم يحزنون﴾ على ما فاتهم من أمور الدنيا كما قال في سورة طه ﴿قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾.

قال ابن عباس فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ كما قال هاهنا ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾. أي مخلدون فيها لامحيد لهم عنها ولا محيص (١) أهـ .

فإن قيل كيف جاء الخطاب في سورة البقرة اهبطوا وفي سورة طه بضمير التثنية اهبطا فالجواب الخطاب في سورة البقرة لآدم وحواء وإبليس وفي سورة طه لآدم وإبليس فقط .

وقال في صفوة الآثار والمفاهيم للشيخ عبد الرحمن الدوسري ٩٥/٢ معلقاً على هذه الآيات في سورة البقرة قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾. وأعظم الإعتبارات في هذه الدور هو أن الإنسان سيد هذه الأرض ومن أجله خلق الله كل شيئ فيها وهو إذا أحسن التصرف في الخلافة الإلاهية باتباعه وحي الله فهو أعز وأكبر وأغلى عند الله من جميع الدنيا وما فيها وقيمته عند الله أعظم فلا يجوز له أن يستعبد نفسه ويستذلها لغاية مادية أو رغبة في شهوة حيوانية يخون بها عهد الله أولاً وينزل بها إلى غاية السقوط وهو لايشعر لما ران على قلبه من ظلمات المادة والشهوة والهوى فدوره في هذه الأرض دور القيادة والتوجيه التي يستلهم أنظمتها من السماء لامن مصدر آخر في الأرض كما قال تعالى ﴿ فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ . أهـ

وقال تعالى ﴿يابني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولائك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾.

فأخبر في هاتين الآيتين أنه سيرسل رسلاً من بني آدم وأن من آمن بهؤلاء

١) تفسير ابن كثير ٨٢/١ .

الرسل نجا من العذاب ومن كذبهم واستكبر عن قبول ما جاءوا به فسيعذبه الله في نار جهنم يبقى فيها خالداً مخلداً وفي كتاب الإمارة من صحيح مسلم عن زيد وهب عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قال دخلت المسجد فإذا عبد الله ابن عمرو جالس في ظل الكعبة والناس مجتمعون عليه فجلست إليه فقال كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلاً فمنا من يصلح خبائه ومنا من ينتضل ومنا من هو في جشره اذ نادى منادي رسول الله ﷺ الصلاة جامعة فاجتمعنا الى رسول الله ﷺ فقال انه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر مايعلمه لهم ، وإن أمتكم هذه جعلت عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها وتجيئ فتنة فيرقق بعضها بعضاً وتجيئ الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف وتجيئ الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر والياْت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى اليه ، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فيطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر الحديث والشاهد منه قوله إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم صحيح مسلم كتاب الإمارة باب رقم ١٠ الحديث رقم ١٨٤٤ .

وفي كتاب الإعتصام من صحيح البخاري كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا ومن يأبى يارسول الله قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى .

وفي المستدرك للحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً لتدخلن الجنة إلا من أبى وشرد على الله كشراد البعير المستدرك كتاب الإيمان صـ ٥٤.

وفيه أيضاً من حديث أبي أمامة رضي الله عنه بنحوه بلفظ كلكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله شراد البعير على أهله وسكت عنه الحاكم والذهبي إلا ان الحاكم اعتبره شاهداً للحديث قبله .

ولما كانت العقول قاصرة عن معرفة مصالحها الدنيوية والأخروية الحاضرة منها والمستقبلة وإن عرفت شيئاً من الأمور الحاضرة فهي لاتعرف عاقبته ومعرفة ذلك إلى الله وحده قال تعالى ﴿**وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون**﴾ والمهم أن العقول وإن زعمت أنها تعرف شيئاً من مصالحها الدنيوية فهي لاتعلم عاقبته أما المصالح الأخروية والمتوقعة في الدنيا فهي لاتعلم عنها شيئاً لذلك فإن الله من رحمته بعباده

أرسل رسلاً يرشدونهم الى المصالح الحاضرة والمستقبلة في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة وينذرونهم من العواقب الوخيمة والمضار الحاضرة والمستقبلة في الدنيا والبرزخ وفي الآخرة فمن أطاع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أحرز مصالح الدنيا والآخرة ودفع عن نفسه مضار الدنيا والآخرة قال تعالى ﴿**والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**﴾.

الباب الرابع : في ضمانة النجاة

أما السبب الأعظم والضمان الاقوى للنجاة من عذاب الله والفوز بجنته فهو طاعة الله ورسوله ﷺ والإستجابة لأمرهما فعلاً وكفا وتصديق خبرهما والايمان بوعدهما ووعيدهما قال تعالى ﴿**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً**﴾ (١) وقال تعالى بعد أن بين المواريث في آيتين فقال ﴿**تلك حدود ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين**﴾ (٢) وقال تعالى ﴿**ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون**﴾ (٣) .

والآيات الآمرة بطاعة الله وطاعة رسله والمبينة لثواب المطيعين لله ولرسله وعقاب العاصين لله ولرسله أكثر من أن تحصر وأشهر من ان تذكر .

وبالجملة فما فاز من فاز ونجا من نجا ونال الدرجات العلى إلا بطاعة الله وطاعة رسله وما هلك من هلك وعذب من عذب إلا بتكذيب الرسل وعصيانهم والتمرد عليهم .

قال تعالى ﴿**ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ ، وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا إن عاداً كفروا ربهم ألا بعداً لعاد قوم هود**﴾ (٤) .

وقال تعالى ﴿**فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعداً لثمود**﴾ (٥) وقال تعالى ﴿**ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم**

---

١) سورة النساء الآية ٦٩ والآية ٧٠ .
٢) سورة النساء الآية ١٣ والآية ١٤ .
٣) سورة النور الآية ٥٢ .
٤) سورة هود آية ٥٨ - ٥٩ .
٥) سورة هود الآية ٦٦-٦٧-٦٨ .

جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود﴾ (١) وقال تعالى ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون ومآأمر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود ، ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد﴾ (٢) وقال تعالى في سورة العنكبوت بعد أن قص الله عزوجل عن نوح وابراهيم ولوطاً وشعيباً قال ﴿وعاداً وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وقارون وفرعون وهامان ولقد جائهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وماكانوا سابقين فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وماكان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ (٣) فما قص الله عزوجل نبأ هذه الأمم وصور إهلاكهم وبين السبب في ذلك وأنه تكذيبهم لرسلهم وعصيانهم لهم وتمردهم عليهم إلا ليتعظ بهم من بعدهم ممن تبلغهم هذه الأخبار ويعلمون أن الخير في طاعة الله ورسوله وأن الشر كله في معصية الله ورسوله وأن الدرجات العلى في الجنة لاتنال إلا بذلك ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم ، قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لايبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» (٤) فهذه هي ضمانة النجاة وهذا هو سبيل الفوز وهذا هو طريق الفلاح اتباع لما جاء في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ الثابتة عنه من غير إلتفات ولا تأرجح ولا استحسان للبدع ولا أخذ بما قال فلان أو فلان قال تعالى ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ (٥) وقال أيضاً ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم

---

١) سورة هود الآية ٩٤/٩٥ .

٢) سورة هود الآيات ٩٦ - ١٠٠ .

٣) سورة العنكبوت الآيات ٣٨-٤٠ .

٤) رواه البخاري في بدء الخلق باب صفة الجنة ومسلم في صفة الجنة باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف وعن سهل بن سعد وأبي هريرة مثله .

٥) سورة الأنعام آية ١٥٣ .

الملائكة أن لاتخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ماتدعون نزلاً من غفور رحيم﴾ (١) . والحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال (كلكم يدخل الجنة إلا من أبى قالوا ومن يأبى يا رسول الله قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى) (٢) فإياك أن تكون ممن قال الله فيهم **﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أظلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً﴾** (٣) . فقول النبي ﷺ وشرعه مقدم على رأي إمام المذهب ورئيس الحزب وشيخ الطريقة وغيرهم قال الله تعالى **﴿ياأيها الذينآمنوا لاتقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم﴾** (٤) وكان سبب نزول هذه الآيات أنه لما جاء وفد تميم قال أبو بكر رضي الله عنه أمره فلاناً وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر فلاناً فتراجعا عند رسول الله ﷺ حتى ارتفعت أصواتهما فأنزل الله آيات من أول سورة الحجرات يؤدب بها عباده أن يتقدموا بين يدي رسوله ﷺ أو يقدموا غيره عليه .

---

١) سورة فصلت الآيات ٣٠-٣٢ .

٢) أخرجه البخاري في كتاب الإعتصام باب الإقتداء بالنبي ﷺ .

٣) سورة الفرقان ٢٧-٢٩ .

٤) سورة الحجرات آية ١ .

الباب الخامس : في بيان منهج الرسل في دعوتهم الى الله عزوجل

لقد بين الله عزوجل منهج الرسل في دعواتهم بينه في القرآن الكريم أحسن بيان وأوضحه فبين أنهم اول مايبدؤون به ثلاثة أمور هي أسس العقيدة وهي :-

أولاً : التوحيد وهو إعطاء العبودية لله الواحد الأحد دون من سواه من الآلهة المصطنعة التي يتخذها الناس ويصرفون لها الدينونة والعبودية معتقدين أنها تنفع وتضر وتمنع وتعطي وتعز وتذل .

الأساس الثاني : المعاد وهو الايمان باليوم الآخر وما يحتوي عليه من حساب وجزاء وجنة ونار وأنواع نعيم الجنة وأنواع عذاب النار .

الأساس الثالث : الايمان بالرسالات السماوية وأن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم هم الأدلاء على الله والمرشدون الى سبيله لا ما خلفه الآباء ولا ما قررته الأعراف ودانت له المجتمعات والأدلة على أن الرسل أول ما يبدؤون في دعواتهم بهذه الأمور الثلاثة ما قصه الله عزوجل علينا في السور المكية من الحوار الذي جرى بين الرسل وأممهم وتقرير القرآن لهذه الأسس والإستدلال عليها بأنواع من الأدلة العقلية والكونية وغير ذلك .

فمن الأدلة على الأساس الأول ومعالجة القرآن له وتقريره إياه وإنكاره على المشركين إتخاذ الآلهة المصطنعة التي لاتستطيع أن تنفع أحداً أو تضره وهي كثيرة قوله تعالى ﴿**واتخذوا من دونه آلهة لايخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً**﴾ (١) وقال أيضاً ﴿**وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيراً**﴾ (٢) وقال في سورة الحج ﴿**يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق**

---

١) سورة الفرقان الآية ٣ .
٢) سورة الفرقان الآية ٥٤/٥٥ .

قدره إن الله لقوي عزيز﴾ (١) وقال تعالى في سورة فاطر ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لايسمعوا دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير﴾ (٢) وقال تعالى ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون إن الله يعلم مايدعون من دونه من شيئ وهو العزيز الحكيم وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ (٣) .

وكما قرر الله عزوجل عجز الآلهة التي يدعوها المشركون وضعفها وعدم قدرتها على شيء وإن قل من نفع من يدعوهم أو ضره وانهم لايملكون شيئاً وإن قل حتى القطمير والفتيل والنقير .

قرر أيضاً أن الرسل ما كلفوا أن يبدؤوا بشيئ غير الدعوة الى التوحيد ومحاربة الشرك قال تعالى ﴿لقد أرسلنا نوحاً الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين قال ياقوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله مالا تعلمون﴾ (٤) وقال عن هود عليه السلام ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين قال ياقوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين﴾ إلى أن قال ﴿قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد أباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وأباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين

---

١) سورة الحج آية ٧٣/٧٤ .
٢) سورة فاطر آية ١٣/١٤ .
٣) سورة العنكبوت الآيات ٤١/٤٢/٤٣
٤) الأعراف آية ٥٩/٦٢.

كذبوا بآياتنا وماكانوا مؤمنين﴾ (١) وقال تعالى عن صالح ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ...﴾ إلى أن قال ﴿فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين فأخذتهم الصيحة فأصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين﴾ (٢) وكذلك قال عن ابراهيم عليه السلام ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين﴾ (٣) وكذلك قال عن شعيب ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشيائهم ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾ إلى أن قال ﴿فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين﴾ (٤) وقال لنبينا محمد ﷺ ﴿قل إني نهيت أن أعبد الذي تدعون من دون الله لما جائني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين ، هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ (٥) .

وقال تعالى في سورة الزمر ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين قل إني اخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل الله أعبد مخلصاً له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين

---

١) سورة الأعراف آية ٦٥-الى ٧٢ .

٢) سورة الأعراف من آية ٧٣ والآيتين ٧٧/٧٨ .

٣) سورة الأنعام آية ٧٥/٧٦ .

٤) سورة الأعراف الآيات ٩١/٩٢/٩٣ .

٥) سورة غافر الآيات ٦٦/٦٧/٦٨ .

الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده ياعباد فاتقون والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولائك الذين هداهم الله وأولائك هم أولوا الألباب﴾ (١) وقال عن عيسى عليه السلام ﴿وقال المسيح يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾ (٢) وقال عن هارون عليه السلام أنه قال لقومه لما عبدوا العجل ﴿ياقوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى﴾ (٣) . وقال عن موسى عليه السلام أنه قال للسامري الذي أخرج لهم العجل الذي عبدوه ﴿قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لامساس وإن لك موعداً لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً إنما إلهكم الله الذي لاإله إلا هو وسع كل شيء علماً﴾ (٤) .

وبالجملة فما بعث الله نبياً ولا رسولاً إلا كان التوحيد أول ما يأمر به ويدعوا إليه قال تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لاإله إلا أنا فاعبدون﴾ (٥) وقال تعالى ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾ (٦) وقال تعالى ﴿ولقد أوحي إليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين وما قدروا الله قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ (٧) .

ولما ذكر الله الأنبياء في سورة الأنعام قال بعد ذلك ﴿ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ماكانوا يعملون﴾ (٨) .

---

١) سورة الزمر من الآية ١١ الى نهاية الاية ١٨ .
٢) سورة المائدة آية ٨٢ .
٣) سورة طه آية ٩٠ - ٩١ .
٤) سورة طه آية ٩٧-٩٨ .
٥) سورة الانبياء آية ٢٥ .
٦) سورة النحل آية ٣٦ .
٧) سورة الزمر آية ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ .
٨) سورة الانعام آية ٨٨ .

وأما الأدلة من السنة ان النبي ﷺ بدأ دعوته بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك بالله تعالى ففي كتب السنة والسيرة النبوية عشرات النصوص التي تدل على أن النبي ﷺ بدأ أول ما بدأ بمحاربة الأوثان وكسرها وهدمها وبيان عجزها وضعفها عن نصرة من عبدها وألهها وانا ذاكر منها ما تيسر في هذه العجالة ليعلم منها سوء صنيع من بنى دعوته على غير هذا الأساس وغض الطرف عمن ناقضه وهدمه ممن تصدوا للدعوة في هذا الزمان زاعماً أن ذلك لايخرجهم من حضيرة الإسلام ماداموا يشهدون أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله ناسين ما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة من النصوص التي لاتحصى والتي تنادي على عملهم بالبوار وعلى صنيعهم بالخسار حيث هدموا من الإسلام الركن الأعظم وضلوا في دعوتهم عن الطريق الأقوم فإنا لله وإنا اليه راجعون .

فمنها حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه الذي رواه مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين عن أبي أمامة قال قال عمرو بن عبسة السلمي كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شيئ وهم يعبدون الأوثان . فسمعت برجل في مكة يخبر أخباراً فقعدت على راحلتي فقدمت عليه فإذا رسول الله ﷺ مستخيفاً جرءاء عليه قومه فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت ما أنت قال أنا نبي فقلت وما نبي قال أرسلني الله فقلت بأي شيئ أرسلك قال أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحّد الله ولا يشرك به شيئ قلت له فمن معك على هذا قال حر وعبد ، (قال ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن معه) فقلت إني متبعك قال إنك لاتستطيع ذلك يومك هذا ألا ترى حالي وحال الناس ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت قد ظهرت فأتني ...) (١) الحديث .

والشاهد في هذا الحديث قوله أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لايشرك به شيئ فأي دعوة لاتقوم على هذا الأساس فهي دعوة باطلة اتخذت طريقاً غير طريق الرسل وسبيلاً غير سبيلهم والله تعالى يقول ﴿**قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني**﴾ (٢)

والبصيرة هي العلم بدعوة الرسل والأسس التي قامت عليها والسير على

---

١) رواه مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين باب إسلام عمر وبن عبسه رقم الحديث ٨٣٢ .

٢) سورة يوسف آية ١٠٨ .

نهجها كما فعل الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى في دعوته ووكما فعل شيخنا عبدالله بن محمد القرعاوي في دعوته الدليل الثاني أو المثال الثاني الطفيل بن عمرو الدوسي وقد ذكر قصته ابن إسحاق عن إبراهيم عن عثمان بن الحويرث عن صالح بن كيسان أن الطفيل بن عمرو وهذا الإسناد منقطع ورواه ابن عبدالبر في الإستيعاب مختصراً من طريق الكلبي وهو ضعيف وذكر الذهبي في ترجمة الطفيل بن عمرو أن يحيى ابن سعيد الأموي أخرجه في مغازيه من طريق الكلبي عن أبي صالح أن الطفيل وهذا السند أيضاً ضعيف لضعف الكلبي وشيخه أبي صالح باذان ولبعض هذه القصة شواهد في الصحيحين ومسند الإمام أحمد وقد ذكر هذه الرواية الإمام النقاد الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء

ولم يردها بل ذكرها مقراً لها وكذلك أيضاً ذكرها ابن كثير في ترجمة الطفيل بن عمرو والقصة هي أن الطفيل بن عمرو قال كنت رجلاً شاعراً سيداً في قومي فقدمت مكة فمشيت إلى رجالات من قريش فقالوا إنك امرؤ شاعر سيد وإنا قد خشينا أن يلقاك هذا الرجل فيصيبك ببعض حديثه فإنما حديثه كالسحر فاحذره أن يدخل عليك وعلى قومك ما أدخل علينا فإنه يفرق بين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وابنه فوالله مازالوا يحدثوني شأنه وينهوني أن أسمع منه حتى قلت والله لا أدخل الى المسجد إلا وأنا سادّ أذنيَّ قال فعمدت الى أذني فحشوتهما كرسفاً ثم غدوت إلى المسجد فاذا برسول الله ﷺ قائم في المسجد فقمت قريباً منه فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله فقلت في نفسي والله إن هذا للعجز وإني امرء ثبت ما تخفى علي الأمور حسنها من قبيحها والله لأسمعن منه فإن كان أمره رشداً أخذت منه وإلا اجتنبته فنزعت الكرسفة فلم أسمع قط كلاماً أحسن من كلام يتكلم به فقلت ياسبحان الله ما سمعت كاليوم لفظاً أحسن ولا أجمل منه فلما انصرف تبعته فدخلت معه بيته فقلت يا محمد إن قومك جاءوني فقالوا لي كذا وكذا فأخبرته بما قالوا ، وقد أبى الله إلا أن أسمعني منك ما تقول وقد وقع في نفسي أنه حق فاعرض علي دينك فعرض علي الإسلام فأسلمت ثم قلت إني أرجع إلى دوس وأنا فيهم مطاع وأدعوهم إلى الإسلام لعل الله أن يهديهم فادع الله أن يجعل لي آية فقال اللهم اجعل له آية تعينه ، فخرجت حتى أشرفت على ثنية قومي وأبي هناك شيخ كبير وإمرأتي وولدي فلما علوت الثنية وضع الله بين عيني نوراً كالشهاب يتراءاه الحاضر في ظلمة الليل وأنا منهبط من الثنية فقلت اللهم في غير وجهي فإني أخشى أن يظنوا أنها مثلة لفراق

دينهم.فتحول فوقع في رأس سوطي فلقد رأيتني أسير على بعيري إليهم وأنه على رأس سوطي كأنه قنديل معلق قال فأتاني أبي فقلت له إليك عني فلست منك ولست مني قال وما ذاك قلت إني أسلمت واتبعت دين محمد قال أي بني ديني دينك وكذلك أمي فأسلما ثم دعوت دوساً إلى الإسلام فأبت علي وتعاصت ثم قدمت على رسول الله ﷺ فقلت غلب على دوس الزنى والربا فادع الله عليهم فقال اللهم اهد دوساً ثم رجعت إليهم وهاجر رسول الله ﷺ فأقمت بين ظهرانيهم أدعوهم الى الإسلام حتى استجاب منهم من استجاب وسبقني بدر وأحد والخندق ثم قدمت بثمانين أو تسعين أهل بيت من دوس فكنت مع النبي ﷺ حتى فتح مكة فقلت يا رسول الله ابعثني إلى ذي الكفين صنم عمرو بن حممة حتى أحرقه قال أجل فاخرج إليه فأتيت فجعلت أوقد عليه النار ثم قدمت على رسول الله ﷺ فأقمت معه حتى قبض ثم خرجت إلى بعث مسيلمة ومعي ابني عمرو حتى اذا كنت ببعض الطريق رأيت رؤيا رأيت كأن رأسي حلق وخرج من فمي طائر وكأن إمرأة أدخلتني في فرجها وكأن ابني يطلبني طلباً حثيثاً فحيل بيني وبينه فحدثت بها قومي فقالوا خيراً فقلت أما أنا فقد أولتها أما حلق رأسي فقطعه وأما الطائر فروحي والمرأة الأرض أدفن فيها فقد روعت أن أقتل شهيداً ، وأما طلب ابني إياي فما أراه إلا سيعذر في طلب الشهادة ولا أراه يلحق في سفره هذا قال فقتل الطفيل يوم اليمامة وجرح ابنه ثم قتل يوم اليرموك(١) أهـ.

ومنها قصة بلال وأنه كان يعذب ويقال له إلهك اللات والعزى فيقول أحد أحد فبلغ أبا بكر فأتاهم فقال علام تقتلونه فإنه غير مطيعكم قالوا اشتره فاشتراه بسبع أواق فأعتقه (٢) .

ومنها قصة عمرو بن الجموح وهو أنه لما فشا الإسلام في الأنصار بعد قدوم مصعب بن عمير وابن أم مكتوم إليهم فأسلم شباب من الأنصار ومنهم معاذ بن جبل ومعاذ بن عمرو بن الجموح وكان عمرو بن الجموح شيخاً كبيراً باقياً على دينه فتركوه حتى نام وأخذوا صنمه وألقوه في حفرة العذرة فذهب يبحث عنه فلما أصبح افتقده فذهب يبحث عنه فوجده في حفرة العذرة فأخذه وغسله وطيبه ورده في مكانه وفي الليلة الثانية أخذوه وألقوه في حفرة العذرة فوجده ملطخاً بالقذر فغسله وطيبه ورده في مكانه ثم علق السيف فيه وقال له لو أعلم الذي صنع بك هذا

---

١) سير اعلام النبلاء ٣٤٤/١ .

٢) سير أعلام النبلاء عن هشام بن عروة عن ابن سيرين ٣٥٢/١ .

لفعلت وفعلت ولكن هذا السيف فإذا أراد أحد أن يأخذك فقاتله فتركوه حتى نام فأخذوه فقرنوه بجيفة كلب ثم ألقوه في حفرة القذر فلما رآه قال :

والله لو كنت إلهاً لم تكن	أنت وكلب وسط بئر في قرن
أف لملقاك إلهاً مستدن	الآن فتشناك عن سوء الغبن
الحمد لله العلي ذي المنن	الواهب الرزاق ديان الدين
هو الذي أنقذني من قبل أن	أكون في ظلمة قبر مرتهن (١)

وبالجملة فإن عشرات النصوص بل مئات النصوص موجودة في بطون الكتب من تفسير وحديث وسير تدل على أن النبي ﷺ لم يبدأ في دعوته بغير التوحيد ومحاربة الشرك والنصوص الدالة على ذلك من الكتاب والسنة أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر فأيما داع دعا قوماً إلى الله فبدأ بغير التوحيد مع أن الشرك فيهم فاش والأضرحة التي هي بمنزلة اللات والعزى لديهم موجودة والناس لها قاصدون وعليها مترددون بها يتطوفون ويتمسحون وبأسماء أصحابها في الصباح والمساء يهتفون ويلهجون ولهم من دون الله يدعون وإليهم عند الشدائد يفزعون ويلجئون ولتلك الأضرحة ينذرون وعلى أسمائهم يذبحون معتقدين أنهم يعطون ويمنعون ويغنون إذا شاؤا ويفقرون إن من دعا قوماً هذه حالهم فسكت عن شركهم سكوت المقر ودعا الى غير التوحيد الذي هو مقتضى شهادة أن لاإله إلا الله فإنه قد خالف الرسل كلهم من أولهم نوح عليه السلام إلى آخرهم محمد ﷺ واتخذ سبيلاً غير سبيلهم ومنهجاً غير منهجهم بل قد خالف قول الله تعالى **﴿قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة انا ومن اتبعني﴾** (٢) وأولى به أن يوفر على نفسه الجهد والعناء لأن كل ماكان على غير منهج الرسل فهو مردود غير مقبول قال ﷺ (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) (٣) .

---

١) البداية والنهاية لابن كثير ١٦٣/٣ بمعنى القصة ولفظ الشعر

٢) سورة يوسف آية ١٠٨ .

٣) لعل قائلاً يقول أن الداعي المشار إليه قد حارب الحكم بغير ماأنزل الله وهو من شرك التحكيم فالجواب أولاً أن هذا خلاف طريقة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم فقد تقدم لنا أنه مامن نبي يبعث إلى قومه إلا ويدعوا قومه أول ما يدعوهم الى عبادة الله وحده . ثانياً أنه مامن نبي يبعث إلى قوم إلا وعند قومه من العادات والأعراف التي يتحاكمون إليها ويرضون بحكمها ويسيرون أمورهم عليها ماعندهم ولم يؤمر أحد من الرسل أن يزيل تلك الأعراف ويترك الأوثان التي يعبدونها من دون الله بل أمروا بالدعوة إلى عبادة الله وحده ونبذ عبادة الأوثان والأنداد سواءً كانت قبوراً أو أصناماً أو أشخاصاً أو غير ذلك قال تعالى ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آبائنا لها

أما الأساس الثاني وهو تقرير المعاد فقد قرره بطرق متعددة و أساليب مختلفة فتاره يذكر الله عزوجل إنكار الكفار للمعاد ثم يرد عليهم مثبتاً للمعاد ومؤكداً له بالقسم وغيره من المؤكدات كقوله تعالى ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبئن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾ (١) وقوله ﴿وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لايعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولائك لهم مغفرة ورزق كريم﴾ (٢) .

وتارة ببيان القدرة على ماهو أعظم كقوله تعالى ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لايعلمون وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيئ قليلاً ما تتذكرون إن الساعة لآتية لاريب فيها ولكن أكثر الناس لايؤمنون﴾ (٣) .

وتارة بالتنبيه على الخلق الأول وأنه أصعب من الإعادة كقوله تعالى ﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾ (٤) .

وقوله تعالى ﴿وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ (٥) .

وقوله تعالى ﴿أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنانه﴾ (٦) .

عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ظلال مبين ﴾ وقال ﴿ وعجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيئ عجاب ﴾. ثالثاً : أن تحكيم القوانين والأعراف والعوائد هي نوع واحد من أنواع الشرك ولم يأمر الله عزوجل بأن تخصص الدعوة والإنكار لهذا النوع دون غيره من أنواع الشرك بالله التي هي أشد خطراً منه وأكثر شيوعاً منه .

١) سورة التغابن آية ٧ .
٢) سورة سبأ ٣-٤ .
٣) سورة غافر آية ٥٧-٥٩ .
٤) سورة يس من ٧٧-٧٩ .
٥) سورة الروم آية ٢٧ .
٦) سورة القيامة من ٣-٤ .

وتارة ينبه الله عليه بإحياء الأرض بعد موتها المشاهد للناس في كل مكان وفي كل زمان كما قال تعالى ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحيا ها لمحي الموتى إنه على كل شيئ قدير﴾ (١) .

وكقوله تعالى ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى اذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾ (٢) . إلى غير ذلك من الأساليب التي أثبت الله عزوجل فيها البعث بعد الموت ورد على المنكرين له بل وتحداهم أن يكونوا أصعب شيئ وأصلبه فقال ﴿قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً﴾ (٣) .

أما الأساس الثالث وهو الايمان بالرسالات السماوية وتكفير من أنكرها وإقامة الحجج عليهم ففي القرآن عامة وفي السور المكية خاصة من ذلك الشيئ الكثير ودائماً يقرن الله الايمان برسوله بالايمان به تعالى ويرتب على ذلك النجاة من النار والفوز بالجنة وحتى الايمان اذا أطلق في بعض المواضع فإنما يراد به الايمان بالله ورسوله كقوله تعالى ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون...﴾ (٤) الآيات .

ولقد جاء إثبات الرسالات في القرآن الكريم بأساليب متعددة وطرق متنوعة فتارة بترتيب الفوز على طاعة الله وطاعة رسوله كقوله تعالى ﴿ ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولائك هم الفائزون﴾ (٥) وكقوله تعالى ﴿ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ (٦) وتارة بالإخبار عمن أطاع الله وأطاع رسوله أنهم مع أحسن رفيق كقوله تعالى ﴿ومن يطع الله والرسول فأولائك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء

---

١) سورة فصلت آية ٣٩ .
٢) سورة الأعراف آية ٥٧ .
٣) سورة الإسراء من ٥٠-٥٢ .
٤) سورة المؤمنون آية ١-٢ .
٥) سورة النور آية ٥٢ .
٦) سورة الأحزاب آية ٧١ .

والصالحين وحسن أولائك رفيقا﴾ (١) وتارة بالإخبار بأن طاعة الله ورسوله موجبة لدخول الجنة كقوله تعالى **﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار﴾** (٢) .

وتارة بالأمر بالإيمان بالله ورسوله كقوله وتعالى **﴿ياأيها الذين أمنوا آمنوا بالله ورسوله﴾** (٣) .

وتارة بالأمر بالإستجابة لدعوتهما لأن الله ورسوله لايدعوان إلا إلى مافيه حياة المؤمنين كقوله تعالى **﴿ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم﴾** (٤) .

وتارة بالإخبار أن إتباعه هو الموجب لمحبة الله كقوله تعالى **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾** (٥) .

وتارة بالإخبار أن المنازل العالية في الجنة لمن آمنوا بالله وصدقوا المرسلين ففي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال إن أهل الجنة ليتراءون أصحاب الغرف في الجنة كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق الشرقي أو الغربي قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لاينالها غيرهم فقال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين﴾ (٦) .

وتارة بالإخبار أن معصية الله والرسول موجبة للنار قال تعالى **﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها﴾** (٧) وتارة بالإخبار أن سبب إهلاك الأمم عصيانهم لرسلهم وعداوتهم لهم كقوله تعالى **﴿وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾** (٨) .

وقال عن فرعون **﴿فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعاً**

---

١) سورة النساء آية ٦٩ .
٢) سورة النساء آية ١٣ .
٣) سورة النساء آية ١٣٦.
٤) سورة الأنفال آية ٢٤ .
٥) سورة آل عمران آية ٣١ .
٦) سبق تخريجه في صـ ١٢ .
٧) سورة النساء آية ١٤ .
٨) سورة إبراهيم آية من ١٣-١٤.

وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً﴾ (١) .

وقال ﴿كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب﴾ (٢) .

بل قد جعل الله عزوجل من عصى رسولاً واحداً كمن عصى جميع الرسل قال تعالى ﴿وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا إن عاداً كفروا ربهم ألا بعداً لعاد قوم هود﴾ (٣) .

---

١) سورة الإسراء آية ١٠٣ - ١٠٤ .
٢) سورة غافر آية ٥ .
٣) (٣) سورة هود آية ٥٩ - ٦٠ .

الباب السادس في بيان أن الإنحراف عن منهج الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ترك للصراط المستقيم الذي أمر الله بإتباعه

لقد بعث الله عزوجل نبيه محمداً رحمة للعالمين ومناراً للقاصدين وأسوة للمهتدين وكلف عباده جميعاً باتباعه والإهتداء بهديه والتأسي بطريقته ومتابعة سنته فقال عز من قائل ﴿ورحمتي وسعت كل شيئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ (١) وقال تعالى ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ (٢) وقال تعالى ﴿ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ (٣) وقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون﴾ (٤) وفي الدعوة خاصة أمر الله باتباعه فقال تعالى ﴿ قل هذه سبيلي أدعوا بها على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ (٥) .

ولقد أمرنا الله عزوجل أن نتأسى برسوله الكريم فقال جل من قائل ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ (٦) .

كما أمرنا وإياه أن نتأسى بإبراهيم والذين معه في البراءة من المشركين وإعلان العداوة لهم وإن كانوا أقرباء في النسب قال تعالى ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءآؤا منكم ومما

---

١) سورة الأعراف آية ١٥٦-١٥٧ .
٢) سورة آل عمران آية ٣١.
٣) سورة النساء آية ٥٩ .
٤) سورة الأنفال ٢٠ .
٥) سورة يوسف ١٠٨ .
٦) سورة الأحزاب ٢١ .

تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده﴾ (١) .

ولما ذكر عزوجل الأنبياء في سورة الأنعام وعددهم ١٧ سبعة عشر نبياً قال في خاتمة ذلك **﴿أولائك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾** (٢) .

ومن هذه النصوص يتبين أن الله أمرنا أمراً إلزامياً بإتباع نبيه ﷺ في كل شيء في دعوتنا وفي عبادتنا وفي معاملتنا وفي أخلاقنا وفي لباسنا وأكلنا وشربنا ونومنا ويقظتنا وفي كسب المال وتنميته وانفاقه بل في كل شيئ وإن الدعوة إلى الله هي أهم شيئ في هذا الدين وأعظم شيئ يجب أن نتأسى بالنبي ﷺ فيه فنبدأ كما بدأ ونؤسس كما أسس ونهتم أولاً بالأصل الذي اهتم به أولاً واهتم به كل نبي بعث إلى أمة يدعوهم إلى الله وهو الأمر بالتوحيد والتحذير من الشرك قال تعالى **﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾** (٣) .

وقد وضحت ذلك أعظم توضيح في بيان منهج الرسل في الدعوة إلى الله صلوات ربي وسلامه عليهم فمن تهاون في الأصل الذي اهتموا به وغض الطرف عن الشرك لذي بدأوا بهدمه بل حاضر في بعض أوكاره ولم ينبس ببنت شفه في إنكاره وكان همه جمع من تسمى بالإسلام ولو كان بعيداً كل البعد عن حقيقته ولو تعاطى ما يهدمه من أساسه ويقوض بنيانه من قاعدته كالشرك الأكبر الذي يخرج العبد من الإسلام ويحتم عليه الخلود في النار ويحرم عليه دخول الجنة من غير تصحيح لعقائدهم ولا بيان لما هم عليه من الشرك الأكبر والبدع والضلالات فقد انحرف عن الصراط المستقيم الذي أمر الله عزوجل باتباعه حيث يقول **﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾** (٤)

وإن الذي سار عليه رسول الله ﷺ في دعوته حيث مكث عقداً من الزمن لايأمر إلا بالتوحيد ولا ينهى إلا عن الشرك ، شأنه شأن الأنبياء قبله الذين أخبر الله عنهم جميعاً أنهم كلفوا أول ما كلفوا بهذا الأصل قال تعالى **﴿وما أرسلنا من قبلك**

---

١) سورة الممتحنة آية ٤ .

٢) سورة الأنعام ٩٠ .

٣) سورة النحل ٣٦ .

٤) سورة الأنعام ١٥٣ .

من رسول إلا نوحي إليه أنه لاإله الا أنا فاعبدون﴾ (١) وأخبر أن هذا الأصل هو الصراط المستقيم فأخبر عن عيسى أنه قال ﴿إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ (٢) ﴿وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ (٣) ﴿إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ (٤) .

فمن ترك هذا المنهج الواضح الذي مشى عليه جميع الأنبياء في دعوتهم فقد ترك الصراط المستقيم واتخذ لنفسه منهجاً مستقلاً وكانت دعوته مثلها كمثل رجل بنى بيتاً بدون اساس وعنى فيه بالمحسنات والزخارف فلم يلبث أن إنهار . وإن التوحيد هو القاعدة الأساسية التي لايقوم الدين بدونها قال تعالى ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها﴾ (٥) وهذا مثل لكلمة التوحيد لاإله إلا الله .

---

١) سورة الأنبياء آية ٢٥ .
٢) سورة آل عمران الآية ٥١ .
٣) سورة مريم آية ٣٦ .
٤) سورة الزخرف آية ٦٤ .
٥) سورة إبراهيم آية ٢٤-٢٥

الباب السابع أن الحزبية ليست من منهج الأنبياء بل هي بدعة

لقد بعث رسول الله ﷺ والجزيرة العربية تموج بالقوميات و العصبيات فكل قبيلة تقدم ولائها وتحصر إنتمائها وتخص بنصرتها أفراد تلك القبيلة حتى قال قائلهم وهل أنا إلا من غزية إن غوت ، غويت وإن ترشد غزية أرشد ، يؤيد بعضهم بعضاً على ما يريد سواء كان حقاً أو باطلاً وينصر بعضهم بعضاً فيما يهوى سواء كان محقاً أو مبطلاً .

فلما جاء الإسلام أمر بالوحدة و الإلتئام ومنع التفرق و الإنقسام لأن التفرق و الإنقسام يؤدي إلى التصدع و الإنفصام لذلك فهو يرفض التحزب و الإنشطار في قلب الأمة المحمدية الواحدة التي تدين لربها بالوحدانية ولنبيها بالمتابعة شأنها شأن الأمم الماضية في الرسالات السابقة . فقد اتفقت الرسالات السابقة جميعاً على توحيد الله الذي خلق هذا الكون وهو المالك له و المتصرف فيه وعلى الدعوة إلى وحدة الأمة في عقيدتها وعبادتها ومنهجها ووحدة المصدر الذي تتلقى عنه وهو الرسول الذي تتبعه . والدليل على ذلك قول الله جل وعلا **﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم﴾** (١).

أي إلى توحيد الله ووحدة الأمة فادع فهو الدين الحق الذي شرعه الله عزوجل لصفوة الصفوة وهم أولوا العزم من الرسل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وما أوحينا إليك يا محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قال ابن كثير في شرح هذه الايات من سورة الشورى يقول تعالى لهذه الأمة **﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك﴾** فذكر أول الرسل بعد آدم عليه السلام وهو نوح عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ ثم ذكر بين ذلك من بقي من أولي العزم وهم إبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم صلى الله عليهم وسلم وهذه الآية

---

١) سورة الشورى آية ١٣-١٥ .

أنتظمت ذكر الخمسة كما اشتملت عليهم في آية الأحزاب في قوله تبارك وتعالى **﴿واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم﴾** . والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لاشريك له كما قال تعالى **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لاإله إلا أنا فاعبدون﴾** . وفي الحديث (نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد) أي القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لاشريك له وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم كقوله جل جلاله **﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾** ولهذا قال هاهنا أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه أي وصى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالإئتلاف والجماعة ونهاهم عن الافتراق والإختلاف) (١) أهـ .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي في تفسير هذه الاية **﴿أن أقيموا الدين﴾** أي آمركم أن تقيموا شرائع الدين اصوله وفروعه تقيمونه بأنفسكم وتجتهدون في اقامته على غيركم وتتعاونون على البر والتقوى ولا تعاونون على الاثم والعدوان **﴿ولا تتفرقوا فيه﴾** أي ليحصل منكم الإتفاق على أصول الدين وفروعه واحرصوا على أن لاتفرقكم المسائل وتحزبكم أحزاباً وشيعاً يعادي بعضكم بعضاً مع اتفاقكم في أصل دينكم) (٢) أهـ.

ومن هذا تعلم أن هذين الأصلين اتفقت عليهما الشرائع وأمر بهما جميع الرسل من لدن أولهم نوح عليه الصلاة والسلام إلى آخرهم محمد ﷺ وهذان الأصلان هما :-

أولاً : توحيد الله عزوجل وهو إفراده بالعبادة دون سواه .

ثانياً : الحرص على وحدة الأمة وعدم التفرق في الدين باقامة أسباب الإئتلاف وترك أسباب الإختلاف ولهذا فقد ذم الله عزوجل الفرقة في غير ما آية من كتابه جل وعلا كقوله تعالى **﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءتهم البينة﴾** (٣) وقوله تعالى **﴿وما تفرقوا إلا من بعد ماجاءهم العلم بغياً بينهم﴾** (٤) .

وقوله تعالى **﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيئ**

---

١) تفسير ابن كثير ٤/١١٠ .
٢) تفسير عبدالرحمن بن سعدي جـ ٦ /٥٩٩ .
٣) سورة البينة آية ٤ .
٤) سورة الشورى آية ١٤ .

إنما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون﴾ (١) وقال تعالى **﴿وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون﴾** (٢) .

وقد اخبر الله عزوجل في الآية الأولى من هاتين الآيتين أن وحدة الأمة من العمل الصالح الذي أمرت به الرسل في الآية التي قبلها حيث يقول تعالى **﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم ﴾ وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾** (٣) .

فيستفاد من الثلاث الآيات معاً أن العمل الصالح الذي أمرت به الرسل جميعاً ينبني على أمرين اثنين أولاً توحيد الإله وثانياً وحدة الأمة فأما توحيد الإله فحقيقته أن تصرف العبادة الى الواحد الأحد خالق هذا الكون والمتصرف فيه وأما وحدة الأمة فحقيقتها أن يعبد الله بما شرعت الرسل عقيدة وعبادة وأن تكون الأمة كلها كذلك ربها واحد ودينها وعقيدتها واحدة ونبيها واحد وهو الإمام الذي يسيرون على شريعته وهدفها واحد وهو إعلاء كلمة الله في أنفسهم وفي غيرهم وغايتها واحدة وهو الحصول على رضا الله والجنة والنجاة من سخطه والنار ولكن الأمم فعلوا غير ما أمروا به فتفرقوا قطعاً وتشتتوا شيعاً وكانوا أحزاباً متعادين وفرقاً متباغضين كل حزب يظن أنه على الحق وكل من سواه على الباطل وكل حزب بما لديهم فرحون ولا يكون الإختلاف موجباً للإنقسام والتفرق ومؤثراً أثراً سلبياً في وحدة الأمة إلا اذا كان في الأصول والعقائد كالتوحيد باقسامه الثلاثة فمن اعتقد جواز الإستغاثة بالمخلوقين فيما لايقدر عليه إلا الله أو تغاضى عمن يتطوف بالقبور ويقدم لها القرابين والنذور ويهتف بأصحابها راغباً إليهم في جلب الخير ودفع الشرور ويرى أنه لم يخرج من الإسلام بفعله لهذا المحذور بل يسميه أخاً ويجعله في دعوته عضواً فإنه قد هدم توحيد الألوهية بذلك ومن تأول الصفات بما يوجب إبطال معناها الحقيقي الذي أراده الله في كتابه وأراده نبيه المبلغ عنه زاعماً أن ظاهرها غير مراد لأنه يلزم منه المشابهة كالأشعرية أو نفاها بالكلية كالجهمية والمعتزلة أو زعم أن

---

١) سورة الأنعام آية ١٥٩ .

٢) سورة المؤمنون آية ٥٢،٥٣ .

٣) سورة المؤمنون آية ٥١، ٥٢.

القرآن ليس كلام الله وأنه مخلوق كسائر المخلوقات وأن الله لايراه المؤمنون في الآخرة كالمعتزلة ومن زعم أن العبد يخلق أفعاله كالقدرية النفاة أو أن العبد مُسَيَّر كالحجر الذي يدهده أو الغصن الذي تحركه الرياح كالقدرية الغلاة في الاثبات لأفعال الله . أو زعم أن مرتكب الكبيرة كافر مخلد في النار كالخوارج أو لامؤمن ولا كافر وهو في الآخرة مخلد في النار كالمعتزلة .

أو زعم أن الايمان لايضر معه ذنب وأنه مجرد التصديق وان لم يصحبه نطق ولا عمل كالمرجئة أو زعم أن الطريقة الفلانية أو طريقة الشيخ فلان قرائتها والتزامها أفضل من قراءة القرآن أو أفضل من قراءة الحديث النبوي وأنها هي الحق أو فضل الطرق الصوفية أو بعضها على العقيدة السلفية .

أو إعتقد أن الأئمة الإثنى عشر معصومون من الخطأ أو اعتقد كفر الصحابة لأنهم قدموا أبا بكر وعمر وعثمان على علي في الخلافة واستحل سب الصحابة رضوان الله عليهم كالرافضة فهذه الإعتقادات وما شابهها على ما بينها من التفاوت هي التي فرقت الأمة وهي التي توجب تفريقها ويتناولها الذم المصرح به في القرآن .

أما الإختلاف في الفروع فلا يوجب تفريقاً ولا يترتب عليه لوم من أحد على أحد ولامن جانب على جانب إذ قد حصل مثله في زمن النبي ﷺ فلم يوجب لوماً ولا تعنيفاً من أحد على أحد وفي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ يوم الأحزاب لأيصلين أحد العصر إلا في بني قريظة فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم لانصلي حتى نأتيهم وقال بعضهم بل نصلي لم يرد منا ذلك . فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهم) (١) .

وفي صحيح البخاري أيضاً أن محمد بن أبي بكر سأل أنس بن مالك رضي الله عنه وهما غاديان من منى الى عرفة كيف كنتم تصنعون في هذا اليوم مع رسول الله ﷺ فقال كان يهل منا المهل فلا ينكر عليه ويكبر منا المكبر فلا ينكر عليه) (٢) .

وقد أختلف اصحاب رسول الله ﷺ في مسائل من الفروع فلم يعنف أحد منهم أحداً ولا أوجب ذلك لوماً ولا هجراناً ولا تفرقة ثم ان من طبيعة البشر أن يختلفوا فيما سبيله الإجتهاد من الأحكام الفرعية نظراً لإختلاف العقول

---

١) أخرجه البخاري في المغازي رقم (٣٠) ورقم الحديث ٤١١٩ .

٢) البخاري في الحج باب رقم ٨٦ رقم الحديث ١٦٥٩ .

والإستعدادات الفطرية فمن أجل ذلك رفع اللوم فيه . أما إذا مس الدين واستهين بالعقيدة فإنهم يغضبون كأشد ما يكون الغضب حتى ولو كان على أقرب الناس إليهم فقد صح عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه لما حدث بقول رسول الله ﷺ اذا استأذنت أحدكم إمراته الى المسجد فليأذن لها لاتمنعوا إماء الله مساجد الله فقال بلال والله لمنعنهن إذ يتخذنه دغلا قال فسبه سباً لم أسمعه سبه مثله وقال أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول والله لنمنعنهن) (١) .

وقال في الفتح وقع في رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد عند أحمد فما كلمه حتى مات وفي مسند الإمام أحمد أن أبا بكرة رضي الله عنه قال نهى رسول الله ﷺ عن الخذف فأخذ ابن عم له فقال عن هذا وخذف فقال ألاَ أراني أحدثك عن رسول الله ﷺ نهى عنه وأنت تخذف والله لا أكلمك عزمة ما عشت أو بقيت أو نحو هذا) (٢)

ووقع لعبدالله ابن مغفل رضي الله عنه مع قريب له في الخذف مثل ذلك أو قريباً منه وهو في المسند) (٣) .

---

١) أخرجه البخاري في باب خروج النساء الى المساجد بالليل والغلس رقم الحديث ٨٦٥ بدون ذكر القصة وأخرجه مسلم وذكر القصة باب خروج النساء الى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة رقم الحديث ٤٤٢ وله طرق .

٢) المسند ٤٦/٥ مسند أبي بكرة رضي الله عنه .

٣) المسند ٥٥/٥ مسند عبدالله بن مغفل رضي الله عنه .

فصل في الأدلة من السنة على منع الإختلاف وذمه

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فاتوا منه ما استطعتم فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم وإختلافهم على أنبيائهم» (١)

قال الحافظ بن رجب في جامع العلوم والحكم صـ ٦٣ طبعه مصطفى البابي الحلبي هذا الحديث بهذا اللفظ خرجه مسلم وحده من رواية الزهري عن سعيد ابن المسيب وأبي سلمة بن عبدالرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه وخرجاه من رواية أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال دعوني ما تركتكم إنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فاذا نهيتكم عن شيئ فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم) (٢)

والشاهد منه النهي عن الإختلاف وهنا يعتبر نهياً شرعياً يعارضه ما أخبر الله عزوجل عنه من وقوع الإختلاف قدراً كقوله تعالى ﴿**ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم**﴾ (٣)

وقوله ﷺ (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قالوا من هم يا رسول الله قال هم الذين على مثل ما أنا عليه وأصحابي) (٤) ففي هذه الاية والحديث إخبار عن الإختلاف الكوني القدري .

ومن التحذير من الإختلاف حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي (٥) الخ

وفي الحديث أيضاً أن النبي ﷺ قال لتتبعن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود

---

١) أخرجه مسلم صـ ١٨٣١ طبع دار الفكر في باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لاضرورة إليه .

٢) أخرجه البخاري في كتاب الإعتصام باب الإقتداء بسنة النبي ﷺ رقم الحديث ٧٢٨٨ .

٣) سورة هود آية رقم ١١٩ .

٤) أخرجه أبو داود في كتاب السنة من حديث أبي هريرة ومعاوية بدون قوله قالوا من هم أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة وعبدالله بن عمرو في باب افتراق الأمة .

٥) أخرجه أبو داود في كتاب السنة رقم الحديث ٤٦٠٧ .

والنصارى قال فمن) (١) . وروى مسلم في صحيحه عن جندب بن عبد الله البجلي (قال إقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فيه فقوموا) (٢) وعن عبدالله ابن عمرو رضي الله عنهما قال هجرت الى رسول الله ﷺ يوماً فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية فخرج علينا رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الغضب فقال إنما هلك من قبلكم بإختلافهم في الكتاب) (٣) .

وفي صحيح مسلم من جديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويسخط لكم ثلاثاً يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ويسخط لكم ثلاثاً قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال) (٤) أهـ .

وأورد ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا** ..﴾ قال أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة .

وروى أحمد والترمذي عن الحارث الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ آمركم بخمس بالجماعة والسمع والطاعة والجهاد في سبيل الله وأنه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع ومن دعى بدعوى الجاهلية فهو من جثا جهنم وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم) (٥) وری الترمذي وأبو داود والإمام أحمد وابن حبان في صحيحه قال : قال رسول الله ﷺ ألا اخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة (٦) وروى البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال والذي نفسي بيده لاتدخلوا الجنة حتى تسلموا ولا تسلموا حتى تحابوا أفشوا السلام تحابوا وإياكم والبغضة فإنها هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين) (٧) .

وعن معاوية رضي الله عنه مرفوعاً (ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا

---

١) أخرجه مسلم في باب اتباع اليهود والنصارى من كتاب العلم .

٢) أخرجه مسلم في كتاب العلم رقم الحديث ٢٦٤٧ .

٣) أخرجه مسلم في كتاب العلم رقم الحديث ٢٦٦٦ .

٤) أخرجه مسلم باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة من كتاب الاقضية رقم الحديث ١٧١٥ .

٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند جـ ٢١٢/٤ .

٦) أخرجه الإمام أحمد ٤٤٤/٦ عن أبي الدرداء .

٧) الأدب المفرد وأخرج بنحوه الترمذي عن الزبير ابن العوام رضي الله عنه رقم ٢٥١٠ وأحمد ١٦٧/١٦٥/١ .

على اثنتين وسبعين ملة وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة وإنه سيخرج من أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَبُ بصحبه لايبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله) (١) الأحاديث الصحيحة ٢٠٤، صحيح الجامع ٢٦٣٨ وهو في الصحيح بدون زيادة وإنه سيخرج .. الخ وروى أبو داود مثل حديث معاوية حديث أبي هريرة في الإفتراق افترقت اليهود الى اثنتين وسبعين فرقة ... الخ .

ورواه الحاكم ١٢٨/١ وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي قال الألباني في الصحيحة رقم ٢٠٣ ، قلت وفيه نظر فإن محمد بن عمرو لم يحتج به مسلم وإنما روى له متابعه وهو حسن الحديث أما قول الكوثري عن محمد بن عمرو أنه لايحتج به اذا لم يتابع فهو من مغالطاته قال في عون المعبود قال شيخنا ألف الإمام أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر التميمي في شرح هذا الحديث كتاباً قال فيه قد علم أصحاب المقالات أنه ﷺ لم يرد بالفرق المذمومة المختلفين في فروع الفقه من أبواب الحلال والحرام وإنما قصد بالذم من خالف أهل الحق في أصول التوحيد وفي تقرير الخير والشر وفي شروط النبوة والرسالة وفي موالاة الصحابة وما جرى مجرى هذه الأبواب .

فصل

مما سبق نعلم أن الحزبية بدعة لأن الله عزوجل ساقها مساق الذم في مواضع كثيرة من كتابه ونهى عنها رسول الله ﷺ وحذر منها في أحاديث كثيرة منها ما كتب هنا ومنها مالم يكتب وما توارد عليه كتاب ربنا وسنة نبينا من ذم التفرق والحزبية هو ما جرى عليه سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الدين والى القارئ نبذة عنهم فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول إنما أنا مثلكم وإني لا أدري لعلكم ستكلفوني ما كان رسول الله ﷺ يطيقه إن الله اصطفى محمداً على العالمين وعصمه من الآفات فإن استقمت فتابعوني وإن زغت فقوموني . وهذا عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه يقول اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم . وهذا عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يقول كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة وقال عبدالله ابن مسعود أيضاً للقوم الذين أتى عليهم في المسجد وقد تحلقوا ومعهم حصى يعدون به التسبيح والتكبير والتهليل قال لهم

---

١) الأحاديث الصحيحة ٢٠٤ صحيح الجامع ٢٦٣٨ وهو في الصحيحة بدون زيادة وإنه سيخرج الخ .. .

عدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لايضيع من حسناتكم شيئاً ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم هؤلاء صحابة نبيكم متوافرون وهذه ثيابه لم تبل وآنيته لم تكسر والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة أهدى من ملة محمد أو مفتتحوا باب ضلالة قالوا والله يا أبا عبدالرحمن ما أردنا إلا الخير قال وكم من مريد للخير لم يصبه .

وكتب عمر ابن عبدالعزيز لعدي ابن أرطأة حين كتب إليه يستشيره في بعض القدرية فقال أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله والإقتصاد في أمره واتباع سنة نبيه ﷺ وترك ما أحدث المحدثون فيم قد جرت به سنته وكفوا مؤنته فعليك بلزوم السنة فإن السنة إنما سنها من قد عرف مافي خلافها من الخطإ والزلل والحمق والتعمق فارض لنفسك بما رضي به القوم لأنفسهم فإنهم على علم وقفوا وببصر نافذ كفوا وهم على كشف الأمور أقوى وبفضل كانوا فيه أحرى فلئن قلتم أمر حدث بعدهم ما أحدثه بعدهم إلا من اتبع غير سنتهم ورغب بنفسه عنهم إنهم لهم السابقون فقد تكلموا منه بما يكفي ووصفوا منه ما يشفي . وعن مجاهد في قوله ﴿ولا تتبعوا السبل﴾ قالوا البدع والشبهات . وعن عبدالرحمن بن مهدي قال سئل مالك بن انس عن السنة قال هي مالا اسم له غير السنة وتلا ﴿**وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**﴾ (١) قال بكر ابن العلاء يريد إن شاء الله حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ خط له خطاً وذكر الحديث فهذا التفسير يدل على شمول الآية لجميع طرق البدع لاتختص ببدعة دون أخرى .

وعن الحسن قال خرج علينا عثمان رضي الله عنه يوماً يخطب فقطعوا عليه كلامه فتراموا بالبطحاء حتى جعلت ما أبصر أديم السماء قال وسمعنا صوتاً من بعض أزواج النبي ﷺ فقيل هذا صوت أمهات المؤمنين قال فسمعتها وهي تقول قد برئ رسول الله ﷺ ممن فرق دينه واحتزب وتلت ﴿**إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء**﴾ (٢) قال القاضي إسماعيل أحسبه يعني بقوله أم المؤمنين أم سلمة وأن ذلك قد ذكر في بعض الحديث وقد كانت عائشة حاجة في ذلك الوقت .

قال القاضي ظاهر القرآن يدل على أن كل من ابتدع في الدين بدعة من الخوارج وغيرهم فهو داخل في هذه الآية لأنهم اذا ابتدعوا تجابوا وتخاصموا وتفرقوا وكانوا شيعاً . وخرج ابن وهب عن ابن مسعود رضي الله

---

١) الانعام آية ١٥٣ .

٢) سورة الانعام آية ١٥٩ .

عنه أنه قال عليكم بالعلم فإن أحدكم لايدري متى يفتقر الى ما عنده وستجدون أقواماً يزعمون أنهم يدعون الى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم فعليكم بالعلم واياكم والبدع والتنطع والتعمق وعليكم بالعتيق . والمراد بالعتيق (١) العلم الأول الذي جاء عن النبي ﷺ وأصحابه .

وعنه أيضاً القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة .

وعن حذيفة رضي الله عنه أنه قال يا معشر القراء استقيموا لإن استقمتم فقد سبقتم سبقاً بعيداً ولئن أخذتم يميناً وشمالاً فقد ضللتم ضلالاً بعيداً .

وعنه أيضاً أخوف ما أخاف على الناس اثنتان أن يؤثروا ما يرون على ما يعلمون وأن يضلوا وهم لايشعرون ، قال سفيان صاحب البدعة

وخرج ابن وهب عن أبي إدريس الخولاني أنه قال لأن أرى في المسجد ناراً لا أستطيع إطفائها أحب إليّ من أرى فيه بدعة لا أستطيع تغييرها .

وعن الفضيل ابن عياض اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين .

وعن أيوب السختياني ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً إلا ازداد من الله بعداً (٢) .

وعن ابن المبارك قال اعلم أي أخي أن الموت كرامة لكل مسلم لقي الله على السنة . فإنا لله وإنا إليه راجعون فإلى الله نشكوا وحشتنا وذهاب الإخوان وقلة الأعوان وظهور البدع وإلى الله نشكوا عظيم ما حل بهذه الأمة من ذهاب العلماء وأهل السنة وظهور البدع (٣) وكان إبراهيم التيمي يقول اللهم اعصمني بدينك وبسنة نبيك من الإختلاف في الحق ومن اتباع الهوى ومن سبل الضلالة ومن شبهات الأمور ومن الزيغ في الخصومات (٤) .

ومن كلام عمر بن عبدالعزيز الذي عني به وبحفظه العلماء وكان يعجب مالكاً جداً قوله سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سنناً الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيئ خالفها من عمل بها مهتد ومن انتصر بها منصور ومن خالفها اتبع

---

١) الإعتصام جـ١/٧٩ دار المعرفة .
٢) الإعتصام ط دار المعرفة صـ ٨٣ .
٣) الإعتصام ط دار المعرفة صـ ٨٦ .
٤) الإعتصام دار المعرفة صـ ٨٦ .

غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وبئس المصير (١) .

وخرج ابن وهب عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال من رَأى رأياً ليس في كتاب الله ولم تمض به سنة من رسول الله ﷺ لم يدر ماهو عليه اذا لقي الله عزوجل (٢) وعن أبي العالية رحمه الله تعلموا الإسلام فاذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام ولا تحرفوا يميناً ولا شمالاً وعليكم بسنة نبيكم وما كان عليه أصحابه ... وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء فحدّث الحسن بذلك فقال رحمه الله صدق ونصح خرجه ابن وضاح وغيره وكان مالك كثيراً ما ينشد .

وخير أمور الدين ماكان سنة   وشر الأمور المحدثات البدائع

---

١) الإعتصام دار المعرفة صـ ٨٧ .

٢) الإعتصام ٨١/١ ط دار المعرفة .

الباب الثامن في بيان مساوئ الحزبية

لقد استعرضنا بعض الآيات والأحاديث التي نهى الله فيها ورسوله عن الإختلاف والتفرق والتحزب وذم أهل هذه الصفات كقوله تعالى **﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء﴾** (١) . وقوله تعالى **﴿ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً﴾** (٢) . وكقوله تعالى **﴿وأن هذا صرطي مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾** (٣) وكقول النبي ﷺ (فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم) (٤) .

وقوله ﷺ فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنوجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)·(٥) .

فهل ترى أن نهي الله عزوجل عن التفرق والتحزب والتشيع وذم أهل هذه الصفات والتحذير من طريقتهم كان عبثاً أو أنزله الله عزوجل وقاله رسوله ﷺ ليكون ضرباً من ضروب التسلي أو ليكون حديثاً عابراً من أحاديث السمر كلا ثم كلا ... إن القرآن كله عظات وعبر وأوامر ونواهي وأخبار عن العصاة وعواقب العصيان السيئة في الدنيا والآخرة بالإخبار عما يصيبهم في الدنيا من قوارع واستئصال وما ينتظرهم في الآخرة من عذاب أليم وأنواع انتقام ونكال . وأخبار عن المؤمنين أهل التصديق والأعمال الصالحة وما يحوزونه ويحرزونه بايمانهم وأعمالهم ومتابعتهم للرسل من عز ونصر وفتوح وغلب وإدالة لهم على غيرهم وما سيلقونه في الآخرة من أمن وإطمئنان وفرح واستبشار وعيشة راضية في جنان عالية قطوفها دانية ونعمها متوالية يبقون فيها بقاء الأبد ويخلدون فيها بلا انقطاع ولا زوال فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ماهي إلا ريحانة تهتز ونهر مطرد وثمرة ناضجة وقصر مشيد وأزواج حسان لأنهم آمنوا بالله وصدقوا المرسلين .

---

١) سورة الانعام آية ١٥٩ .
٢) سورة الروم آية ٣١،٣٢.
٣) سورة الأنعام ١٥٣ .
٤) تقدم تخريجه .
٥) تقدم تخريجه .

وقد تبين مما ذكر أن نهى الله عزوجل عن الحزبية والتحزب والفرقة والتفرق لم يكن إلا ليعلم الله عباده بما فيها من الشر المؤكد والفشل المرتقب والعداوة المنتظرة بين من أمرهم الله عزوجل أن يكونوا أمة واحدة وحزباً واحداً يعبدون رباً واحداً ويتبعون رسولاً واحداً ويتجهون إلى قبلة واحدة ويدينون بدين واحد وتربطهم رابطة واحدة هي رابطة الدين ومما يؤكد هذا المعنى ويدل على أن التفرق ما زال ممقوتاً ومحذوراً في كل زمان ومكان وعلى لسان كل نبي وحكيم إخبار الله عزوجل عن هارون عليه السلام أنه قال لأخيه موسى حين عاتبه عند رجوعه من الطور فوجد قومه قد عبدوا العجل فقال كما حكى الله عنه في سورة طه **﴿قال ياهارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعني أفعصيت أمري قال يابن أم لاتأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي﴾** (١) فقد حذر هارون من التفرقة وخافها على قومه وخاف أن أخاه يلومه عليها .

وروى عبدالله بن أحمد بن حنبل عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما انه قال قدم على عمر ابن الخطاب رضي الله عنه رجل فجعل عمر يسأله عن الناس فقال يا أمير المؤمنين قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا قال ابن عباس فقلت والله ما أحب أن يتسارعوا في القرآن يومهم هذه المسارعة قال فزجرني عمر رضي الله عنه ثم قال مه ، فانطلقت الى منزلي مكتئباً حزيناً فبينا أنا كذلك إذ أتاني رجل فقال أجب أمير المؤمنين فخرجت فإذا هو بالباب ينتظرني فأخذ بيدي فخلابي فقال مالذي كرهت مما قال الرجل آنفاً فقلت يا أمير المؤمنين متى يتسارعوا هذه المسارعة يحتقوا ومتى يحتقوا يختصموا ومتى يختصموا يختلفوا ومتى يختلفون يقتتلوا ، قال لله أبوك إن كنت لأكتمها الناس حتى جئت بها) (٢) . قلت ما أشبه الليلة بالبارحة إن الإختلاف الذي خافه عبدالله ابن عباس ووافقه عليه عمر رضي الله عنهما على أمة محمد قد وقع ثم وقع ثم وقع وما تفرقت أمة محمد شيعاً وأحزاباً كمن سبقهم الا بسبب الإختلاف وكان أول خلاف وقع في هذه الأمة هو خلاف الخوارج ثم خلاف الروافض بقيادة زعيمهم عبدالله بن السوداء الذي زعم لهم أن علياً لم يمت وأنه في السحاب ثم خلاف القدرية ثم المعتزلة ثم المرجئة ثم الجهمية .

والشاهد من هذا الأثر أن المحاقة موجبة للإختلاف ومعنى المحاقة أن كل

---

١) سورة طه آية رقم ٩٢-٩٤ .

٢) كتاب السنة رقم ٨٩صـ١٣٦/١٣٦ .

واحد من المتخاصمين يقول الحق معي وهو معنى قوله يحتقوا ومتى يحتقوا يختلفوا ومتى اختلفوا اقتتلوا إما بالألسن والأقلام وإما بالأيدي والسيوف وما كتابتك هذه إلا من حصاد الإختلاف وشئم الحزبية التي نهى الشرع (١) عنها وما زال المحققون من أهل العلم ينهون عنها في كل زمان ومكان ينهرن عنها لما يعلمون فيها من نتائج سيئة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى (وليس للمعلمين أن يحزبوا الناس ويفعلوا ما يلقي بينهم العداوة والبغضاء بل يكونوا مثل الإخوة متعاونين على البر والتقوى كما قال تعالى **﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الثم والعدوان﴾** (٢) وليس لأحد أن يأخذ على أحد عهداً بموافقته على كل ما يريده وموالاة من يواليه ومعاداة من يعاديه بل من فعل هذا كان من جنس جنكيز خان وأمثاله الذين يجعلون من وافقهم صديقاً والياً ومن خالفهم عدواً باغياً بل عليهم وعلى أتباعهم عهد الله ورسوله أن يطيعوا الله ورسوله ويفعلوا ما أمر الله به ورسوله ويحرموا ما حرم الله ورسوله وَيَرْعوا حقوق المعلمين كما أمر الله ورسوله فإن كان أستاذ أحد مظلوماً نصره وإن كان ظالماً لم يعاونه على الظلم بل يمنعه منه كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قيل يا رسول الله أنصره اذا كان مظلوماً فكيف أنصره إذا كان ظالماً قال تمنعه من الظلم فذلك نصرك اياه) . وإذا وقع بين معلم ومعلم أو تلميذ وتلميذ أو معلم وتلميذ خصومه ومشاجرة لم يجز لأحد أن يعين أحدهما حتى يعلم الحق فلا يعاونه بجهل ولا بهوى بل ينظر في الأمر فاذا تبين له الحق أعان المحق منهما على المبطل سواء كان المحق من أصحابه أو من أصحاب غيره فيكون المقصود عبادة الله وحده وطاعة رسوله واتباع الحق والقيام بالقسط قال الله تعالى **﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء ولو على**

---

١) أشير بقولي وما كتابتك هذه الا من حصاد الإختلاف وشئم الحزبية الى تلميذ من تلامذتي وطالب من طلابي انتظم في بعض المناهج المستوردة للدعوة ومن أجل أنا كنا ننصحه أنا وبعض الإخوة هو ومن كان معه فقد كتب إلينا كتابة اتهمنا فيها بما ليس فينا ونال من أعراضنا بما سنحاكمه فيه بين يدي الله عزوجل .

وأنا حينما أقول تلميذ من تلامذتي وطالب من طلاب لم أقصد بذلك الإفتخار كما علم الله وإنما أردت أن أبين أن الحزبية شر وتفريق وشتات وأنها إذا فرقت بين التلميذ وشيخه وجعلت التلميذ يكن العداوة الشديدة لشيخه الذي له عليه فضل التربية فإنها ستفرق بين غيرهما من باب أولى

٢) المائدة الاية رقم ٢ .

أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ (١). يقال لوى لسانه اذا أخبر بالكذب والإعراض أن يكتم الحق فإن الساكت عن الحق شيطان أخرس . ومن مال مع صاحبه سواء كان الحق له أو عليه فقد حكم بحكم الجاهلية وخرج عن حكم الله ورسوله والواجب على جميعهم أن يكونوا يداً واحدة مع المحق على المبطل فيكون المعظم عندهم من عظمه الله ورسوله والمقدم عندهم من قدمه الله ورسوله والمحبوب عندهم من أحبه الله ورسوله والمهان عندهم من اهانه الله ورسوله بحسب ما يرضى الله ورسوله لابحسب الهوى . فإنه من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصمها فإنه لايضر إلا نفسه ، فهذا هو الأصل الذي عليهم اعتماده وحينئذ فلا حاجة الى تفرقهم وتشيعهم فإن الله تعالى يقول **﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء﴾** (٢) وقال تعالى **﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجائهم البينات﴾** (٣) وإذا كان الرجل قد علمه أستاذ عرف قدر إحسانه إليه وشكره ثم ساق كلاماً في هذا المعنى ثم قال واذا اجتمعوا على طاعة الله ورسوله وتعاونوا على البر والتقوى لم يكن أحد مع احد في كل شيئ بل يكون كل شخص مع كل شخص في طاعة الله ورسوله ولا يكونون مع أحد في معصية الله ورسوله بل يتعاونون على الصدق والعدل والإحسان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصر المظلوم وكل مايحبه الله ورسوله ولا يتعاونون على ظلم ولا عصبية جاهلية ولا اتباع هوى بدون هدى من الله ولا تفرق ولا اختلاف) (٤) أهـ .

فدونك هذا المقطع من كلام هذا الحبر العظيم والمربي الماهر والعالم المحقق العارف بالسنة وماينافيها والبدعة وما يدانيها ويدخل فيها . تأمل كلامه ترى فيه التحذير من الإنتماءات والحزبيات لما فيها من التنافر والإفتراق والتشتت والإنقسام المؤدي الى التباغض والشقاق .

وبارك الله في الشيخ بكر بن عبدالله ابي زيد فلقد كتب عن مضار الحزبية وعيوبها وسلبياتها ما يزيد على أربعين مضرة ؟

وسأسجل في هذه العجالة ما يسره الله لي وعليه التكلان .

---

١) المائدة الآية رقم ١٣٥ .
٢) سورة الأنعام الآية ١٥٩ .
٣) سورة آل عمران الآية رقم ١٠٥ .
٤) الفتاوى الكبرى جـ ١٦/١٥/٢٨ .

أولاً : أن الحزبية بدعة منكرة لما سبرناه من النهي عنها في القرآن الكريم والسنة المطهرة وكلام السلف رضوان الله عليهم .

ثانياً : ذم الله عزوجل الحزبية والتحزب وذمها رسوله ﷺ وذمها سلف الأمة الذين عرفوا الإسلام معرفة حقيقية لأنها خروج على وحدة الأمة الإسلامية التي أمرها الله عزوجل أن تكون أمة واحدة فقال **﴿وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾** (١) وانقسام منها وتجزأة لها ومساهمة في إضعافها .

ثالثاً : أن المنتمين الى الحزبيات والأحزاب يجعلون حزبهم هو محور الولاء والبراء والحب والعداء وذلك مشاقة لله ولرسوله ومحادة لله ولرسوله حيث جعل الله عزوجل محور الولاء والبراء هو الإيمان بالله ورسوله قال تعالى **﴿لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آبائهم أو أبنائهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾** (٢) .

ثم يأتي قائد جماعة في فكر معاصر فيقعد قاعدة تتنافى مع هذه الآية وما في معناها من آيات الولاء والبراء فيقول نجتمع فيما اتفقنا فيه ويعذر بعضنا بعضاً فيم اختلفنا فيه قال الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد في حكم الإنتماء وهذا تقعيد حادث فاسد إذ لاعذر لمن خالف في قواطع الأحكام فإنه بإجماع المسلمين لايسوغ العذر ولا التنازل عن مسلمات الإعتقاد وكم من فرقة تنبذ أصلاً شرعياً وتجادل دونه بالباطل) أهـ .

قلت هذا هو الفهم للإسلام لا ما سلكه بعض الزعماء في العمل الإسلامي من سياسة التجميع والتكثير لقوم عقائدهم مختلفة واتجاهاتهم متباينة وقناعاتهم متضادة فماذا كان إنهم مازالوا منذ ما يقارب سبعين سنة يدورون في حلقة مفرغة.

رابعاً : يلزم من الحزبية اتخاذ المبتدعين أئمة يحتذى قولهم ويقتدى بأفعالهم ويتخذون قدوة وأسوة ويكون قولهم وتقعيدهم وتنظيرهم مُسَلماً وإن خالف الحق وتلك هي قاصمة الظهر والله . قال الله تعالى **﴿يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا**

---

١) سورة المؤمنون آية ٥٢ .
٢) سورة المجادلة آية ٢٢ .

بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم﴾ (١) . وسبب نزول هذه الآية وما بعدها أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما تماريا عند رسول الله ﷺ حين قدم وفد تميم فيمن يؤمر رسول الله ﷺ عليهم فأشار أبو بكر بالأقرع ابن حابس وأشار عمر بالقعقاع بن معبد بن زراره فقال أبو بكر لعمر ما أردت إلا خلافي وقال عمر ما أردت خلافك فتماريا عند رسول الله ﷺ حتى ارتفعت أصواتهما فأنزل الله عزوجل **﴿يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم ، يا أيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون﴾** .

فأدب الله عزوجل عباده المؤمنين أن يتقدموا بين يدي رسوله وروى البخاري في صحيحه عن مجاهد تعليقاً لاتقدموا لاتفتاتوا على رسول الله ﷺ حتى يقضي الله على لسانه قال الحافظ وصلة عبدبن حميد من طريق بن أبي نجيح عن مجاهد أهـ .

وقد أدب الله عباده المؤمنين أن يقدموا آرائهم على حكمه وأقوالهم على قوله أو يقدموا أحداً سوى أنفسهم على رسول الله ﷺ فيقدموا حكمه على حكم رسول الله ﷺ أو قوله على قوله أو هديه على هديه ، وقد توعد الله عزوجل من فعل ذلك بإحباط العمل لهذا فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن أبي مليكة أنه قال كاد الخيران أن يهلكا .

قلت ليت من يتخذون فلاناً وعلاناً قدوة لهم يأخذون أقوالهم بلا دليل ويجعلونها أصولاً يبنى عليها يراجعون أمرهم قبل فوات الأوان وقبل أن يأتي تأويل قوله تعالى **﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً﴾** (٢) وهاتين الآيتين وإن كانت قد نزلت فيمن رفض شرعه رفضاً كلياً إلا أن من رفض بعض شرعه رفضاً جزئياً سيناله نصيب منها ولا سيما اذا كان المرفوض هو من أصول الدين وقواعده أو قل هي الأسس والقواعد التي يكون منها المبدأ وعليها المدار ومن خلالها المنطلق .

فإنا لله وإنا إليه راجعون . وبإلقاء نظرة على الفئات المبتدعة نراهم جميعاً قد اتفقوا كلهم على شيئ واحد وإن اختلفت مشاربهم وتباينت عقائدهم اتفقوا كلهم على نبذهم الكتاب والسنة التي أمر الله باتباعها وجعل النجاة في اقتفائها فقال

---

١) سورة الحجرات آية ١

٢) سورة الفرقان آية ٢٧-٢٨ .

جل من قائل ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ (١) .

فأصحاب الحزبيات والعقائد المبتدعة قد اتفقوا على نبذ السنن وجعلوا تأصيلات شيوخهم هي الأصل فمثلاً المعتزلة قد عطلوا القدر وأنكروا رؤية الله في الآخرة وزعموا أن القرآن مخلوق مستندين في ذلك الى ما أصله شيوخهم .

والجهمية عطلوا الصفات الثابتة في الكتاب والسنة فراراً من لزوم المشابهة بين الخالق والمخلوق كما زعموا . وقل في الأشاعرة وفي سائر الطوائف المبتدعة مثل ذلك واذا نظرت الى السبب الذي من أجله ردوا النصوص تجد أنها هي الشبه التي أخذوها عن شيوخهم وزعمهم أن شيوخهم أعلم بالحق منهم وهكذا الأحزاب المعاصرة اذا سبرنا حالهم نجد أن السبب عندهم هو السبب الذي حمل المعتزلة والخوارج والجهمية والأشعرية على أخذهم تقعيد شيوخهم على أنه هو الأصل وما عداه فمشكوك فيه يتبين ذلك من الآتي :-

خامساً : أن الحزبية تقوم على التسليم بآراء الجماعة وتوزيعها ونشرها وجعلها قطعية الثبوت غير قابلة للنقد ولا للنقاش فالمؤسسون لها أجل من أن ينتقدوا وأكبر من أن يخطئوا في نظر اتباعهم فيتخذونهم بذلك أرباباً ومشرعين وينطبق عليهم قول الله تعالى ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لاإله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ (٢) .

وفي حديث عدي ابن حاتم رضي الله عنه أنه دخل على النبي ﷺ وفي عنق عدي صليب من فضة (وذلك حين قدم عليه أول قدومه) ورسول الله ﷺ يقرأ ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم من دون الله ...﴾ قال فقلت إنهم لم يعبدوهم قال بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فتلك عبادتهم إياهم) (٣) .

ولقد خبرنا أصحاب الحزبيات خبرة تجربة ومعرفة لواقعهم بسبب إحتكاكنا

---

١) سورة الجاثية آية ١٨-١٩ .

٢) سورة التوبة آية ٣١ .

٣) تفسير ابن كثير ٣٤٩/٢ تفسير الآية ٣١ من سورة التوبة وعزى الحديث الى أحمد والترمذي وابن جرير الطبري .

بهم فوجدناهم يأخذون ما جاء من قادة حزبهم ومؤسسيه والمنظرين فيه بمنظار الحصانة عن النقد ولو انتقد أحد من خارج حزبهم عادوه وجعلوا نقده ظلماً وتجنياً حتى ولو كان نقداً في الصميم وأذكر بهذه المناسبة أنه لما انتشر كتاب وقفات مع كتاب للدعاة فقط لمحمد بن سيف العجمي اخذت نسخة منه وأعطيتها لواحد من المنتمين الى جماعة الإخوان رجاء أن يتأثر به ويرى مافيه من نقد للإتجاه الإخواني مدعماً بأرقام من كتبهم ولما ناولته علقت عليه تعليقه بسيطه مثنياً على صاحب الكتاب أنه بذل جهداً في تتبع أخطاء الإخوان من كتبهم وبالأخص الأخطاء في العقيدة مبيناً اسم الكتاب الذي وردت فيه ورقم الصفحة . لكن الرجل عبس وبسر وقلب في النظر مستغرباً للأمر الذي بدر وأخذ يحاورني في المنهج الإخواني قليلاً ثم ذهب .. وبعد بضع سنوات ظهر كتاب جلسات لجاسم مهلهل فوصلت إلي نسخة منه فقرأتها متأملاً ومستغرباً هل سيرد على العجمي شيئاً من ذلك الكلام وتلك الأرقام ويكذبه فيه ولكني بعد أن قرأت كتاب جلسات من فاتحته الى خاتمته لم أرة رد شيئاً من الحقائق التي ساقها محمد بن سيف العجمي جزاه الله خيراً .

وبعد ذلك لقيت صاحبي الذي شمخر من كتاب وقفات لكونه نقد رؤسائهم فيما كتبوا وبيده بضع نسخ من كتاب جلسات يوزعها فناولني نسخة منها وهو يضحك فرحاً وسروراً يكاد يطير فرحاً وظن أنها لم تصلني وحسب أنهم انتصروا على العجمي فقلت في نفسي قاتل الله الجهل . أقول هذا وأنا لا أعرف العجمي ولا المهلهل ولكني عرفت الحق والحمدلله . وقد أخبرني رئيسه فيما بعد ولم يسمه فقال أعطيت أحد الإخوان نسخة من كتاب وقفات فجاء بها إلي وقال هذا الكتاب أعطاني فلان ولم أقرأه وأأكد أن الرئيس والمرؤوس كلاهما من طلابي فبدل ما يأخذون كتاب العجمي والمهلهل ويأتون بها إلي ويستشيروني فيهما بدلاً من هذا وقفوا من كتاب العجمي موقف العداء . لأول مرة وأخذوا كتاب المهلهل على أنه الحق الذي لاشك فيه واذا نظرنا في السبب الحامل لهم على ذلك لانجد شيئاً سوى أن هذا يتخاطب معهم من داخل دائرة الحزب وذلك يتخاطب معهم من خارجها وما جاء من داخل الحزب فهو الحق عندهم الذي لاشك فيه يجب أن نغمض أعيننا ونأخذه كما تأخذ الدواء معتقدين فيه النفع وإن كان مراً . فالحزبية تجعل المر حلوا والباطل حقاً وهذا أكبر دليل على أن الحزبية شر وأي شر .

وليعلم الذين يقولون إن الإخوانيين في المملكة غير الإخوانيين في مصر والشام وغيرهما لأن هؤلاء درسوا التوحيد في المدارس والمعاهد والكليات منذ

نعومة أظفارهم وإلى أن تخرجوا وقد كنا نصدق هذا الكلام إلى حد كبير ونقول إن الذين غذوا بالتوحيد من الصغر لايمكن أن يفرطوا فيه مهما كان الأمر ولكن لما رأينا موقف الاخوانيين من كتاب الوقفات الذي جمعه صاحبه من بطون كتب الإخوان غيرة على التوحيد وغيرة على الدعوة أن يتبناها من هو غارق في الشركيات والبدعيات ويغتر الناس به نظن ظناً يشبه اليقين أن هذه هي الدوافع الى ما كتب وبدلاً من أن يشكره هؤلاء الموحدون ويثنوا عليه بعمله العظيم وجهده المضني من أجل بيان الحق بدلاً من ذلك تنكروا له وأبغضوه وأبغضوا حتى من وزع كتابه وإن كان له عليهم حق الأستاذية والمربي فحسبينا الله ونعم الوكيل .

ومع أن أخطاء هؤلاء في العقيدة بل بعضها يهدم الاسلام بالكلية كمن يستغيث بالنبي ﷺ ومن يزعم أن دعوة أصحاب الأضرحة والاستغاثة بهم تذوق ومن يثني على الطريقة الرفاعية ويقول إن المنتمين اليها يضرب أحدهم بالشيش من ظهره حتى يخرج من صدره فلا يضره ، سبحان الله . النبي الكريم وخاتم الرسل وأفضل الخلق عند الله واقربهم إليه وسيلة وأعلاهم عنده مقاماً يضرب يوم أحد على رأسه فتغوص حلقتا المغفر في وجنتيه فسال الدم وقال كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فأنزل الله عزوجل ﴿**ليس لك من الأمر شيئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون**﴾ (١) . أما صاحب الطريقة الرفاعية فيضرب بالشيش في ظهره حتى ينفذ من صدره فلا يضره أهذا منطق داعية ومؤلف ومنظر أومنطق شيطان مضل يريد أن يضل الناس يفضل أصحاب الطرق المنحرفة على رسول الله ﷺ فاقول أين الغيرة على التوحيد من هؤلاء الذين درسوه منذ نعومة أظفارهم وأين الولاء والبراء الذي هو من أسس الايمان وقواعده حتى نفي الله عزوجل الايمان عمن يوالي أعداءه ويوادهم وأتوقع أن الذين يعتنقون المنهج الإخواني سيقولون أن الذين نتولاهم من خيره المسلمين فقد بذلوا جهداً مضنياً في الدعوة إلى الله فوقفوا في وجه المد الشيوعي الناصري رغم مالاقوه من تعذيب وقتل وتشريد وأقول إن اي دعوة لاتكون مبنية على الأسس والقواعد التي سنها الرسول ﷺ فهي غير مرضية عند الله عزوجل حسب ما علمنا من شرعه المطهر الذي جاءت به المصادر الشرعية من كتاب وسنة وقد قال الله عزوجل منوهاً بذلك في كتابه ﴿**قل هذه سبيلي أدعوا بها على بصيرة أنا ومن**

---

١) سورة آل عمران آية ١٢٨ .

اتبعني﴾ (١) .

فالضمير في (قل) يعود على النبي ﷺ قل يامحمد هذه سبيلي هذه طريقي فالإشارة الى ماكان يسير عليه في دعوته وهي طريقته التي مشى عليها في دعوته حيث دعا الى نبذ جميع الآلهة التي تعبد مع الله عزوجل .

قال ابن جرير في تفسير هذه الاية من تفسيره يقول تعالى ذكر لنبيه محمد ﷺ (قل) يا محمد (هذه) الدعوة التي أدعوا إليها والطريقة التي أنا عليها من الدعاء الى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان والإنتهاء الى طاعته وترك معصيته (سبيلي) وطريقتي ودعوتي (أدعوا الى الله) وحده لاشريك له (على بصيرة) بذلك ويقين علم مني (أنا و) يدعوا اليه على بصيرة أيضاً (من اتبعني) وصدقني وآمن بي) (٢) أهـ .

فتبين من هذا أن الإشارة إلى الطريقة التي سار عليها في دعوته ﷺ من نبذ جميع الآلهة التي تعبد مع الله عزوجل فمن اتخذ لنفسه طريقاً غير طريقة النبي ﷺ فتغاضى عن الوثنية القائمة وظن أن من يتطوفون بالاضرحة ويذبحون لها ويدعون أصحابها معتقدين فيهم القدرة على مالا يقدر عليه إلا الله عزوجل اعتقد انهم مسلمون فإن دعوته هذه باطلة من أساسها ومردودة عليه ، دليلنا على ذلك قول الله ﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً**﴾ (٣) . وقوله ﴿**وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله**﴾ (٤) وإن أول شيء يجب أن يطاع فيه هي طريقة الدعوة الى الله وكم في القرآن من آيات عالجت الشرك وفندت مزاعم المشركين وبينت بطلانها .

وإن ثناء المؤسس للمنهج الإخواني على المرغني وهو أحد أقطاب الصوفية القائلين بوحدة الوجود وتغاضيه عن الأضرحة القائمة في مصر بل ومحاضرته في بعضها وتبنيه لدعوة التقريب بين أهل السنة والشيعة لأعظم دليل على أن دعوته بعيدة كل البعد عن نهج النبي ﷺ بل يجب أن نقول أنها مناقضة لها وسأنقل في المئآخذ على الإخوان ما يبين ذلك .

وأخيراً فإن اقرار الوثنيـة أمـر يهدم كل عمل ويجعل كل جهد ولو كان محاربة للشيوعية غير مقبول عند الله لأن الله لا يقبل من أعمال العباد إلا ماكان

---

١) سورة يوسف آية ١٠٨ .

٢) تفسير الطبري جـ ٧٩/١٣ .

٣) سورة النساء آية ٨٠ .

٤) سورة النساء آية ٦٤

خالصا له صوابا على طريقة نبيه ﷺ قال تعالى ﴿**فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً**﴾ (١) .
فهل فهم هؤلاء أنهم قد أعطوا قيادهم لمن لايجوز أن يعطوه له وبالله التوفيق

سادساً : واذا كانت الحزبية سبباً للفرقة والفرقة أول معول يضرب في وحدة الأمة وتماسكهافإن تعدد الأحزاب سبب في تعدد مناهجها الفكرية وتعدد المناهج الفكرية سبب في اضطراب الأحزاب والإضطراب سبب في الهزائم التي تحل بالمسلمين وهل يمكن لأمة منقسمة على نفسها أن تصمد أمام العدو .

سابعاً : ومن مضار الحزبية أن أداء الشعائر التعبدية المأمور بها شرعاً يتحول الأداء فيها من واجب تعبدي إلى واجب حزبي فيخدش الإخلاص إن لم يهدمه ويكون الملاحظ في الأداء هو إرضاء الحزب لا إرضاء الله .

ثامناً : أنه اذا أمر قائد الحزب بالحرص على أي عمل مستحب وأكد عليه بالغ التابعون حتى يحولوه الى واجب فيصير المستحب واجباً عند المتحزبين فيه وبذلك يكونون قد جعلوا له حكماً غير الحكم الشرعي الذي وضعه الله ورسوله .

تاسعاً : ومن مساوئ الحزبية الإنقسام فربما انقسم الحزب إلى حزبين أو أحزاباً كما يقال عن الجرثومة أنها تنشطر ثم الشطر ينشطر وهكذا أما الجماعة السلفية أتباع السنة المحمدية فهم مازالوا منذ بزوغ فجر الإسلام على عقيدة واحدة إلى يومنا هذا أما الإختلاف في الفروع فهو أمر مسلم به وقد حصل بين الصحابة والتابعين ولم يؤد الى خلاف ولا تباغض ولا تناحر ولا تقاتل فافهم رعاك الله وحماك من شر الحزبية ووفقك للأخذ بالطريقة السلفية فهي النجاة . نسأل الله أن يثبتنا عليها حتى نلقاه ونحن إمامنا رسول الله ﷺ ومن سار على نهجه واقتفى أثره من أئمة الهدى وحملة الحديث رضي الله عنهم أجمعين

---

١) سورة الكهف آية ١١٠ .

الباب التاسع في بيان ما انتقد على الإخوان المسلمين

اعلم وفقني الله وإياك أنا حينما نعرض لبيان ما انتقد على الإخوان أو غيرهم إنما نفعل ذلك إن شاء الله بياناً للحق ونصيحة للخلق وأداء للواجب الذي نيط بحملة العلم الذين حملهم الله هذه المسئولية وكلفهم بها في قوله جل وعلا ﴿**إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولائك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولائك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم**﴾ (١) .

وكلفهم بها رسوله ﷺ حيث يقول بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعداً فليتبؤ مقعده من النار) (٢) ويقول (ليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى له من شاهد) (٣) ويقول (نظر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها) (٤) .

وكما أوجب الله عزوجل على أهل العلم أن يبينوا للناس مافي الكتاب والسنة من أحكام وشرائع وقضايا فقد أوجب الله عليهم أن يردوا على من خالفها مخالفة قليلة أو كثيرة في مسألة أو مسائل أو قضية أو قضايا اذا كانت المخالفة في الأصول والعقائد وإن وجوب ذلك عليهم لايقل أهمية عن وجوب بيان الأصول في الدين إن لم يكن آكد لأن الأحكام التي لم يصبها تشويه ولا تحريف ستبقى محفوظة ومأمومة للناس في كل زمان ومكان علمها من علمها وجهلها من جهلها . أما الأحكام والقضايا المشوهة وأقصد بالمشوهة التي شوهتها أفهام معكوسة وعقول انحرفت عن الحق بسبب ما أصابها من جراء التلقي فظنوا ديناً ماليس بدين وظنوا حقاً ماهو باطل حتى واجهوا الحقيقة المرة وانطبق عليهم قوله تعالى ﴿ **قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً**﴾ (٥) ونحن نؤمن أن

---

١) سورة البقرة آية ١٥٩.

٢) صحيح الجامع رقم ٢٨٣٤ .

٣) أخرجه البخاري في كتاب العلم من حديث أبي بكرة باب قول النبي ﷺ رب مبلغ أوعى سامع وأخرجه مسلم في الحج باب ٨٢ رقم الحديث ٤٤٦ .

٤) رواه جماعة من الصحابة في عدة ألفاظ متقاربة انظر موسوعة أطراف الحديث جـ ٣٧/٣٦/٣٥/١٠ .

٥) سورة الكهف آية ١٠٣-١٠٥ .

من لم يلق الله بالتوحيد الذي ما أنزلت الكتب وأرسلت الرسل وحقت الحاقة وخلقت الجنة والنار إلا من أجله أنه سيواجه الحقيقة المرة حتى وإن كان ممن يزعم أو يزعم له أنه من الدعاة إلى الله ومن شك في هذه الحقيقة فليعلم أنه لم يعرف الدين الإسلامي الذي جاء به محمد رسول الله ﷺ والذي تحدث عنه القرآن فأسهب وبين ما يناقضه بياناً شافياً ولا يتسرب إليه شك ولا يبقى وراءه للحقيقة مطلب كقوله تعالى ﴿إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثماً عظيماً﴾ (١) وقوله تعالى ﴿إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾ (٢) .

وقوله تعالى ﴿وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ومالظالمين من انصار﴾ (٣) .

ولما عدد الله عزوجل الأنبياء في سورة الأنعام قال تعالى ﴿ولو أشركوا لحبط عنهم ماكانوا يعملون﴾ (٤) وقوله تعالى ﴿ولئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ (٥) وقد صدر الله هذا الخبر باللام الموطئة للقسم وهي من حروف التأكيد مبيناً لرسوله ﷺ أنه لئن صدر منه الشرك هو وهو أحب الخلق اليه وأعلاهم عنده مقاماً وأعظمهم عنده جاهاً ليحبطن عمله وليكونن من الخاسرين وحاشاه من الشرك ولكن هذا على سبل الإفتراض فتبين من هذه الآيات أن الشرك الأكبر محبط للعمل ومخرج من الملة وموجب للخلود في النار .

وقد قلبت الصوفية الحقائق الشرعية فزعمت أن دعاء المخلوقين ممن تزعم لهم الولاية وتدعى لهم الكرامات سواء كانوا أحياء أو أمواتاً والإستغاثة بهم في الشدائد أن ذلك هو محض الدين ولبه وحقيقته بل غلت في الأولياء حتى جعلت الرب منهم أقطاباً يتصرفون في الكون ثم زادت في الغلو حتى جعلت إلهها ومعبودها حالاً في مخلوقاته أو بعض مخلوقاته (٦) .

---

١) سورة النساء آية ٤٨ .

٢) سورة النساء آية ١١٦ .

٣) سورة المائدة آية ٧٢ .

٤) سورة الأنعام آية ٨٨ .

٥) سورة الزمر آية ٦٥ .

٦) انظر كتاب هذه هي الصوفية لعبدالرحمن الوكيل أو الكشف عن الصوفية لأول مرة وسترى أن الصوفية كلها داء عضال وسم قاتل وبلاء ليس فوقه بلاء فإن كنت قد عوفيت منها فاحمد الله على العافية.

وأخيراً فهل ترون أن من يتربى في أحضان الصوفية يخرج سالماً من معرتها لا والله إلا من يشاء الله إنقاذه بل أقل أحواله أن يخرج مسلوب الحساسية من الشرك الأكبر الذي يهدم الإسلام ويقوضه من أركانه وإذا ذهب التوحيد فقد ذهب الإسلام وكل دعوة لاتبنى على التوحيد فهي باطلة لأنها أسست على غير الأساس الذي أسس عليه رسول الله ﷺ دعوته .

وقد آن لنا أن نشرع فيما قصدناه والله يعلم اني لم أقصد تجريح أحد إلا أن يكون في ذكر ذلك الجرح مقصد ديني بأن يكون في ذلك نصيحة لمن اغتر بشخص أو منهج كما فعل ذلك السلف رحمهم الله تعالى حيث قدحوا فيمن قدحوا فيه نصحاً للأمة وبياناً للحق وكتب الجرح والتعديل مليئة بذلك .

قال الإمام مسلم ابن الحجاج رحمه الله في مقدمة الصحيح وحدثنا عمرو ابن علي أبو حفص قال سمعت يحيى ابن سعيد قال سألت سفيان الثوري وشعبه ومالكاً وابن عيينة عن الرجل لايكون ثبتاً في الحديث فيأتيني الرجل فيسألني عنه قالوا أخبر عنه أنه ليس بثبت .

وحدثنا عبيدالله ابن سعيد قال سمعت النضر يقول سئل ابن عون عن حديث لشهر وهو قائم على أسكفة الباب فقال إن شهراً نزكوه إن شهراً نزكوه قال مسلم رحمه الله أخذته الألسن تكلموا فيه وروى بسنده الى الشعبي قال حدثني الحارث الأعور الهمداني وكان كذاباً وبسنده الى ابن عون قال قال لنا إبراهيم إياكم والمغيرة بن سعيد وأبا عبدالرحيم فإنهما كذابان ، وحدثنا أبو كامل الجحدري حدثنا حماد وهو ابن زيد حدثنا عن عاصم قال كنا نأتي أبا عبدالرحمن ونحن غلمة أيفاع فكان يقول لنا لاتجالسوا القصاص غير أبي الأحوص واياكم وشقيقاً وكان شقيق يرى رأي الخوارج (وهو غير شقيق ابن سلمة ...) أهـ . من مقدمة صحيح مسلم الكشف عن معايب الرواه .

وهذا أوان الشروع في الملاحظات والقوادح :-

أول هذه الملاحظات التهاون في توحيد العبادة وعدم جعله أساساً وقاعدة ينطلقون منها ومن الأدلة على ذلك أن مؤسس الحزب ومقرر المنهج الإخواني

الشيخ حسن البناء (١) حاضر في وكر من أوكار الشرك بل من أكبر أوكاره في

---

١) حسن البناء قال في كتاب النقط فوق الحروف لاحمد عادل كمال صــ ٨١ ولد الأستاذ حسن البناء بقرية المحمودية مديرية البحيرة بمصر سنة ١٩٠٤ .

وتلقى أول دراسته في كتاب القرية في المدرسة الإعدادية بالمحمودية ثم في مدرسة المعلمين الاولية بدمنهور ثم في دار العلوم بالقاهرة–وقد تميز في كل هذه المراحل بأنه كان دائماً أول الناجحين حيث كان موضع فخر أساتذته ورعايتهم وكان من المتوقع أن ترسله وزارة المعارف لإنجلترا أو فرنسا على عادتها في إيفاد أوائل الحاصلين على دبلوم دار العلوم لولا ظروف خاصة جعلت الوزارة تخرج عن ذلك التقليد .

حصل الأستاذ على دبلوم دار العلوم ولم يبلغ الحادية والعشرين من عمره فتم تعيينه مدرساً بمدرسة الإسماعيلية الاميرية في الدرجة السادسة وتسلم عمله في عشرين في ٢٠/سبتمبر ١٩٢٧ واستمر بعد ذلك مدرساً في المدارس الإبتدائية تسع عشرة سنة لم ينل فيها الدرجة الخامسة إلا بحكم قانون الموظفين المسنين .

وفي مايو ١٩٤٦ استقال الأستاذ من وظيفته بوزارة المعارف بمناسبة إنشاء الجريدة اليومية للإخوان المسلمين أهـ من كتاب النقط على الحروف صــ٨١/٨٣ بتصرف .

قلت وقد نشأ حسن البناء من أول يومه ونعومة أظفاره نشأة صوفية وقد ذكر ذلك البنانفسه في كتابه مذكرات الدعوة والداعية مفتخراً ومغتبطا فقال في صــ٢٧/ وصحبت الإخوان الحصافية بدمنهور وواظبت على الحضرة بمسجد التوبة في كل ليلة .

ثم قال وحضر السيد عبدالوهاب المجيز في الطريقة الحصافية الشاذلية وتلقيت الحصافية الشاذلية عنه وآذنني بأدوارها ووظائفها .

وقال جابر رزق في كتابه حسن البناء بأقلام تلامذته ومعاصريه صـ٨ وفي دمنهور توثقت صلته (يعني حسن البناء) بالإخوان الحصافية وواظب على الحضرة كل ليلة في مسجد التوبة مع الإخوان الحصافية ورغب في أخذ الطريقة حتى انتقل من مرتبة المحب الى مرتبة التابع المبايع .

بل شارك في إنشاء جمعية صوفية حصافية كما ذكر في مذكراته صــ ٢٨ .

قال وفي هذه الأثناء بدا لنا أن نؤسس جمعية اصلاحية هي الجمعية الحصافية الخيرية وانتخبت سكرتيرا لها .... وخلفتها في هذا الكفاح جمعية الإخوان المسلمون بعد ذلك

قلت ليهنأ جماعة أو جمعية الإخوان عراقتها في الصوفية وانتمائها لها بانغماس مؤسسها في التصوف وكونها خلفت جمعية صوفية حصافية لتقوم بدورها وتؤدي غرضها فالله الله يا مؤحدون في عقيدة التوحيد ولا تضيعوها أو تميعوها اقرأوا القرآن وانظروا مافيه عن الشرك والمشركين من التحذير منه والوعيد عليه إقرأوا آية واحدة وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً وأضيفوا قوله تعالى ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين

اقرأوا السنة وسيرة النبي ﷺ في دعوته لتروا كيف دعا الى نبذ الأوثان وكسر الأصنام وتوحيد الملك العلام ثم اقرأوا عن الصوفية لتروا مافيها من شرك عظيم وتأليه للشيوخ بل لتروا مافيها من دعوة صريحة الى وحدة الوجود وإيمان بها واعلموا أن الشرك والبدع أمور طبيعية عند المتصوفة كل المتصوفة لايسلم منها حسن البناء ولا غيره وإن خالجكم شك في صدور الشرك منه والبدع فإليكم هذا

مصر وهو مشهد السيدة زينب .

نقل ذلك عباس السيسي في الجزء الأول من كتابه قافلة الإخوان المسلمون صـ ١٩٢ فقال كلمة الأستاذ المرشد العام في حفل الهجرة بالسيدة زينب جاء في كلمات الأستاذ المرشد العام في هذا الحفل ما يلي :-

لهذه المناسبة أيها الإخوة أنصح لكم نصيحة مخلصة أشدد عليكم في رعايتها وهي أن تطهروا قلوبكم وتصفوا سرائركم عمن نال منكم أو أساء إليكم فوالله

الخبر وإن شككتم في صحته فراجعوه في المصدر الذي نسب إليه .

نقل جابر رزق في كتابه حسن البناء بأقلام تلامذته ومعاصريه صـ ٧٠ / ٧١ عن مجلة الدعوة (١٣) فبراير ١٩٥١م حديث عبدالرحمن البناء عن أخيه حسن البناء قال فيه وعقب صلاة العشاء يجلس أخي (حسن البنا) الى الذاكرين من جماعة الإخوان الحصافية وقد أشرق قلبه بنور الله فأجلس الى جواره نذكر الله مع الذاكرين وقد خلا المسجد إلا من أهل الذكر وخبأ الصوت إلا ذبالة من سراج وسكن الليل إلا همسات من دعاء أو ومضات من ضياء وشمل المكان كله نور سماوي ولفه جلال رباني وذابت الأجسام وهامت الأرواح وتلاشى كل شيئ في الوجود وانمحى وانساب بصوت المنشد في حلاوة وتطريب

الله قل وذر الوجود وما حوى ... إن كنـــت مرتاداً بلوغ كمالي
فالكـــل دون الله إن حققتــه ... عدم على التفصيل والاجمالي

قلت هذان البيتان ينضحان بوحدة الوجود مع مافيهما من بدع الذكر الصوفي وقبل ذلك قول أخيه وتلاشى كل شيئ في الوجود وانمحى هذه عبارات أصحاب وحدة الوجود .

ونقل ايضاً في المصدر المذكور صـ٧/٧٠ عن عبدالرحمن البنا قوله وذلك أنه حين يهل هلال ربيع الأول كنا نسير في موكب مسائي كل ليلة حتى ليلة الثاني عشر ننشد القصائد في مدح الرسول ﷺ وكان من قصائده المشهورة في هذه المناسبة المباركة

صلى الاه على النور الذي ظهرا ... للعالمين ففاق الشمس والقمرا

كان هذا البيت تردده المجموعة ينشد أخي وأنشد معه

هذا الحبيب مع الأحباب قد حضرا ... وسامح الكل في قد مضى وجرى
لقـــــد أدار على العشاق خمرته ... صرفاً بكاس سناها يهذب البصرا
ياسعـــــد كرر لنا ذكر الحبيب لقد ... بلبلت أسماعنا يا مطرب الفقرا
وما لركـــب الحمى مالـت مغاطفه ... لاشك أن حبيب القوم قد حضرا

بواسطة دعوة الإخوان في ميزان الإسلام ٦٢/٦٣

قلت في هذه الأبيات ومقدمتها بدع أولها بدعة الإختفال بالمولد ٢ بدعة إنشاد المدح بصوت جماعي

٣ - زعم الصوفية أن النبي ﷺ يحضر احتفالاتهم المبتدعة وهذا كذب عليه عامل الله من إختلقه وصدقه بما يستحق وفيها كارثه كبرى ومصيبة عظمى وهي إسناد مغفرة الذنوب الى رسول الله ﷺ في قوله وسامح الكل فيما قد مضى وجرى وهذا شرك أكبر مخلد في النار قال تعالى ﴿ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾ وفي الحديث القدسي علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ، توفي البناء اغتيالاً سنة ١٩٤٩م

إني لضنين بهذه القلوب التي لاتعرف إلا معاني الحب في الله ولم تسعد إلا بمشاعر الأخوة الحقة الصادقة ، أضن بهذه القلوب الطاهرة أن تلوث بحقد أو تشوه ببغضاء وتنال من صفائها خصومه ، ان الدين حب وبغض ذلك حق ومن الايمان أن نحب في الله ونبغض في الله ولكن ما أشد أن نقهر على كره من نحب ، إن الايمان حب وبغض فأحبوا لأنكم بالحب تسعدون وبهذه العاطفة تجتمعون وعلى هذه المشاعر وبها ترتبطون فلا تحرموا قلوبكم نعمة الحب في الله تعالى ولا تحرموها شعور الحب الطاهر البريئ وادخروا حجر البغض وثورة الغضب لساعة آتية قريبة نلقى فيها خصومنا ولست أعني خصومنا في الداخل فليس لنا في الداخل خصوم ولله الحمد وأن كانوا فهم غثاء كغثاء السيل سيجرفهم الطوفان فإما ساروا واما غاروا أما كلمة الجهاد فعاطفة ملتهبة ومعاني الجهاد مثل حية باقية تتجه إليها قلوب أبناء هذه الأمة التي ظلمت واعتدى على حرياتها وحقوقها وأحيط بها من كل مكان . »

مناقشة الشيخ البناء في هذه الخطبة التي ألقاها في وكر من أعظم أوكار الشرك في مصر ألا وهو مشهد السيدة زينب ولم يذكر فيها حرفاً واحداً عن الشرك الأكبر الذي يجري في ذلك المشهد من الدعاء لغير الله والإستغاثة بغيره والنذر والذبح وغير ذلك وكأنه لم ير الطائفين حول القبر والمتمسحين به ولم يسمع الذين يرفعون أصواتهم بالدعوات للسيدة زينب طالبين منها الحاجات التي لاتطلب إلا من الله عزوجل وكأن الشيخ البناء لم يعتبر ذلك الشرك الأكبر الذي يسمعه ويشاهده حول ضريح السيدة زينب أمراً منكراً مخالفاً للشريعة الإسلامية بل مناقضاً للإسلام وهادماً له ومقوضاً لأركانه . إنه ينصح نصيحة مخلصة ويشدد في رعايتها ولكن ما هذه النصيحة يا ترى إنه ينصح بتصفية السرائر وتطهير القلوب من الغل والضغينة مع أنها مفعمة بالشرك الأكبر فهل هذه خطبة من يعتبر الشرك الذي يراه ويسمعه حول ذلك الضريح مناقضاً للإسلام أترك الجواب على هذا السؤال للقارئ ؟

ومن جهة أخرى فإن الله تعالى يقول **﴿والذين لايشهدون الزور وإذا مروا باللغوا مروا كراماً﴾** ومعنى لايشهدون الزور أي لايشهدون الباطل .

قال ابن كثير رحمه الله وهذه من صفات عباد الرحمن أنهم لايشهدون الزور قيل هو الشرك وعبادة الأصنام وقيل الكذب والفسق والكفر واللغو والباطل . وقال أبو العالية وطاووس وابن سيرين والضحاك والربيع ابن أنس وغيرهم هو أعياد المشركين وقال عمرو ابن قيس هي مجالس السوء والخنا وقال مالك

والزهري شرب الخمر لايحضرونه ولا يرغبون فيه .

قلت : القول بأن الزور الذي لايشهدونه هو الباطل بجميع أنواعه هو الأولى والأجمع ويدخل فيه الشرك بالله وأعياد المشركين وعبادة الأصنام وغير ذلك .

وإن مشهد السيدة زينب من أعظم أوكار الشرك التي تحارب فيها عقيدة التوحيد الذي أرسلت به الرسل وآخرهم محمد ﷺ ولا يجوز لمسلم أن يدخله إلا أن يكون منكراً لما يفعله أولئك المشركون فمن دخله ليحاضر فيه بشيئ غير الشرك فانه يكون قد شجع الشرك الاكبر وأقره وآوى أهله وإنه بذلك قد أوهم الجهال بأن ما يعملونه حق لاغبار عليه وعبادة يتقرب بها الى الله وهذا من أعظم الظلم والغش والخداع الذي حرمه الله ورسوله .

فإن قيل إن الشيخ البنا قد دعا الى الجهاد في هذه الخطبة فيكون قد أدى ما عليه قلنا أي جهاد الذي دعا إليه البنا اذا كان قد أقر الشرك الاكبر المخرج من الملة وما فائدة جهاد اليهود والنصارى إذا كنا مثلهم بل أردأ منهم فاليهود ألهوا عزيراً والنصارى ألهوا عيسى عليه السلام فقط أما الصوفية ومن دان بدينهم فقد ألهوا مالا يحصى من البشر فتجد قوماً يعبدون الحسين وآخرون يعبدون السيدة زينب وآخرون يعبدون البدوي وآخرون يعبدون الجيلاني وآخرون يعبدون الدسوقي وهلم جراً مالا يعد ولا يحصى من الآلهة فحسبنا الله على من أقر الشرك بالله في حين أنه يزعم أنه يدعوا الى الله .

والخلاصة : أن كل من دعى إلى جهاد ولم يؤسسه على التوحيد الذي أسس عليه رسول الله ﷺ جهاده فإنه قد ضل وأضل وأخطأ الطريق الأمثل الذي سار عليه كل نبي مرسل ونطق به كل كتاب منزل .

أما قول البناء في رسالة التعاليم في الأصل الرابع من الأصول العشرين والتمائم والرقى والودع والمعرفة والكهانة وادعاء معرفة علم الغيب وكل ما كان من هذا الباب منكر تجب محاربته إلا ماكان آية من قرآن أو رقية مأثورة (١) أهـ.

وقال في النص الرابع عشرص١٦٦ من نفس المصدر وزيارة القبور أياً كانت سنة مشروعة بالكيفية المأثورة ، ولكن الإستعانة بالمقبورين أياً كانوا وندائهم لذلك وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد والنذر لهم وتشييد القبور وسترها وإضائتها والتمسح بها والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها ولا نتأول لهذه الأعمال سداً للذريعة . أهـ .

---

١) من كتاب نظرات في رسالة التعاليم لمحمد عبدالله الخطيب ومحمد عبدالحليم حامد٨٠.

وأقول أولا وقبل كل شيئ في هذين المقطعين أو الأصلين الذين كتبهما الأستاذ البناء خلط يدل على عدم تمييزه بين البدعة والشرك الأكبر والشرك الأصغر فمزاولة الكهانة وإدعاء معرفة علم الغيب شرك أكبر مخرج من الملة وكذلك الإستعانة بالمقبورين أياً كانوا وندائهم لذلك وطلب قضاء الحاجات منهم والنذر لهم والتمسح بقبورهم كل ذلك شرك أكبر مخرج من الملة وكذلك تعلق التمائم والودع إن اعتقد فيه أنه يدفع عنه الجن أو ما أشبه ذلك كل هذا من الشرك الأكبر مثل شرك العرب الذين قاتلهم رسول الله ﷺ واستباح سفك دمائهم وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم . وأما الشرك الأصغر فهو كالحلف بغير الله تعالى والرقية إذا كانت بغير المشروع ولم يكن فيها إستغاثة بالجن أو غيرهم أما البدع فهي البناء على القبور وسترها والاضاءة لها . فالدمج بين هذه الأمور المتفاوتة في الحكم دال على عدم معرفته للتفصيل فمن دعا غير الله وطلب منه جلب النفع ودفع الضر فقد كفر قال الله تعالى ﴿ **ومن يدع مع الله إلهاً آخر لابرهان له به فانما حسابه عند ربه إنه لايفلح الكافرون**﴾ (١) وفي الحديث « من أتى كاهناً لم تقبل له صلاة أربعين ليلة » . وفي رواية فقد كفر بما أنزل على محمد (٢) فاذا كان هذا في حق الآتي الى الكاهن فما بالك بالكاهن نفسه . ومن ادعى علم الغيب فقد كفر ومن اعتقد فيه ذلك فقد كفر فمن زعم أن هذه الأمور من الكبائر التي لايخرج بها صاحبها من الإسلام فهو أحد رجلين إما جاهل لايعرف الأحكام الشرعية وإما مفتون يريد أن يضل الناس .

وأما الحلف بغير الله فهو شرك أصغر لايخرج من الإسلام بدليل أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يحلفون بآبائهم وبالكعبة وبالنبي ﷺ ثم نهوا عن ذلك بقول النبي ﷺ « لاتحلفوا بآبائكم من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليسكت» .

أما البناء على القبور وسترها والاضائة لها فهي بدع اذا لم يصحبها دعوة للمقبورين ولا توسل بهم ، ولو قدر أنه يقصد بالمنكر الشرك والكفر فأين العمل بهذا التقرير وقد أقر العامة على دعوة المقبورين وتأليههم .؟

ولقد انعكس هذا أي التهاون بتوحيد الألوهية واستمراء الشرك الذي

---

١) المؤمنون آية ١١٧ .

٢) الرواية الأولى رواها مسلم في كتاب السلام باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان .

الرواية الثانية : أخرجها الإمام أحمد في المسند جـ٢صـ٤٢٩ والحديث رجاله ثقات مخرج لهم في الصحيحين أخرجه البخاري جـ٥ صـ ٥٣ ومسلم في كتاب الايمان رقم ٤ .

يناقضه وعدم الحساسية منه وعدم اعتباره ردة يهدم الإسلام ويقوضه من أصله إنعكس هذا الوضع الذي عاشه البنا في دعوته على جميع القادة والمنظرين في هذا المنهج فخيرهم الساكت عنه والمقر له وإن كان الساكت عن الشرك لاخير فيه بل من المنظرين والقادة في المنهج الاخواني من وقع في الشرك الاكبر كما سيأتي عن سعيد حوى وعمر التلمساني ومصطفى السباعي فضلاً عن غيرهم .

فصل

هل أن من قال لاإله إلا الله وهو مع ذلك يدعوا المقبورين ومن يسميهم بالأولياء من دون الله فيما لايقدر عليه إلا الله هل يعتبر مسلماً وما هو الدليل على ذلك .

والجواب وبالله التوفيق ومنه استمد العون والتوفيق والسداد اعلم أن من قال لاإله إلا الله وهو يدعو غير الله راجياً منه جلب النفع ودفع الضر الذي لايقدر على جلبه أو دفعه الا الله أو ينذر له أو يذبح على اسمه أو يستغيث به ويستجير فهو مشرك شركاً أكبر كافر بوحدانية الله وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم ولو كرر لاإله إلا الله في اليوم سبعين ألف مرة فإن ذلك لاينفعه أبداً حتى يكفر بما يعبد من دون الله . وإليك الأدلة من الكتاب والسنة .

الدليل الأول : من القرآن الكريم قول الله عزوجل **﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾** (١) فتبين من هذه الآية أن الله عزوجل أرسل الرسل بشيئين أولهما الإيمان بالله وحده وعبادته بما شرع على ألسنة رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ثانياً : الكفر بالطاغوت واجتنابه وكل ما عبد من دون الله فهو طاغوت والطاغوت مشتق من الطغيان ومن حق كل مخلوق أن يكون عبداً لله فإذا عبد من دون الله فقد تجاوز به عابده حده ومن أجل ذلك سمي طاغوتاً ووثناً سواء كان

---

١) سورة النحل آية ٣٦

المعبود ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً أو ولياً (١) أو شيطاناً أو إنسياً أو جنياً أو حجراً أو شجراً . أو منحوتاً أو غير منحوت فمن عبد الله ولم يكفر بالطاغوت لم تصح عبادته ولم تقبل منه حتى يكفر بما يعبد من دون الله.

الدليل الثاني : أن الأمر بالعبادة جاء في القرآن الكريم مقترناً بالنهي عن الشرك تارة كقوله تعالى ﴿**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً**﴾ (٢) فتكون العبادة المأمور بها هي العبادة الخالية عن الشرك بالله ، أو مقترناً بالأداة الحاصرة التي تفيد حصر العبادة وقصرها على الله دون غيره كقوله تعالى ﴿**أمر ألا تعبدوا إلا اياه ذلك الدين القيم**﴾ (٣) وكقوله تعالى ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ (٤) أو مقترنة بالحال الدالة على صفاء العبادة ونقاءها من شوائب الشرك كقوله تعالى ﴿**فادعوا ٱللَّهَ مخلصين له الدين**﴾ (٥) أي حال كونكم مخلصين الدعاء له . وقوله ﴿**قل الله أعبد مخلصاً له ديني فاعبدوا ماشئتم من دونه**﴾ (٦) فإن ورد الأمر بالعبادة مطلقاً في بعض المواضع فهو محمول على المقيد كما تقرر في الأصول . ويستفاد من هذا أن أي عبادة تكون مخلوطة بالشرك فإنها مردودة على صاحبها وغير مقبولة منه البتة ويؤكد هذا ويدل عليه ما ورد في الحديث القدسي وهو الدليل الثالث أن النبي ﷺ أخبر عن ربه جل وعلا أنه قال أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً اشرك معي فيه غيري تركته وشركه) (٧) .

الدليل الرابع : إن الله عزوجل وصف المعبودين بالعجز وعدم القدرة على

---

١) ملحوظة : الملك والنبي والعبد الصالح لايسمى أحد منهم طاغوتاً لأنهم لايرضون لأحد أن يعبدهم من دون الله ومن عبدهم فإنما عبد الشيطان في الحقيقة والدليل على ذلك محاورة ابن الزبعري للنبي ﷺ حين نزل قول الله تعالى ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حَصَبُ جهنم أنتم لها واردون﴾ الآيات . ثم نزل بعدها ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لايسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون ﴾ وقال النبي ﷺ (يمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى ولمن كان يعبد عزيزاً شيطان عزيز) وأخيراً فالشيطان الذي دعاهم إلى عبادة غير الله هو الطاغوت .

٢) سورة النساء آية ٣٦ .

٣) سورة يوسف الآية ٤٠ .

٤) سورة الفاتحة آية ٥ .

٥) سورة غافر الآية ١٤ .

٦) الزمر الآيتين ١٤/١٥ .

٧) أخرجه في الإتحاف جـ٨ صـ٢٦٣ جـ١٠ صـ٥١/٦٣ صفة الصفوة ٢١٣ /ترغيب ٦٩/١ .

جلب النفع لعابديهم فقال ﴿ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم﴾ (١)

وقوله على لسان إبراهيم عليه السلام أنه قال ﴿إن الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون﴾ (٢) .

الدليل الخامس : أن الله عزوجل وصف المعبودين بالعجز عن الخلق والإيجاد حتى لأضعف المخلوقات وأحقرها ولو اجتمعوا كلهم فقال ﴿إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾ (٣) .

الدليل السادس : أن جميع الآلهة المتخذه مخلوق والمخلوق الذي وجد بعد العدم لايصح أن يكون إلهاً فقال جل من قائل ﴿واتخذوا من دونه آلهة لايخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً﴾ (٤) .

الدليل السابع : أن الله عزوجل أخبر أن العابدين والمعبودين سيردون الى جهنم ويكونون وقوداً لها وهذا إنما يتحقق في المعبودين الذين رضوا بعبادة أنفسهم من دون الله فقال جل من قائل ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون﴾ (٥)

الدليل الثامن : أن الله عزوجل قرر ضعف المدعوين من دونه وإفلاسهم وفقرهم فقال ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير﴾ (٦)

ولما إمتن الله على عباده بذكر شيء من أنعمه التي بدأها بقوله ﴿والله خلقكم من تراب ثم من نطفة﴾ إلى أن قال ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في

---

١) سورة الفرقان الآية ٥٥ .

٢) العنكبوت الآية ١٧ .

٣) الحج الاية ٧٣ .

٤) الفرقان الآية ٣.

٥) الأنبياء الآيتين ٩٨/٩٩ .

٦) سورة سبأ الآية ٢٢ .

الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير إن تدعوهم لايسمعوا دعاؤكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير﴾ (١) .

ثم قال **﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز﴾** (٢) .

فهل أصحاب الأضرحة وسكان القبور الذين يضفي عليهم أصحاب النحلة الصوفية القداسة ويدعون لهم شيئاً من التصرف داخلون فيما أخبر الله عزوجل به عن كل من عبد من دونه من العجز والضعف وعدم الملك وعدم القدرة على ما يطلب منهم فإن قلتم يامن تدعونهم من دون الله وأنتم يامن تقرون ذلك وتزعمون أنه ليس بمنكر نعم وهو الحق خصِمْتم ولزمكم أن تذعنوا للحق وتعودوا إلى الصواب فتتركوا عبادة غير الله وتنكروا الشرك وعبادة الأصنام فإن قلتم نحن لاندعوا الأصنام وإنما ندعوا الأولياء الذين قال الله عنهم **﴿ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون﴾** (٣) .

فالجواب أولاً أن الموصول الذين من أدوات العموم فيشمل كل من دعى وعبد من من دون الله من ملك ونبي وولي وشجر وحجر وصنم وغير ذلك .

ثانياً : إن قلتم أن الأولياء مستثنين من هذا ؟ فهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين .

ثالثاً : واذا كان الله عزوجل قال لنبيه وأفضل عباده وأقربهم إليه وسيلة وأعظمهم عنده جاهاً **﴿قل لاأملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ماشاء الله﴾** (٤) فغيره من باب أولى . وأخيراً فمن دعا غير الله أياً كان المدعو ولياً أو نبياً أو ملكاً أو إنسياً أو جنياً أو صنماً أو غير ذلك ، فقد اشرك بالله شركاً أكبر يخرج من الملة وناقض هذه الايات التي ذكرناها وإن قال لاإله إلا الله وصلى وصام وزعم أنه مسلم .

وعلى ذلك جاءت السنة ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يوماً بارزاً للناس فأتاه رجل فقال يا رسول الله ما الإيمان

---

١) الآيات من سورة فاطر من آية ١١/الى آية ١٤ .

٢) الآيات من سورة فاطر أيضاً من ١٥/الى الآية ١٧ .

٣) الآية ٦٢ من سورة يونس .

٤) الآية ١٨٨ من سورة الأعراف .

قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر قال يا رسول الله ما الإسلام قال أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبه ....) (١) الحديث .

فقد وصف النبي ﷺ الإسلام بقوله تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ويظهر من هذا أن العبادة لاتكون عبادة إلا اذا كانت نقية من الشرك كما تقدم في الحديث القدسي أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه) (٢) .

وقد جاء في السنة أحاديث كثيرة بمثل هذا القيد للعبادة . ومنها ما رواه مسلم من حديث أبي أيوب رضي الله عنه أن أعرابياً عرض لنبي الله ﷺ وهو في سفر فأخذ بزمام ناقته ثم قال يارسول الله أو يامحمد أخبرني بما يقربني من الجنة ويباعدني من النار ، قال فكف النبي ﷺ ثم نظر في أصحابه ثم قال لقد وفق أو لقد هدى قال كيف قلت قال فأعاد فقال النبي ﷺ تعبد الله لاتشرك به شيئاً ونقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم دع الناقة) (٣) وفي صحيح مسلم من حديث ابن عمر مرفوعاً بني الإسلام على خمس أن يوحد الله ...) الحديث في باب أركان الإسلام ودعائمه من كتاب الإيمان .

وفي صحيح مسلم أيضاً باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لاإله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويؤمنوا بجميع ماجاء به النبي ﷺ وقتال من منع الزكاة أو غيرها من حقوق الإسلام .

أورد في حديث أبي مالك عن أبيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من قال لاإله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله (٤) .

وقد تبين من جميع ما سبرناه أن من قال لاإله إلا الله بلسانه وناقضها بأفعاله كأن يدعوا المخلوقين ويعتقد فيهم القدرة على جلب النفع ودفع الضر الذي لايقدر عليه إلا الله أن قولها لاينفعه لا في الدنيا ولا في الآخرة فلا تعصم دمه في الدنيا ولا تنجيه من النار ولا تدخله الجنة في الآخرة وقد اتضح الحق لمن أراده والتوفيق من الله .

---

١) أخرجه مسلم في كتاب الايمان رقم ٩ .

٢) عزاه في موسوعة أطراف الحديث إلى المغنى عن حمل الأسفار للعراقي ـ ١٤١/٤ وإلى أمالي الشجري .

٣) أخرجه مسلم في باب الايمان الذي يدخل الجنة رقم الحديث ١٣

٤) أخرجه مسلم في باب أركان الإسلام ودعائمه العظام رقم الحديث ١٦ .

الثاني من الملاحظات : إقرار المشاهد والأضرحة وعدم محاولة إزالتها والقيام بحرب عليها وعلى مرتاديها.

إن المشاهد والأضرحة التي مازالت قائمة في البلاد المصرية والتي يرتادها المصريون من كل نواحي مصر يتطوفون بها ويقدمون لها النذور ويهتفون بأسماء أصحابها إستغاثة في الكروب ورجاءً في الرغائب إن هذه المشاهد والأضرحة تمثل الطواغي التي كانت في الجاهلية كاللات والعزى وذي الكفين وذي الخلصة ومناة وغير ذلك والتي حاربها النبي ﷺ منذ بعث حرباً شعواء لاتخبوا نارها ولا يفتر أوارها فلما انتصر على المشركين أرسل بعض أصحابه لهدم تلك الطواغي وإبادتها وإحراقها .

وإن الواجب على كل داعية يزعم أنه يدعوا الى الله ويكون في وسطوبيئة كالوسط والبيئة التي كانت ومازالت في مصر وغيرها من بلدان العالم التي بليت بهذا المرض الفتاك وهو مرض الخرافة والشرك بالله أقول ان الواجب على كل داعية في مثل هذا المحيط أن يبدأ ببيان التوحيد وما ينافيه من الشرك أما من سكت عن الشرك وهو يزعم في نفس الوقت أنه يدعوا إلى الله مع أنه لايتمعر وجهه من هتافات المشركين بأسماء المخلوقين يدعونهم بما لا يقدر عليه الا الله سواء كانوا أحياء أم أمواتاً ولم يحارب تلك المشاهد ومرتاديها حتى ولا بالإنكار بالكلمة بل هو يذهب إليها بنفسه موهماً لعوام الناس ودهمائهم أن هذه الأضرحة تمثل الإسلام وما يفعله الناس عندها يقره الإسلام كما تقدم أن الشيخ البنا حاضر في مشهد السيدة زينب في حفل الهجرة ولم يذكر حرفاً واحداً عن الشرك الذي يعمل في ذلك المشهد .

وقال حسن البنا في مذكراته صـ ٣٣ ما نصه وكنا في كثير من أيام الجمع التي يتصادف أن نقضيها في دمنهور نقترح رحلة لزيارة الأولياء القريبين من دمنهور فكنا أحياناً نزور دسوقي فنمشي على أقدامنا بعد صلاة الصبح مباشرة بحيث نصل حوالي الساعة الثامنة صباحاً فنقطع المسافة وهي حوالي عشرين كم في ثلاث ساعات ونزور ونصلي الجمعة ونستريح بعد الغداء ونصلي العصر ونعود أدراجنا الى دمنهور حيث نصلها بعد المغرب تقريباً وقال في الصفحة نفسها وكنا أحياناً نزور عزبة النوام حيث دفن في مقبرتها الشيخ سيد سنجر من خواص رجال الطريقة الحصافية والمعروفين بصلاحهم وتقواهم ونقضي يوماً كاملاً هناك

ثم نعود) (١) أهـ

وأقول إن الزيارة تنقسم إلى ثلاثة أقسام سنية وبدعية وشركية فمن دعا صاحب القبر فهو مشرك وزيارته شركية ومن زعم أن الدعاء عند ذلك القبر مستجاب فهو مبتدع وزيارته بدعية ومن زار قبر فلان ليدعو له . لعلمه أن المقبور في حاجة إلى الدعاء فتلك هي الزيارة السنية التي حث عليها النبي ﷺ في قوله (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة) (٢) .

ولكن الزيارة السنية لايجوز أن يشد إليها رحل لقول النبي ﷺ (لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى) (٣) .

والعشرين كيلو بريد وهي مسافة قصر على رأي بعض أهل العلم وظاهر الدليل معهم فقد ورد في حديث (لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة ثلاثة أيام) وفي رواية (يوم وليلة) وفي رواية يوم وفي رواية ليلة . إلا مع ذي محرم . وهذه الروايات صحت صحة لاشك فيها وورد في رواية سهيل بن أبي صالح وقد روى له البخاري مقروناً بلفظ (لايحل لإمرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسافة بريد) .

والبريد مسافة تسعة عشر كيلو ومائتي متر (١٩٢٠٠) فتبين أن هذه المسافة مسافة قصر . وأخيراً ماهو الباعث للشيخ البنا ورفاقه إلى هذه المشاهد وهذه القبور التي فتن بها الناس وجعلوها مضاهية للكعبة إن كانوا يدعون الله عندها ومضاهية لله إن كانوا يدعونها والأخير هو المعروف من حال المشركين الذين

---

١) من كتاب دعوة الإخوان في ميزان الإسلام جـ١ صـ ٧٨ .

٢) أخرجه مسلم في قصة زيارته ﷺ لقبر أمه بلفظ فزوروا القبور فإنها تذكر الموت / برقم ٩٩٦ في آخر الجنائز .

وأخرجه من طريق بردة بن بريده عن أبيه مرفوعاً كنت نهيتكم / في الأضاحي برقم ١٩٧٦ وفي الجنائز بلفظ نهيتكم وأخرجه الترمذي في الجنائز باب الرخصة في زيارة القبور بلفظ قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور فقد اذن لمحمد في زيارة قبر أمه فزوروها فإنها تذكر الآخرة ورواه البيهقي بلفظ أتم ورواه أحمد أيضاً .

٣) قال في إرواء الغليل للألباني جـ٣/٢٢٦ حديث لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ... صحيح متواتر ورد عن جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وأبو سعيد الخدري وأبو بصرة الغفاري وعبدالله بن عمر وعبدالله ابن عمرو وأبو الجعد

يرتادون هذه الأماكن وما الذي حملهم على أنهم يذهبون الى هذه القبور يمشون على الأقدام ويزعمون أن ذلك قربة .

والظاهر أن البنا ورفاقه يقصدون واحداً من الإثنين إما الدعاء عندها وهذا بدعة وإما دعاء المقبورين فيها وهذا شرك أكبر فمن عاش وتربى على هذا من صغره وأيام طلبه فكيف يستبعد وقوعه منه في كبره وأيام تبنيه للدعوة إلى الله بل إن ذكره لذلك معتزاً ومغتبطاً به في مذكراته يدل دلالة واضحة على عدم رجوعه عنه وسكوته على تلك المشاهد أيام دعوته وعدم إنكاره على مرتاديها شاهد آخر بل والذهاب إليها والمحاضرة فيها عن غير الشرك الذي يجري فيها شاهد ثالث وفيه من المحاذير .

(١) إيهام العامة أن ما يجري عند تلك القبور من الدعاء لغير الله والإستغاثة بغيره من المخلوقين والذبح والنذر لهم دونه أنه هو الإسلام وذلك محاربة للإسلام الصحيح لادعوة إليه..

(٢) فيه تشجيع للوثنية التي حاربها الإسلام من أول يوم نزل القرآن فيه على النبي ﷺ وبالأخص في السور المكية كقوله تعالى **﴿ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً لمن الظالمين﴾** (١)

(٣) صدور هذا من داعية يظهر للناس أنه يمثل الإسلام الصحيح أعظم في التعزير بالسذج وأكثر ايغالاً في الإيهام والخداع وأنا لا أعتقد أن البناء قصد الإيهام ومن سبر حاله من كتبه وسيرته يتبين له أن الذي أوقعه في ذلك هو الجهل بالإسلام الصحيح .

١) سورة يونس الآية ١٠٦ .

الملاحظة الثالثة : قبول المشركين بالله شركاً أكبر بالدعاء والذبح والنذر وغير ذلك في الجماعة واعتباره أخا مع منافات عقيدته لأعظم قاعدة في الاسلام واعتبار الرافضة الذين يسبون الصحابة ويعتقدون في أئمتهم العصمة إخواناً إلى غير ذلك .

دليلنا على ذلك أمور : —

الأمر الأول : أن حسن البنا حين قام بالدعوة في مصر تابعه على دعوته عشرات الألوف بل مئات الألوف لكنا لم نسمع أنه شرط على أحد ممن دخلوا في حزبه أن يتخلى عن عقيدته السابقة سواء كانت شركية خرافية أو جهمية تعطيلية أو معتزلية تنفي القدر وتقول بخلق القرآن وتجحد رؤية الله في الآخرة أو غير ذلك لم نسمع ولم نقرأ في كتبه أنة قال لأحد منهم لاتدخل في دعوتنا حتى تتخلى عن عقيدتك السابقة .

الأمر الثاني : سَعْي الشيخ البنا في التقريب بين السنة والشيعة وإعتباره أن الشيعة إخوان في الإسلام رغم ماعندهم من العقائد المنافية للدين الإسلامي منافاة واضحة ، من ذلك زعم الشيعة أن أئمتهم معصومون وقد خالفوا في هذا إجماع علماء المسلمين أن العصمة ليست لأحد غير الأنبياء .
ومن ذلك زعمهم عليهم لعائن الله أو زعم بعضهم أن جبريل خان فألقى الرسالة على محمد وهي كانت لعلي وهذا كفر من أبشع الكفر . ومن ذلك سبهم لأبي بكر وعمر وعثمان وسائر الصحابة ورميهم لعائشة بالإفك بعد أن برأها الله منه وهذا كفر وإنكار لما جاء في القرآن من تبرئتها وجحد له

ومن ذلك زعمهم أن القرآن مبدل ومحرف وقد حذف منه أكثر من النصف وهذا تكذيب لقوله تعالى ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ (١) .

ومن ذلك اعتقادهم جواز نكاح المتعة ومخالفتهم لإجماع المسلمين على نسخها .

ومن ذلك اعتقادهم أنه يجوز للرجل أن يتزوج أكثر من أربع ويخالفون إجماع المسلمين . ومن ذلك تأليههم لأئمتهم خاصة وأهل البيت عامة وذلك بتعبيد أبنائهم لهم فهم يسمون عبد الزهراء وعبد الحسين وعبد الكاظم وغير ذلك .

---

١) سورة الحجر آية (٩) .

ويعتقدون أن الأموات منهم يجيبون الدعاء ويكشفون الغمة .

ورغم هذه الأمور المكفرة والبلاوي التي هي غاية في البشاعة والكفر رغم هذا كله فقد اعتبرهم حسن البنا إخواناً في الدين وسعى في التقريب بينهم وبين أهل السنة سعياً حثيثاً وبذل في ذلك جهداً ليس باليسير وسار على نهجه أتباعه من بعده وفي كتاب الملهم الموهوب حسن البنا يقول عمر التلمساني المرشد العام للإخوان المسلمين صـ٧٨ وبلغ من حرصه (حسن البنا) على توحيد كلمة المسلمين أنه كان يرمي إلى مؤتمر يجمع الفرق الإسلامية لعل الله أن يهديهم إلى الاجماع على أمر يحول بينهم وبين تكفير بعضهم خاصة وأن قرآننا واحد وديننا واحد وإلهنا واحد ورسولنا ﷺ واحد .

قلت : وهل يتصور أن تجتمع الفرق التي عاشت على الخلاف ألف سنة بل أكثر .

ولقد استضاف لهذا الغرض فضيلة الشيخ محمد القمي أحد كبار علماء الشيعة وزعمائهم في المركز العام فترة ليست بالقصيرة ، كما أنه من المعروف أن الإمام البنا قد قابل المرجع الشيعي آية الله الكاشاني أثناء الحج عام ١٩٤٨ م وحدث بينهما تفاهم يشير إليه أحد شخصيات الإخوان المسلمين اليوم وأحد تلامذة الإمام الشهيد الأستاذ عبدالمتعال الجبري في كتابه لماذا أغتيل حسن البنا صـ٣٢ .

الإعتصام : نقل فيه كلاماً لكاتب إنجليزي يذكر فيه دور البنا في التقريب مع الشيعة .

ويعلق الأستاذ الجبري قائلاً لقد صدق روبيروشم بحاسته السياسية جهد الإمام في التقريب بين المذاهب الإسلامية فماله لو أدرك عن قرب دوره الضخم في هذا المجال مما لايتسع لذكره المقام أهـ . بواسطة الإخوان المسلمون في الميزان .

ونقل عن كتاب التلمساني ذكريات لامذكرات صـ ٢٤٩ /٢٥٠ أنه قال وفي الأربعينات على ما أذكر كان السيد القمي وهو شيعي المذهب ينزل ضيفاً على الإخوان في المركز العام ووقتها كان الإمام الشهيد يعمل جاداً على التقريب بين المذاهب حتى لايتخذ أعداء الإسلام الفرقة بين المذاهب منفذاً يعملون من خلاله على تمزيق وحدة الأمة الإسلامية ، وسألناه يوماً عن مدى الخلاف بين اهل السنة والشيعة فنهانا عن الدخول في مثل هذه المسائل الشائكة التي لايليق بالمسلمين أن يشغلوا أنفسهم بها ، والمسلمون على ما ترى من تنابذ يعمل

أعداء الإسلام على اشعال ناره ، قلنا لفضيلته نحن لانسأل عن هذا للتعصب أو توسعة هوة الخلاف بين المسلمين ، ولكننا نسأل للعلم لأن ما بين أهل السنة والشيعة مذكور في مؤلفات لاحصر لها ، وليس لدينا من سعة الوقت ما يمكننا من البحث في تلك المراجع .

فقال رضوان الله عليه ، اعلموا أن السنة والشيعة مسلمون تجمعهم كلمة لاإله الا الله محمد رسول الله ، وهذا أصل العقيدة والسنة والشيعة فيه سواء وعلى إلتقاء. أما الخلاف بينهما فهو في أمور من الممكن التقريب بينهما فيها(١).

قلت : القول بأن الشيعة واهل السنة سواء وعلى النقاء هذا القول لايصدر إلا من جاهل او مغالط .

١ - فهل من يسب أباب بكر وعمر ويكفرهما ويتهمهما بالخيانة هو ومن يجلهما ويترضى عنهما ويعتقد أنهما أفضل أمة محمد ﷺ بعد نبيها سواء.

٢ - وهل من يعتقد العصمة للأئمة الإثنا عشر من أهل البيت ومن يعتبرهم كغيرهم من المسلمين سواء .

٣ - وهل من يعبد ابنائه لأهل البيت ويسميهم عبدالزهراء أو عبدالحسين اوغير ذلك ومن لايرى العبودية إلا لله تعالى سواء إلى غير ذلك ولقد صرح الخميني في بعض كتبه أن المهدي المنتظر إذا ظهر فسينجح أكثر من محمد ابن عبدالله ﷺ .

إن الفوارق بين أهل السنة والشيعة فوارق كبيرة لايمكن معها تقارب ولا إجتماع إلا أن يتخلى أحد الجانبين عن عقيدته ويرضى بعقيدة الجانب الآخر وهذا مالا يجوز من السني ولا يمكن حصوله من الشيعة رغم وجوبه عليهم ووجوب الإذعان للحق الذي مع أهل السنة .

وأما قوله على النقاء فأين النقاء من قوم يرون أفضل القرب أذية أهل السنة وفي ذلك أخبار مستفيضة ، وأذكر أنا ذهبنا لطواف الإفاضة والسعي في آخر ليلة الحادي عشر (١١) أو ليلة الثاني عشر (١٢) فوجدنا تحت الصفا أي قبل الوصول إليها عذرة كثيرة منشورة على مسافة ما يقارب خمسة عشر متر وبكميات كبيرة مما يدل على أن فاعل هذا قد جمعها في باغات ونثرها وأذكر أن الناس باللسان الواحد كانوا يتهمون بذلك الشيعة لأن أذية أهل السنة مبدأ من مبادئهم ودين من دينهم .

الأمر الثالث : قول حسن البنا حين اجتمع بلجنة مشتركة أمريكية بريطانية

---

١) الاخوان المسلمون في الميزان صوره صـ ١٩ ورد فيه وعلى النقاء .

جالت العالم العربي من أجل قضية فلسطين فالتقى بهم في مصر ممثلاً للحركة الإسلامية فقال : فأقرر أن خصومتنا لليهود ليست دينية لأن القرآن الكريم حض على مصافاتهم ومصادقتهم والإسلام شريعة إنسانية قبل أن يكون شريعة قومية وقد أثنى عليهم وجعل بيننا وبينهم إتفاقاً **﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾** وحينما أراد القرآن أن يتناول مسألة اليهود تناولها من الوجهة الإقتصادية فقال تعالى **﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾** (١) .

وأقول أين هذا مما قص الله عنهم في سورة البقرة وفي سورة المائدة وغيرهما من السور أين قول البنا أقرر أن خصومتنا لليهود ليست دينية من قوله تعالى **﴿من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين﴾** أنزل الله ذلك حين قالوا للنبي ﷺ من يأتيك بالوحي من الملائكة قال جبريل ، قالوا ذاك عدونا من الملائكة لوكان الذي يأتيك بالوحي ميكائيل لتابعناك . فأنزل الله هذه الآيات ، فكيف يقول إن خصومتنا مع اليهود ليست دينية . سبحان الله إن هذا لعجب أي عجب أن يقرر الله عداوة اليهود له ولملائكته ورسله وجبريل وميكال ثم يقرر عداوته لهم حين قرروا هم عدواتهم لأوليائهم .. ثم يأتي رجل يزعم بأنه يدعوا إلى الله ويقرر حتى عدم الخصومة مع اليهود في الدين مع أن الخصومة أقل من العداوة فقد يتخاصم الإخوة فنفي الخصومة يستلزم نفي العداوة وماهو دونها . إن هذا الأمر غريب عجيب وموقف سيئ مريب فإنا لله وإنا إليه راجعون .

الأمر الرابع : ومن ذلك اقامته حفلاً لتكريم السيد محمد عثمان الميرغني قال فيه البنا إن دار الإخوان لتسعد أكبر السعادة وتأنس أعظم الإيناس اذ تستقبل هذه القلوب الطاهرة والنفوس الكريمة أعلام الجهاد وأبطال العروبة وأقطاب قادة الإسلام أتقدم إلى الزعيم السوداني الكريم السيد محمد عثمان الميرغني وإلى حضرات الذين أجابوا الدعوة بأجزل الشكر وأعظمه .... إلى أن قال أيها السادة لعل الكثير لايعلمون أننا نحن الإخوان مدينون للسادة الميرغنية بدين المودة الخالصة والحفاوة البالغة التي غمرونا بها من قبل ومن بعد كلما ذهب مبعوثونا إلى السودان .... لا .... ولكن دين قديم منذ نشأت الدعوة بالإسماعيلية فقد كان أول انصارها والمجاهدون لتركيزها الإخوان

---

١) كتاب الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ٤٠٩/١ وعباس السيسي في كتاب حسن البنا مواقف في الدعوة والتربية صـ ٤٨٨ .

الختمية الميرغنية وقد حضرت في سنة ١٩٣٧م حفلاً للإسراء والمعراج في زاوية وخلوة السيد عثمان الميرغني الكبير بالإسماعيلية ، وهي لاتزال قائمة ولا زلت أذكر أخانا هناك فالقلب الختمي والتأييد الختمي يسير مع الدعوة منذ فجرها وسماحة السيد عثمان الميرغني الكبير ووارثه السيد محمد عثمان هو أول من حمل هذا اللواء وبشر به فهذا تاريخ قديم نتحدث عنه أيها السادة لنعبر لفرع الدوحة الكريمة السيد محمد عثمان عما يكنه الاخوان لسماحته من حب ومودة وتقدير (١) أهـ.

وإن قول البناء أنهم معشر الإخوان مدينون للسادة الميرغينية بدين المودة الخالصة والحفاوة البالغة وقوله في الأخير لنعبر لفرع الدوحة الكريمة السيد محمد عثمان الميرغني عما يكنه الإخوان لسماحته من حب ومودة وتقدير . إن هذا الثناء وهذا التكريم ليدل على واحد من أمرين :

الأمر الأول : وهو إما أن يشارك الميرغني في عقيدة وحدة الوجود وهذه سوءة ما مثلها سوءة فالميرغني من اقطاب وحدة الوجود وكهنتها .

الأمر الثاني : وهو وإما أن الولاء والبراء منعدم عنده ، فهل سيفهم هذا الذين عاشوا على التوحيد وربوا على العقيدة السلفية منذ الصغر .

الملاحظة الرابعة : تهاونه في التوسل الذي هو من الذرائع المؤدية إلى الشرك واعتباره من الفروع التي لايهتم فيها لقد صرح الشيخ البنا بأن التوسل من الأمور الفرعية التي ما زال الخلاف فيها قائماً وليست من أمور العقيدة ، فقال في الأصل الخامس عشر من الأصول العشرين والدعاء اذا قرن بالتوسل إلى الله تعالى بأحد من خلقه خلاف فرعي في كيفية الدعاء وليس من أمور العقيدة (٢) أهـ .

قلت : التوسل بالذوات ممنوع ومحرم فإنه لم يعرف عن أحد من الصحابة أنه فعله أما قول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في الإستسقاء اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فهذا دليل على القائلين بالتوسل بالذوات لأنه لو كان التوسل بالذوات جائزاً ماعدل عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عن ذات النبي ﷺ إلى دعاء العباس .

١) قافلة الإخوان المسلمون للسيسي ١/٢٥٩ .

٢) من كتاب نظرات في رسالة التعاليم صـ١٧٧ إعداد محمد عبدالله الخطيب ومحمد عبدالحليم حامد .

ثانياً : أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه إنما توسل بدعاء العباس وليس بذاته وقال شيخ الإسلام ابن تيمية حين سئل هل يجوز التوسل بالنبي ﷺ أم لا . فأجاب رحمه الله الحمد لله أما التوسل بالإيمان به ومحبته وطاعته والصلاة والسلام عليه وبدعائه وشفاعته ونحو ذلك مما هو من افعاله وأفعال العباد المأمور بها في حقه فهو مشروع باتفاق المسلمين وكان الصحابة رضوان الله عليهم يتوسلون به في حياته وتوسلوا بعد موته بالعباس عمه كما كانوا يتوسلون به .

ومقصود الشيخ أنهم كانوا يتوسلون بدعاء النبي ﷺ في حياته فلما مات توسلوا بدعاء عمه العباس ولهذا قال بعد ذلك . وأما قول القائل اللهم إني أتوسل إليك به فللعلماء فيه قولان كما لهم في الحلف به (يعني النبي ﷺ) قولان وجمهور الأئمة كمالك والشافعي وأبي حنيفة على أنه لايسوغ الحلف بغيره من الأنبياء والملائكة ولا تنعقد اليمين بذلك باتفاق العلماء وهذا إحدى الروايتين عن أحمد والرواية الأخرى عن الإمام أحمد تنعقد اليمين به خاصة دون غيره .

ولكن غير أحمد قال إن هذا اقسام على الله بمخلوق ، ولكن الرواية الأخرى عنه وهي قول جمهور العلماء أنه لايقسم على الله به كسائر الملائكة والأنبياء فإنا لانعلم أحداً من السلف والأئمة قال إنه يقسم به على الله كما لم يقولوا أنه يقسم بهم مطلقاً ولهذا أفتى أبو محمد بن عبدالسلام أنه لايقسم على الله بأحد من الأنبياء والملائكة وغيرهم لكن ذكر له أنه روى حديث عن النبي ﷺ في الإقسام به على الله قال إن صح الحديث كان خاصاً به . والحديث المذكور لايدل على الإقسام به وقد قال النبي ﷺ من كان حالفاً فليحلف بالله وإلا فليصمت ، وقال من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك والدعاء عبادة والعبادة مبناها على التوقيف والإتباع لاعلى الهوى والإبتداع ، والله أعلم (١) .

قلت : القول بأن الإقسام على الله بذات أحد من خلقه أو بجاهه محرم لايجوز هو القول الحق لأمور .

الأمر الأول : أنه لم يصح عن النبي ﷺ أنه فعله أو أمر به ولم يصح عن أحد من أصحابه أنه فعله أو أمر به ولو كان التوسل بالجاه أو الذات من العبادات التي شرعها الله لعباده لنقله أصحابه عنه نقلاً متواتراً أو مشهوراً كسائر العبادات التي نقلت عنه نقلاً مشهوراً .

---

١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية جـ١ /١٤٠/١٤١ .

الأمر الثاني : أن كل ما روى في الاقسام بالمخلوق على الخالق أو السؤال بجاهه فهو إما موضوع أو ضعيف أنظر كتاب التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية والجزء الأول من الفتاوى الكبرى له وكتاب أوضح الشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة فيه شيئ من التحقيق مقتبس من كتب شيخ الاسلام ابن تيمية وغيرها . —

الأمر الثالث : القاعدة الشرعية أن نرد المشكل إلى الواضح والمنكر إلى المعروف بأن نستبعد المنكر ونأخذ بالمعروف والمعروف من الشريعة الإسلامية أن الوسيلة المأمور بها هي العمل الصالح كما في قوله تعالى **﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾** (١) .

الأمر الرابع : أما حديث عثمان بن حنيف فهو إن صح من التوسل بدعائه لا بذاته وكونه أمر به رجلاً في عهد عثمان رضي الله عنه فقضيت حاجته فهذا مردود بثلاثة أمور الأمر الأول ضعف الرواية ، الأمر الثاني ان صح فهو إجتهاد من عثمان ابن حنيف ولم يوافقه عليه أحد من الصحابة ، الأمر الثالث أن انقضاء حاجة ذلك الرجل لاتدل على شرعية ما أمر به بل قد تقضى حاجته ابتلاءً كما تقضى حاجة المشرك أحياناً اذا دعا غير الله ولا يدل ذلك على جواز الشرك .

الأمر الخامس : أن الواجب علينا أن نأخذ بقول أحمد ابن جنبل مع الجماعة ونرد قوله وحده فإن قوله مع الجماعة أصح وأحب إلينا من قوله وحده لأنه وإن كان إمام السنة بحق إلا أنه ليس بمعصوم من الخطأ وقد قال مالك كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر يعني النبي ﷺ .

الأمر السادس : أن القول بجواز التوسل بالذوات مفتاح لباب شر عظيم ألا وهو الشرك الأكبر لأن العامة لايقتصرون على سؤال الله عزوجل بالذات الذي هو بدعة بل سرعان ما ينقلهم الشيطان من السؤال بالذات إلى سؤال الذات نفسها ومن سَبَر أحوال الناس لم يساوره في هذا أدنى شك .

---

١) سورة المائدة آية ٣٥ .

الأمر السابع : ومن هذا يتبين لك أن قول البنا أن التوسل من الأمور الفرعية قول باطل بل هو من الأحكام التي تتعلق بالعقيدة وبالله التوفيق .

الملاحظة الخامسة : حضور البنا للأعياد المبتدعة ومحاضرته فيها جاء في صـ ٤٨ من كتاب قافلة الإخوان المسلمون جـ١ حسن البنا في الإسكندرية ثم قال دعا الإخوان المسلمون بالإسكندرية إلى الإحتفال بذكرى مولد الرسول ﷺ في حفل يحضره فضيلة المرشد العام بمسجد نبي الله دانيال واستقبل الإخوان الأستاذ المرشد على محطة السكة الحديد قبيل صلاة المغرب ، إلى أن قال وبدأ الأستاذ المرشد محاضرته بحمد الله تعالى والثناء عليه والصلاة والسلام على رسول الله الكريم ثم دخل في موضوع الذكرى فقال : نحي ذكرى مولد الرسول ﷺ ومن حق الناس جميعاً مسلمين وغير مسلمين أن يحتفلوا في هذه الذكرى المباركة فرسولنا عليه السلام لم يأت للمسلمين فقط وإنما بعث رحمة للعالمين الإنس والجن ... الخ .

وقال محمود عبد الحليم في كتاب الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ جـ٣ /١٢٧ وأقام الإخوان حفلا بشطبة العباسية بالقاهرة بمناسبة ذكرى غزوة بدر وألقيت فيها كلمة المرشد العام التي نشرت في الصحف في اليوم التالي .

وفي مجلة الدعوة صـ٤/٥ عدد ١٣ رجب ١٣٩٧هـ أن عمر التلمساني كتب مقالاً بعنوان الإسراء قال فيه إن الإحتفال بهذه المناسبة يدل مظهره على التعظيم لشان هذه المعجزة الباهرة (١) أهـ .

قلت الإحتفال بالمولد بدعة أحدثها العبيديون الذين ملكوا المغرب ثم امتد ملكهم إلى مصر في القرن الخامس الهجري ولم يفعله أحد من الخلفاء الأربعة ولا سائر الصحابة ولا عمله أحد من أهل القرون المفضلة فهل علموا فضله وتركوه أم جهلوه فإن قلتم علموا فضله وتركوه فقد كذبتم عليهم وإن قلتم جهلوه وعلمتموه أنتم فأنتم أحق بالجهل منهم .

---

١) نقلا عن كتاب دعوة الإخوان المسلمون في ميزان الإسلام صـ٧١ .

الملاحظة السادسة :

إنعكاس هذه العقيدة أي التساهل في شرك الألوهية انعكاسه على أتباعه بل على قادتهم والمنظرين في منهجهم كمصطفى السباعي وسعيد حوى وعمر التلمساني وأمثالهم ، وإليك البيان فأما مصطفى السباعي المرشد العام للإخوان المسلمين في سوريا فقد نقل عنه الشيخ محمد بن سيف العجمي في كتابه وقفات مع كتاب للدعاة فقط صـ٢٠ نقلاً عن مجلة حضارة الاسلام عدد خاص بمناسبة وفاة الشيخ مصطفى السباعي صـ٥٦٢/٥٦٣ تحت عنوان مناجاة بين يدي الحبيب الأعظم نقل عنه قصيدة نظمها في الروضة الندية وتلاها إمام الحجرة قبل الحج وبعده ومن ضمن ماقال فيها :

ياسائق الظعن نحو البيت والحرم	ونحو طيبة تبغي سيد الأمم
إن كان سعيك للمختار نافلة	فسعي مثلي فرض عند ذي الهمم
يا سيدي يا حبيب الله جئت إلى	أعتاب بابك أشكو البرح من سقمي
ياسيدي قد تمادى السقم في جسدي	من شدة السقم لم أغفل ولم أنم

الخ ماقال .

الملاحظات على هذه الأبيات .

أولا : أنه جعل سعيه إلى قبر الرسول ﷺ فرضاً وهذا بدعة في الدين لأن شد الرحل لايجوز إلا للمسجد .

ثانياً : أنه جعل لسعيه إلى القبر حكماً غير الحكم الشرعي حيث جعله فرضاً وهذا قول في شرع الله بدون دليل بل بمجرد الهوى .

ثالثاً : أنه استغاث بالنبي ﷺ وناداه شاكياً وذكر أنه جاء من مسافة شهر أي من سوريا إلى المدينة المنورة شاكياً ومستغيثاً ومستجيراً وهذه قارعة القوارع هذا هو الشرك الأكبر المخرج من الملة فهلا شكى إلى الحي القيوم الذي لاتأخذه سنة ولا نوم هلا باح بالضر إلى من أنزله وقدره وهو قادر على رفعه متى شاء .

وإذا كان هذا حال المنظرين في هذا المنهج فما بالك بحال غيرهم ومالم يدون أضعاف مادون . فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وأما سعيد حوى فقد ذكر في كتابه تربيتنا الروحية حيث أثنى على الطايقة الرفاعية وزعم أن اصحابها لهم كرامات ومن كراماتهم أن الواحد منهم يضرب

بالشيش في ظهره حتى ينفذ من صدره ثم ينزع منه ولا يتأثر . وكأنه يعتقد بأنهم أفضل من النبي ﷺ حيث أن النبي ﷺ ضرب على المغفر فغاصت (أي دخلت حلقتا المغفر في وجنتيه فسال الدم على وجهه فقال كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم) ويزعم أيضاً لأهل الطريقة الرفاعية أن الله أبرد لهم النار فلا تؤثر فيهم وهذه انواع من السحر والشعوذة الباطلة وهو مع ذلك يزعم بأن هذا وأمثاله من الكرامات لشيخهم الكذوب الزنديق أحمد الرفاعي الذي يقول فيما نقل عنه العرش قبلة الهمم والكعبة قبلة الجباه وأحمد (يعني نفسه) قبلة القلوب) (١) ..

قلت : فأي زندقة أعظم من هذه الزندقة وأي كذب على الله وافتراء عليه أعظم من هذا الإفتراء وأي شرك أعظم من هذا الشرك أتكون أنت يا رفاعي قبلة القلوب فأي شيئ أبقيته لله أما سمعت قول الله تعالى **﴿أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله﴾** .

فهذا كفر من أعظم الكفر وشرك من أعظم الشرك شرك مخرج من الإسلام ومن لم يكفر الكافرين الذين يصرحون بالكفر فهو كافر وما أكثر هذا وأمثاله في صفوف الصوفية الملاحدة من الإدعاءات الكاذبة لحق الله والتطاول عليه فعليهم من الله ما يستحقون من الغضب والمقت وأعظم من هذا وأدهى وأمر ما نقله صاحب الكشف عن الصوفية لأول مرة عن احمد الرفاعي الغوث (٢)

---

١) المجالس الرفاعية صـ ١١٢ بواسطة الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة صـ٣٦٧ وقد نقلته من كتاب الشيخ زيد محمد مدخلي الأجوبة السديدة على الأسئلة الرشيدة الجزء ٤،٣ .

٢) قـوله لي همـة تعلـوا على الهمـم ... ولي هـوى قبل خلق اللوح والقلـم

أنا الرفاعي طبولي في السماء ضربت ... والأرض في قبضتي والأولياء خدمي

كـل المشائـخ يأتـوا بـاب زاويـتي ... وفوق هاماتهم فاق العلى علـمي

ولي لـواء علـى الكونيـن منتشـر ... وكل أهل العلى ما أنكـروا هممي

فالجـأ بأعتـاب عـزي والتمس مددي ... وطف ببابي وقف مستمطـراً نعمي

لقد زاد على فرعون في إدعاء الألوهية ففرعون إدعى الألوهية على أهل مصر وحدهم أما الرفاعي فقد إدعى الألوهية على جميع من في الكون .

ومن أوراد الطريقة الرفاعية التي ذكرها محمود عبدالرؤوف القاسم في كتابه الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة وأرجوا أن تكره نفسك على قراءة هذا القرف الذي يسمى بورد الطريقة الرفاعية لصاحبها أحمد الرفاعي الذي يزعم سعيد حوى أنه أعطى معجزات الخليلين ابراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما ، قال في صـ٢٤٥ من أوراد الطريقة الرفاعية ويستعملها غيرهم فكفى به برهان عين علمك المكنون ، بسر معنى ن ، ودقيقة أمرك المصون يتجلى بها اشارة كان فيكون واسطة الكل في مقام الجمع ووسيلة الجمع في تجلي الفرق رحمة للعالمين قبل العالمين أهـ .

بكثير من المحسنات فهو باطل إذن فأي دعوة قامت لتحارب المنكرات وتقضي على الإباحية فيما تزعم وهي قد تركت الأصل الذي عليه يبنى الايمان وبه تقوم العقيدة فإنها باطلة شاء أصحابها أم أبوا ورضوا أم كرهوا .

وتوضيح ذلك ان الدعوة إلى ترك الزنا مثلاً والربا وشرب الخمر ودعوة إلى حق ولكن يجب أن تكون بعد تصحيح العقيدة فالنبي ﷺ مكث عشر سنين لايدعوا إلى شيئ سوى التوحيد يقول لقومه قولوا لاإله إلا الله تفلحوا قولوا لاإله إلا الله كلمة تدين لكم بها العرب وتملكون بها العجم فقالوا ﴿**أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب**﴾ (١) . وبعد كمال عشر سنين عرج به إلى السماء وفرضت عليه الصلوات الخمس وحتى بعد أن هاجر إلى المدينة وفرضت الفرائض وشرعت الأحكام وبين الحلال والحرام ماكانت دعوته إلا إلى التوحيد أولاً . كما في حديث ابن عباس في قصة إرسال النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن قال له إنك ستأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ...) الحديث .

فمن سكت عن الناس يتطوفون بالقبور ويدعون أصحابها في كل نازلة ويذبحون لهم ويستغيثون بهم ويجلبون لهم النذور ودعا إلى ترك الكبائر وترك هذا معتقداً أن فاعليه لم يأتوا منكراً فإنه قد أتى منكراً أعظم من كل منكر دعا إلى تركه ونحن نسأل من نصبوا أنفسهم للدعوة إلى الله هذه الأسئلة ونحب منهم أن يجيبوا عليها بصراحة وان لم يفعلوا ويعودوا إلى الحق فالله الموعد بيننا وبينهم

السؤال الأول : هل ما يفعله العامة عند قبر الحسين والسيدة زينب وقبر البدوي وغيرها من الدعاء لأصحابها والإستغاثة بهم في جلب النفع ودفع الضر والذبح لهم والنذر وغير ذلك هل ذلك شرك بالله أم لا !!!

السؤال الثاني : إذا لم يكن ذلك شرك فما هو الشرك الذي بعثت من أجل محاربته الرسل وأنزلت الكتب وجردت من أجله السيوف وخلقت من أجله الجنة والنار !!!

السؤال الثالث : هل من دعا صنماً منحوتاً من خشب أو حجر أو غير ذلك على صورة ولي ومن دعا الولي نفسه أو سجد له أو تطوف بقبره وهتف باسمه سواء

---

١) سورة ص آية رقم ٥ .

أم لا !!!

السؤال الرابع : من دعا الناس إلى التعبد بالذكر والنوافل وترك المنكرات وهم منهمكون في هذه الشركيات مصيب أم مخطئ .

السؤال الخامس : وهل دعوته موافقة لدعوة النبي ﷺ أو مخالفة لها فإن قلتم موافقة لها فهاتوا الدليل على أن النبي ﷺ قبل من أحد أن يكون مسلماً من دون أن يكفر بكل ما يبعد من دون الله ووالله لن تجدوه ولن تجدوا إلا ما هو شجى في حلوق القبوريين وقذاً في عيونهم .

وإن قلتم بل هي مخالفة لها لزمكم أن تقولوا واحداً من أمرين وتتبعوه بالعمل إما أن دعوة النبي ﷺ ودعوة سائر الرسل هي الحق الذي لاشك فيه ولا محيص عنه لأنهم يسيرون في دعوتهم بوحي من الله وأمر منه تعالى كما قرر ذلك في كتابه حيث يقول **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لاإله أنا فاعبدون﴾** (١) . وإما أن تقولوا أن دعوة غيره هي الصواب ودعوته هي الخطأ ولا أرى أن أحداً ينتمي إلى شريعته يستطيع أن يقول هذا لأنه لو قاله لزمه الكفر . وأخيراً فأنا أنقل كلام سعيد حوى من مصادر موثوقة سبقني أصحابها في نقل هذا الزور والرد عليه وهم محمد بن سيف العجمي في كتابه وقفات صـ ٤٣ وما بعدها والشيخ زيد بن محمد المدخلي في كتابه الأجوبة السديدة الجزء الثالث والرابع لأن كتاب تربيتنا الروحية لسعيد حوى ليس عندي ومن كذب فيما نقل هنا فليرجع إلى ذلك بالرقم والصفحة ليعرف أن الذين نقلوا كانوا صادقين فيما نقلوا ولم يدفعهم إلى البحث عنه ونقله إلا الغيرة على الإسلام وأحسبهم كذلك والله حسبنا جميعاً في كل ما نأتي ونذر وأسأل الله أن يجزيهم خيراً على ما بذلوه من جهد وكذلك ما نقلته عن أحمد الرفاعي صاحب الطريقة الرفاعية من كتاب الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة لمؤلفه محمود عبد الرؤوف القاسم جزاه الله خيراً .

قال في صـ ٢١٨ وقد حدثني مرة نصراني عن حادثة وقعت له شخصياً وهي حادثة مشهورة معلومة جمعني الله بصاحبها بعد أن بلغتني الحادثة من غيره وحدثني كيف أنه حضر حلقة ذكر فضربه أحد الذاكرين بالشيش في ظهره حتى خرج الشيش وحتى قبض عليه ثم سحب الشيش منه ولم يكن لذلك أثر ولا ضرر ، إن هذا الشيئ الذي يجري في طبقات أبناء الطريقة الرفاعية هو من أعظم فضل الله على هذه الأمة. اذ أن من رأى ذلك تقوم عليه الحجة بشكل واضح على

---

١) سورة الأنبياء الآية ٢٥ .

معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء إن من يرى فرداً من أفراد الأمة الإسلامية يمسك النار ولاتؤثر فيه كيف يستغرب أن يقذف إبراهيم في النار . وإن من يرى فرداً من أفراد أمة محمد ﷺ يخرج السيف من ظهره بعد أن يضرب به في صدرة ثم يسحب ولا أثر ولا ضرر هل يستغرب مثل هذا حادثة شق الصدر للنبي ﷺ إن هذا الموضوع مهم جداً ولا يجوز أن نقف منه موقفاً ظالماً ومحله في اقامة الحجة في دين الله على مثل هذه الشاكلة إن الحجة الرئيسية لمنكري هذا الموضوع هو أن هذه الخوارق تظهر على أيدي فساق من هؤلاء كما تظهر على أيدي قوم صالحين وهذا صحيح والتعليل هنا هو أن هذه الكرامة للشيخ الأول الذي أكرمه الله عزوجل بهذه الكرامة وجعلها مستمرة في اتباعه من باب المعجزة لرسولنا ﷺ فهي كرامة للشيخ الذي هو الشيخ أحمد الرفاعي أهـ .

وأقول للشيخ سعيد مصدرك وثيق إذ جاء من طريق نصراني وثانياً هل مجالس الذكر الصوفي لها مستند من شرع الله عزوجل ومن عمل السلف رضوان الله عليهم ؟

وثالثاً : وهل ذكر الله الذي على نهج شرع الله الذي شرعه على لسان نبيه محمد ﷺ هو سبيل إلى السحر والشعوذة أو أنه الذكر المبتدع منكم يا أصحاب الطرق الصوفية .

رابعاً : أن معجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم محفوظة لايحتاج المسلمون في اثباتها إلى الشعوذات وأعمال أهل الشطح والزندقة والتخيلات الكاذبة .

خامساً : باليمن اناس من الساقطين الذين لايصلون ولا يصومون يقال لهم الطعانة يزعم الواحد أنه يطعن عينه بالجلجل حديدة مذبذبة في أحد طرفيها وفي طرفها الآخر جلاجل فيزعم أحدهم أنه يطعن في أسفل عينه حتى يغرز الحديدة وينزكها مغروزة بنفسها في أسفل عينه فيما يُرَى للناظر ويمسكون الحيات بأيديهم . فهل هؤلاء كان الطعن لهم كرامة مع أنهم يقولون أنهم يطعنون في بحر ابن علوان صاحب الضريح الذي في اليمن فاتق الله يا سعيد أهكذا الإسلام الذي تزعم بأنك تدعوا إليه في مؤلفاتك .

سادساً : ويظهر من أسلوبك أنك تريد أن تجعل شطح الصوفية دليلاً على صدق حادثة شق الصدر ومسك النار دليلاً على صدق جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام فإنه يلزمك أنك جعلت شطح الصوفية وتخييلاتهم السحرية أصلاً ومعجزات الرسل فرعاً إذ أن الأصل هو الذي يستدل به على الفرع ونقول

لك أفهم إن كنت لاتفهم بأن معجزات الرسل مؤيدة بقدرة ربانية تنبني عليها عقيدة إيمانية وشطح الصوفية مموه بطريقة شيطانية يضل بها من أراد الله له الضلال وكتب عليه الشقوة فإنا لله وإنا إليه راجعون . اللهم أجرنا بفضلك من ضلال الضالين ووفقنا برحمتك إلى طريق المهتدين وأعذنا من مضلات الفتن يا رب العالمين .

وأما عمر التلمساني فقد نقل عنه أنه قال في كتابه شهيد المحراب عمر ابن الخطاب رضي الله عنه صـ ٢٢٥،٢٢٦ قال ما نصه قال البعض أن رسول الله ﷺ يستغفر لهم اذا جاءوه حياً فقط ولم أتبين سبب التقييد في الآية عند الإستغفار بحياة النبي ﷺ وليس في الاية ما يدل على هذا التقييد وهنا يزعم أنه يجوز دعاء الرسول ﷺ بعد موته وطلب الإستغفار منه ويقول أيضاً في صـ٢٢٦ لذا أراني أميل إلى الأخذ بالرأي القائل أن رسول الله ﷺ يستغفر حياً وميتاً لمن جاءه قاصداً رحابه الكريم ويقول في نفس الصفحة فلا داعي اذاً للتشدد في النكير على من يعتقد في كرامة الأولياء واللجوء إليهم في قبورهم الطاهرة والدعاء فيها عند الشدائد وكرامات الأولياء من أدلة معجزات الأنبياء ويقول أيضاً في صفحة ٢٣١ ما نصه فما لنا وللحملة على أولياء الله وزوارهم والداعين عند قبورهم قال العجمي حفظه الله لم يبق شرك من شرك القبور إلا وقد أباحه في هذه العبارات المرشد العام للإخوان المسلمين أهـ . من كتاب وقفات صـ١٧ .

وأقول اذا كان هذا حال المرشدين والمنظرين في هذا المنهج فما بالك بغيرهم واذا كان هذا المدون فما بالك بما لم يدون فهل يعقل من يزعمون أنهم على عقيدة التوحيد وهم يتولون من يبيحون الشرك الأكبر ويبغضون ويحذرون ممن يدافعون عن عقيدة التوحيد . ولقد سمعت خبراً لئن صح فهو كارثة عظيمة سمعت بان بعض أصحاب المناهج المعاصرة يشترون الكتب التي تنتقد منهجهم بكميات كبيرة ويحرقونها ولئن صح هذا إنه لأمر فضيع وأخاف على من يفعل هذا أن يكون ردة في حقه لأن من أحرق كتب التوحيد أي التي تنصر عقيدة التوحيد وترد على المشركين وتبين عقيدتهم السيئة فإنه يعتبر بعمله ذلك قد نصر الوثنية وحارب عقيدة التوحيد فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ويتابع العجمي في الوقفات جزاه الله خيراً فيقول والتلمساني يعلم بالطبع أن القبور في مصر التي صدر منها هذا الكتاب (شهيد المحراب عمر ابن الخطاب) وكان التلمساني مرشداً عاماً فيها يصنع فيها أعظم شرك عرفته الأرض فالقبور يطاف بها ويطلب منها كل ما يطلب من الله ومن هم الأولياء فيها ان كثيراً

منهم مجموعة من الزنادقة الملحدين كأمثال السيد البدوي الداعية الفاطمي الذي لم يحضر صلاة قط والصوفية المحترقين كالشاذلي والدسوقي والقناوي وغيرهم في كل قرية . وأقول إن الدعوة لغير الله شرك أكبر أياً كان هذا الغير سواء كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً أو غير ذلك فالكل شرك بالله مناقض للإسلام . ثم يتابع فيقول إن هؤلاء هم الأولياء وهذه قبورهم التي يدعوا إليها المرشد العام للإخوان المسلمين والذي يقول أيضاً في صـ٢٣١ . ما نصه ولئن كان هواي مع أولياء الله وحبهم والتعلق بهم ولئن كان شعوري الغامر بالأنس والبهجة في زياراتهم ومقاماتهم بما لايخل بعقيدة التوحيد (هكذا) فإني لاأروج لا تجاه بذاته فالأمر كله من أوله إلى آخره أمر تذوق ، وأقول للمتشددين في الإنكار هوناً فما في الأمر من شرك ولا وثنية ولا إلحاد . أهـ . ثم قال فماذا بعد هذا التمييع لأمر التوحيد والعقيدة حتى أصبح دعاء الأموات عند الشدائد أمر تذوق وليس فيه شرك ولا وثنية كما يزعم المرشد العام للإخوان المسلمين ثم يتابع فيقول هل المنهج الإخواني العقدي الذي يخرج أمثال التلمساني منهج سلفي لاغبار عليه وهل الجماعة التي تسمح أن يتصدر صفوفها ويكون مرشدها العام يقول هذا الكلام جماعة سلفية تباً لهذه السلفية إن كان هذا نتاجها وهؤلاء من رجالها ومرشديها وقادتها وأقول جزاك الله خيراً ياعجمي وجزى الله كل من نصر عقيدة التوحيد بكلمة يقولها أو أحرف يكتبها خير الجزاء .

الملاحظة السابعة :

إنتساب البنا إلى عقيدة صوفية هي العقيدة الحصافية والدليل على ذلك قول حسن البنا نفسه في كتابه مذكرات الدعوة والداعية صـ٢٧ وصحبت الإخوان الحصافية بدمنهور وواظبت على الحضرة في مسجد التوبة في كل ليلة ثم قال وحضر السيد عبدالوهاب المجيز في الطريقة الحصافية وتلقيت الحصافية الشاذلية عنه وآذنني بأدوارها ووظائفها وقال جابر رزق في كتابه حسن البنا بأقلام تلامذته ومعاصريه صـ٨ وفي دمنهور توثقت صلته (يعني حسن البنا) بالإخوان الحصافية وواظب على الحضرة في مسجد التوبة كل ليلة مع الإخوان الحصافية ورغب في أخذ الطريقة حتى انتقل من مرتبة المحب إلى مرتبة التابع المبايع أهـ .

قال الناقل قلت وقد تعلق البناء في التصوف تعلقاً شديداً حتى اصبح يرى شيخ الطريقة في منامه كما ذكر في مذكراته صـ٢٥/٢٦ .

بل شارك في انشاء جمعية صوفية حصافية كما ذكر في مذكراته صـ٢٨ قال وفي الأثناء بدا لنا أن نؤسس في المحمودية جمعية اصلاحية هي الجمعية الحصافية الخيرية وانتخبت سكرتيراً لها وخلفتها في هذا الكفاح جمعية الإخوان المسلمون بعد ذلك . وكان البنا غارقاً في التصوف كما قال في مذكراته صـ٣٢ كانت أيام دمنهور ومدرسة المعلمين أيام الإستغراق في عاطفة التصوف والعبادة فكانت فترة استغراق في التعبد والتصوف .

ثم قال ونزلت دمنهور مشبعاً بالفكرة الحصافية ودمنهور مقر ضريح الشيخ حسنين الحصافي شيخ الطريقة الأولى (١) .

وقال محمود عبدالحليم في كتابه الإخوان المسلمون أحداث صنعت التأريخ ١٠٩/١ وكنا نذهب جميعاً كل ليلة إلى مسجد السيدة زينب فنؤدي صلاة العشاء ثم نخرج من المسجد ونصطف صفوفاً يتقدمنا الأستاذ المرشد حسن البنا ينشد نشيداً من أناشيد المولد النبوي ونحن نردده من بعده بصوت جهوري جماعي يلفت النظر .

وأقول فهل سيقتنع الذين يزعمون أنهم يعيشون على التوحيد والسنة وهم مع ذلك يتخذون المبتدعين أئمة يقتدون بهم .

١) نقلاً عن كتاب دعوة الاخوان المسلمون في ميزان الاسلام صـ ٦١ / ٦٢ .

الملاحظة الثامنة :

إن قادة الإخوان والمنظرين في منهجهم يذهبون الى العقيدة الأشعرية عقيدة التأويل والكلام على هذه الملاحظة على قسمين قسم مع حسن البنا وقسم مع أتباعه .

فأما حسن البنا فقد ذكر في رسالة العقائد من مجموعة رسائله وهي تبدأ من صـ٢٩٢ وقد ذكر في صـ٣٢٤ أن الناس انقسموا في الصفات على أربع فرق فذكر مذهب المشبهة وقال وهؤلاء هم المجسمة والمشبهة وليسوا من الإسلام في شيئ وليس لقولهم نصيب من الصحة ثم ذكر مذهب المعطلة وحكم عليه بالبطلان أيضاً ثم قال مذهب السلف في آيات الصفات وأحاديثها ، وأما السلف رضوان الله عليهم فقالوا نؤمن بهذه الآيات والأحاديث كما وردت ونترك المقصود منها لله تبارك وتعالى فهم يثبتون اليد والعين والأعين والإستواء والضحك والتعجب ... الخ وكل ذلك بمعان لاندركها ونترك لله تعالى الإحاطة بعلمها .

قلت : ما ذكره بأنه مذهب السلف ليس هو مذهب السلف بل هو مذهب أهل التفويض الذين رد عليهم السلف .

واعلم أن التفويض نوعان تفويض كيفية وتفويض معنى وطريقة السلف هي تفويض الكيفية واثبات المعنى فهم يثبتون لله ما أثبته الله لنفسه في كتابه وما أثبته له رسوله ﷺ في الأحاديث الصحيحة بمعانيها التي تقتضيها في اللغة ويفوضون علم الكيفية الى الله عزوجل وعلى ذلك توارد كلامهم فالإمام مالك قال لما سأله سائل بقوله الرحمن على العرش استوى كيف استوى فأطرق قليلاً وعلته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال الإستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وأنت رجل سوء أخرجوه .

فمن زعم أن السلف فوضوا المعنى فقد افترى عليهم .

وقد أكد البنا ما زعمه في أن مذهب السلف التفويض بل وأكد أيضاً أن السلف والخلف كل منهما يقطع بأن المراد بألفاظ هذه النصوص في حق الله تبارك وتعالى غير ظواهرها التي وضعت لها هذه الألفاظ في حق المخلوقين الى أن قال واذا تقرر هذا فقد اتفق السلف والخلف على أصل التأويل وانحصر الخلاف بينهما في أن الخلف زادوا تحديد المعنى المراد حيثما ألجأتهم ضرورة التنزيه إلى ذلك حفظاً لعقائد العوام من شبهة التشبيه وهو خلاف

لايستحق ضجة ولا إعناتاً) (١)

وبهذا زعم البنا أنه انتهى من مشكلة أشغلت بال المسلمين وأثارت بينهم الخصام اثني عشر قرناً بقطع النظر عن القرن الأول الذي لم تظهر فيه خصومه في اثبات الصفات إلا نادراً وصور نفسه أنه قد أصلح بينهم في جلسة تعانقوا بعدها على الوفاق ونبذوا الخلاف وهذا كلام من لم يتصور أعراق المشكلة ولم يعرف أبعادها وظن الأمر فيهاسهلاً ويسيراً .

وإن الأمر ليس بسهل ولا يسير فلا يمكن أن أحداً من الفريقين يتنازل عن عقيدته فالسلف الذين هم أصحاب رسول الله ﷺ وأتباعهم ممن ساروا على نهجهم واتبعوا طريقهم ممن جاء بعدهم في سائر القرون يؤمنون بأن صفات الباري جل وعلا التي وردت في الكتاب والسنة يجب الايمان بها وبما تقتضيه في اللغة العربية من معنى إثباتاً يليق بجلال الله عزوجل وتقدس من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ولاتأويل .

ففي الاستواء يقولون استواء يليق بجلاله وفي اليد والرجل والساق والقدم والوجه والعين يقولون يداً تليق بجلاله منزهة عن المشابهة والمماثلة وهكذا .

وتوضيح ذلك أن الاشتراك في الاسم لايلزم منه الاشتراك في الحقيقة فإذا قلنا إن الله حي ووصفنا شخصاً من الناس بأنه حي فلا يلزم من الاشتراك في إسم الحي الاشتراك في حقيقة الحياة فحياة الله أزلية فهو الأول الذي ليس قبله شيئ وهو الآخر الذي ليس بعده شيئ قال تعالى **﴿وتوكل على الحي الذي لايموت وسبح بحمده﴾** .

وحياة الله قديمة بلا ابتداء وباقية بلا انتهاء ثم إن حياة الإنسان تتوقف على الأكل والشرب والنوم فهل لزم من الاشتراك في الإسم الاشتراك في الحقيقة الجواب لا وهكذا .

فأهل السنة مجمعون أن صفات الله الثبوتية يجب على العباد الايمان بها وإعتقاد ما تقتضيه من معاني في اللغة على الوجه اللائق بجلال الله تعالى .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في جـ٥صـ٢٦ من الفتاوى الكبرى وهي الرسالة الجوابية المسماه بالحموية قال ومذهب السلف أنهم يصفون الله عزوجل بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ونعلم أن ما وصف الله به نفسه من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي بل معناه يعرف من حيث مقصود المتكلم بكلامه لاسيما إذا كان المتكلم بذلك أعلم

---

١) مجموعة رسائل البنا صـ٣٣٠ .

الخلق بما يقول وأفصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد . وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيئ لافي نفسه المقدسة المذكورة باسمائه وصفاته ولافي أفعاله فكما نتيقن أن الله له ذات حقيقة وله أفعال حقيقة فكذلك له صفات حقيقة وهو ليس كمثله شيئ لافي ذاته ولا في صفاته ولا أفعاله وكلما أوجب نقصاً أو حدوثاً فإن الله منزه عنه حقيقة ، فإنه سبحانه مستحق للكمال الذي لاغاية فوقه ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه واستلزام الحدوث سابقة العدم ولافتقار المحدَث الى محدث ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه . ومذهب السلف وسط بين التعطيل والتمثيل فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه كما لايمثلون ذاته بذات خلقه ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله فيعطلوا أسمائه الحسنى وصفاته العليا ويحرفوا الكلم عن مواضعه ويلحدون في أسماء الله تعالى وآياته . وكل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل فهو جامع بين التعطيل والتمثيل أما المعطلون فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ماهو اللائق بالمخلوق ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات ، فقد جمعوا بين التعطيل والتمثيل مثلوا أولاً ثم عطلوا أخيراً وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم وتعطيل لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة به جل وعلا . أهـ .

وقال امام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتاب التوحيد فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز واليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه نقر بذلك بألسنتنا ونصدق بذلك في قلوبنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين عز ربنا أن نشبهه بالمخلوقين وجل ربنا عن مقالة العاطلين وعز أن يكون كما قاله المبطلون .

وذكر البيهقي في كتابه الاعتقاد باباً في ذكر آيات وأخبار وردت في إثبات صفة الوجه واليدين والعين وهذه صفات طريق إثباتها السمع لورود خبر الصادق بها ولا نكيفها وقال الخطيب البغدادي أما الكلام في الصفات ما روى منها في السنن والصحاح مذهب السلف رضوان الله عليهم إثباتها وإجرائها على ظاهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ويحذو حذوه ومثاله فإذا كان معلوماً أن إثبات رب العالمين عزوجل إثبات وجود لاإثبات تحديد وتكييف فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف .

وقال ابن قدامة المقدسي وعلى هذا درج السلف والخلف رضي الله عنهم

كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ من غير تعرض لتأويله وقد أمرنا بالإقتفاء لآثارهم والإهتداء بمنارهم وحذرنا من المحدثات وأخبرنا أنها ضلالات أهـ (١) .

وقال أبو محمد الجويني في رسالته إثبات الإستواء والفوقية واثبتنا علو ربنا سبحانه وفوقيته واستوائه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته والحق واضح في ذلك والصدور تنشرح له فإن التحريف تأباه العقول الصحيحة مثل تحريف الإستواء بالإستيلاء وغيره والوقوف في ذلك جهل وهي مع كون الرب تعالى ما وصف لنا نفسه بهذا إلا لنثبت له ما وصف به نفسه لنا ولا نقف في ذلك (٢)) أهـ .

هذه بعض النقول عن مذهب السلف ولو أردنا بعض التقصي لاحتجنا الى مجلد أو أكثر ولطال بنا الكلام وفيما ذكرنا كفاية ومقنع ومن أراد الإستزادة فعليه بالكتب المخصصة لهذا الشأن ككتاب التوحيد لابن خزيمة وكتاب السنة لعبدالله ابن أحمد بن حنبل وكتاب الرد على الجهمية للدارمي والفتاوى الكبرى لابن تيمية والعقل والنقل له وكتب ابن القيم وابن عبدالوهاب ومعارج القبول للشيخ حافظ الحكمي رحم الله الجميع وغير ذلك من الكتب التي ألفها أصحاب العقيدة السلفية وكتاب علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين للدكتور رضا نعسان ومن هذه النقول تعلم أن ما قرره الأستاذ حسن البنا من أن السلف والخلف اتفقوا على أصل التأويل كلام باطل وإفتراء على السلف رحمهم الله تعالى فالسلف يذمون المفوضة ويبدعونهم فمتى اتفقوا معهم على التأويل .

وأما أتباع حسن البنا فمن ذلك ما نقله صاحب كتاب وقفات عن سعيد حوى جولات في الفقهين الكبير والأكبر الجولة الأولى صـ٢٢ ما نصه إن للمسلمين خلال العصور (أي الماضية) أئمتهم في الإعتقاد وأئمتهم في الفقه وأئمتهم في التصوف والسلوك الى الله عزوجل فأئمتهم في الأعتقاد كأبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي !!! ، ويقول أيضاً في الجولة الرابعة صـ٦٦ ما نصه وسلمت الأمة في قضايا العقائد الإثنين أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي !!!

---

١) لمعة الإعتقاد .

٢) مجموعة الرسائل المنبرية ١/١٨١ بواسطة كتاب علاقة الاثبات والتفويض بصفات رب العالمين للدكتور رضا بن نعسان .

أما الغزالي فإنه يزيد على كونه أشعري العقيدة أنه يسخر من عقيدة السلف ومن الشباب الذين ينتمون إليها فمن ذلك قوله في كتابه (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) صـ١١ وفي هذا الكتاب جرعة قد تكون مرة للفتيان الذين يتناولون كتب الأحاديث النبوية ثم يحسبون أنهم أحاطوا بالإسلام علماً بعد قراءة عابرة أو عميقة ولعل فيه درساً لشيوخ يحاربون الفقه المذهبي لحساب سلفية مزعومة عرفت من الإسلام قشوره ونسيت جذوره .

قلت : وهل في الإسلام قشور إن وصف الإسلام بأن فيه قشوراً وجذوراً كذب وفرية على الله وعلى الإسلام وعلى من جاء بالإسلام ويخاف على من يقول ذلك أن يكون قد ارتد عن الإسلام إن كان من جملة أهله قبل هذه الكلمة ونحن نقول إن الإسلام كله جذور لاقشور فيه وحق لاباطل فيه وصدق لاكذب فيه ومن زعم خلاف ذلك فهو منافق . إن من يزعم أن إطلاق اللحية ورفع الثوب فوق الكعبين وترك التختم بالذهب وسماع القرآن بدلاً عن الأغاني واثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ سواء كانت من الصفات الخبرية كإثبات صفة الوجه والعين واليد والساق والرجل والقدم وغير ذلك أو من الصفات الفعلية كصفة الإستواء على العرش والنزول الى السماء الدنيا ثلث الليل الأخير وحديث كشف الساق في عرصات القيامة ووضع الجبار رجله وفي رواية قدمه على النار فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط حسبي حسبي إن من يزعم بأن هذه الأحكام قشور فهو مسعور وعن الخبرِ مبتور . إن الغزالي يحارب العقيدة السلفية في إثبات الصفات حرباً شعواء لاهوادة فيها .

وإن عمر التلمساني يقول في كتابه (بعض ما علمتني الإخوان المسلمون) عند قوله تعالى ﴿**والسموات مطويات بيمينه**﴾ فقال وإن هذه اليمين التي تشير إليها الآية الكريمة هي التمكن من طي السموات أي القدرة التي تفعل ما تشاء كيفما تشاء عندما تشاء . وهذه عقيدة الأشاعرة أي عقيدة التأويل . وكذلك إسماعيل الشطي قال وهو يتحدث عن العقيدة لا أدري كيف أثبت لله يداً . حكى ذلك عنه وعن التلمساني العجمي في كتابه وقفات صـ٢٣/٢٢ .

أما سيد قطب فإنه كثيراً ما يميع القضايا العقيدية تمييعاً قد يصل الى حد التشكيك أحياناً فانظر إليه يقول في تفسير الظلال على آية الطلاق ﴿**الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهم**﴾ قال والسموات السبع لاعلم لنا بحقيقة مدلولها وأبعادها ومساحاتها . ويقول في تفسير سورة

النبأ آية ﴿وبنينا فوقكم سبعاً شداداً﴾ قال والسبع الشداد التي بناها الله فوق أهل الأرض هي السموات السبع والطرائق السبع في موضع آخر والمقصود بها على وجه التحديد يعلمه الله فقد تكون سبع مجموعات من المجرات وهي مجموعات من النجوم قد تبلغ الواحدة منها مائة مليون نجم وقد تكون السبع المجموعات هذه هي التي لها علاقة بأرضنا أو بمجموعتنا الشمسية .

قلت : وأي تمييع أعظم من هذا التمييع . السموات السبع التي وردت في وصفها أحاديث تبلغ حد التواتر ومنها أحاديث المعراج التي وصف فيها النبي ﷺ السموات وأنه وجد في كل سماء بعض الأنبياء . ويقول عن الاستواء في تفسير سورة الحديد في قوله تعالى ﴿هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ أما الإستواء على العرش فنملك أن نقول إنه كناية عن الهيمنة على هذا الخلق استناداً الى ما نعلمه من القرآن عن يقين أن الله سبحانه لاتتغير عليه الأحوال فلا يكون في حالة عدم استواء على العرش ثم تتبعها حالة استواء الخ . وهذه عقيدة المؤولة الأشاعرة .

الملاحظة التاسعة : دعوى الشيخ البنا أن دعوته جمعت كل المعاني الإصلاحية بزعمه فهي دعوى سلفية وطريقة سنية وحقيقة صوفية وهيئة سياسية وجماعة رياضية ورابطة علمية ثقافية . وفسر ذلك بقوله دعوه سلفية لأنهم يدعون الى العودة بالإسلام الى معينه الصافي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وأقول ما أحسن هذا لو أسس على التوحيد ومفاصلة الشرك بجميع أنواعه وأنواع معتنقية وسلم من البدع ولكن كيف يسلم من البدع والشركيات من تربى في أحضان الصوفية وشرب من ألبانها منذ نعومة أظفاره . ثم قال وطريقة سنية لأنهم يحملون أنفسهم على العمل بالسنة في كل شيئ وبخاصة في العقائد والعبادات ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً .

وأقول هذه دعوى ولكن واقع الإخوان ومؤسس دعوتهم لايصدقها ونحن نطالبهم بأكبر فقرة في هذه الدعوى وأهم شيئ فيها وأول شيئ فيها فلماذا لم يبدأوا به لماذا لم يبدأوا من حيث بدأ المصطفى ﷺ ومن حيث بدأ كل رسول

﴿ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾ (١) ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ (٢) إن كل دعوة لاتؤسس على هذا الأساس ولا تنطلق من هذا المنطلق فإنها غير سنية ولا سلفية مهما أدعى أصحابها أنهم سنيون أو سلفيون .

قال وحقيقة صوفية لأنهم يعلمون أن أساس الخير طهارة النفس ونقاء القلب والمواظبة على العمل والإعراض عن الخلق والحب في الله .

وأقول كل مسلم سلمه الله من الإهواء يعلم حقاً أن أساس الخير طهارة النفس ونقاء القلب والمواظبة على العمل ولكن أين هذا من الصوفية أين منهم طهارة النفس وأين منهم نقاء القلب وهم يؤمنون بوحدة الوجود فيؤمنون بأن الله عزوجل حل في جميع خلقه أو في بعض خلقه أين منهم طهارة النفس وهم يتركون مصدر التلقي الذي أمر الله به ورسوله وهو الكتاب والسنة ويجعلون مصدرهم الذي يأخذون عنه الإلهام فيقول أحدهم حدثني قلبي عن ربي وأين منهم طهارة النفس ونقاء القلب وهم يستبيحون المحرمات ويزعمون أنهم وصلوا ولما وصلوا أباح الله لهم ماحرم على غيرهم وأسقط عنهم الفرائض التي أوجبها على غيرهم أم أين طهارة النفس وصفاء القلب ممن يزعمون أن الولي أعلى مقاماً من النبي لأن النبي يأخذ بواسطة الملك ، أما الولي فيأخذ من الحضرة القدسية . أم أين منهم طهارة النفس ونقاء القلب وهم يعتقدون أن بعض الأولياء يتصرفون في هذا الكون ، واسمع الى عبد الرحمن الوكيل رحمه الله وهو ينقل في كتابه هذه هي الصوفية عن الجيلي إدعائه للربوبية فيقول في صـ٤٤ إدعاء الجيلي الربوبية العظمى حيث قال :

لي الملك في الدارين لم أر فيهما سواي فأرجوا فضله أو فأخشاه
وقد حزت أنواع الكمال وإنني جمال جلال الكل ما أنا إلا هو

ثم يقول هذا قول الجيلي والله تعالى يقول ١٨٩/٣ ﴿ولله ملك السموات والأرض والله على كل شيء قدير﴾ ولكن الجيلي يفتري أن له وحده ملك الدنيا والآخرة وأنه ليس للوجود رب سواه ولا ليوم الدين ملك غيره وأنه الغني بذاته فلا تنقدح في قلبه رغبة في نعمة من أحد لأنه الوهاب للنعم ولا تلفح نفسه رهبة من سلطان لأنه ملك الكل ومالكهم ولم يكتف الجيلي بهذا بل مضى يعدد أنواع الخلق وصور الوجود المادي والحسي والروحي والمعنوي ليزعم بعدها أنه هو عينها

---

١) وردت هذه الآية في سور عدة منها سورة الأعراف وسورة هود .
٢) سورة النحل آية ٣٦.

ذاتاً ووجوداً فلا يتوهم واهم أن شيئاً في الوجود يغاير الجيلي ويخرج عن حقيقته ذاته فقال .

فمهما ترى من معدن ونباته وحيوانه مع إنسه وسجاياه
ومهما ترى من أبحر وقفاره ومن شجر أو شاهق طاله أعلاه
ومهما ترى من صورة معنوية ومن مشهد للعين طاب محياه
ومهما ترى من هيئة ملكية ومن منظر إبليس قد كان معناه
ومهما ترى من شهوة بشرية لطبع وإيثار لحق تعاطاه
ومهما ترى من عرشه ومحيطه وكرسيه أو رفرف عز مجلاه
فإني ذاك الكل والكل مشهدي أنا المتجلي في حقيقته لاهو
وإني رب للأنام وسيد جميع الورى إسم وذاتي مسماه

ثم قال الوكيل أرأيت الى الجيلي بأي وثنية ينعق وبأي مجوسية يدين أرأيت الى قوله أنا المتجلي في حقيقته لاهو ، يا للجيلي يحكم على الوجود الحق بالعدم الصرف أرأيت إليه في زعمه أنه هو رب الأنام وسيده إلى أن قال إن تلك الزندقة يتوارثها صوفي عن صوفي فحق عليهم قول الله عزوجل **﴿أتواصوا به بل هم قوم طاغون﴾** هذه هي الصوفية التي يزعم البنا أنها معنى من المعاني الإصلاحية فأي اصلاح يأتي من الصوفية أتظن أن البنا يجهل هذا الهراء والدجل والإفتراء وهذه المزاعم الإلحادية . وقد نشأ في أحضان الصوفية وتربى في كنفها وعايشها ليل نهار .

ولقد انتقد هذا الأسلوب أحد أساطين الجماعة وهو محمد سرور زين العابدين قال في مقال نشره في مجلته التي يسميها بالسنة العدد السابع والعشرون جمادى الآخرة عام ١٤١٣هـ وهو مقال مطول ذكر فيه كثيراً من سلبيات هذه الجماعة وغيرها من الجماعات الحزبية وذكر أسباب انفصاله عنها ثم قال بعد انفصالي عن الجماعة الأولى وضعت لنفسي ثوابت ومنطلقات محددة لا أحيد عنها ولا أستبدلها بغيرها وهاقد مضى على مسيرتي أكثر من عشرين عاماً ومرور هذه الأيام زادني قناعة واستمساكاً بهذه الثوابت والمنطلقات إلى أن قال أولاً أصبح الأصل عندي الإلتزام بعقيدة ومنهج السلف الصالح رضوان الله عليهم وهذه مسألة لامجال للمساومة عليها فمن كان هذا هو اعتقاده في أصول الدين وفروعه فهو أخي ومن أقرب الناس إلي ولا يهمنا بعد ذلك لون بشرته أو إسم الجماعة التي ينتسب إليها أو بعد الديار بيننا وبينه .

ولم يعد العمل الإسلامي عندي دعوة سلفية وحقيقة صوفية لأن مثل هذا الخليط لايصلح أساساً لوحدة العمل الإسلامي .
ولا يؤدي الا إلى الخصومة والفرقة والتناحر لأن الصوفية شذوذ وإنحراف عن المنهج الحق الذي آمنا به .

كما أن العمل الإسلامي لم يعد شعاراً يردده البعض دون تدبر معناه ومن ذلك قول القائلين ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه وكما قلت سابقاً من هذا الحديث فإني لاأعذر من كان إختلافي معه إختلاف تضاد وكيف اعذره وأنا أعتقد أن الحق معي والدليل إلى جانبي ، ولم يعد عقلي يتصور وجود جماعة واحدة فيها السلفي والصوفي والأشعري والخارجي ودعاة الإعتزال والعقلانية وغير ذلك من العقائد والإتجاهات المختلفة المتباينة وأدركت أن الكم الكبير ليس دليلاً على نجاح العمل الإسلامي وأن سياسة التجميع سياسة فاشلة اذا أهمل الدعاة سلامة التصورات ووحدة الثوابت والمنطلقات أهـ .

وبقطع النظر عن صدقية ادعائه أنه حين ترك الإخوانية انتقل إلى المنهج السلفي الصحيح أو عدم صدقيته لكونه أخذ بجوانب وترك جوانب إلا أن الشاهد منه أن هذا الرجل رغم أنه عايش هذا المنهج برهة من الزمن وعرف كثيراً من سلبياته قد تركه من أجل كثرة سلبياته ومنها جمع مؤسسه بين متناقضات كجمعه بين السلفية والصوفية مع مابينها من البون الشاسع والفرق العظيم بل مع ما بينهما من التناقض .

ونقده في قوله ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه فإذا كان الإختلاف في العقائد المتناقضة كيف يعذر بعضهم بعضاً .

ونقده في سياسة التجميع وحكم عليها أنها سياسة فاشلة فكيف يجتمع قوم قناعاتهم مختلفة وعقائدهم متباينة وقرر أن النجاح لايكون إلا للمنهج الذي اتحد أهله في سلامة التصور المبني على وحدة الثوابت والمنطلقات ومعنى ذلك أن يعتقدوا منهجاً ثابتاً وهو كتاب الله وسنة رسوله وما جرى عليه السلف الصالح من الأعمال وأن التلقي لايكون إلا من الله ورسوله وأن العصمة ليست لأحد غير رسول الله ﷺ .

ولئن سلمنا جدلا ان صوفيته سليمة من وحدة الوجود فإنها لم تسلم من شرك - الوثنية الذي كان يرى الناس غارقين فيه ولم يغير من الأمر شيئاً بل اقره وسكت

عنه وزعم أن الشرك الذي حرمه الله وحذر منه هو شرك الحاكمية . ونحن نقول إن شرك الحاكمية واحد من أنواع الشرك الوثني . وإن الرسل قد بعثت في أقوام لهم طواغيت يتحاكمون إليهم ويخضعون لحكمهم ولم يأمرهم الله عزوجل الذي أرسلهم أن ينكروا شرك الحاكمية ويتركوا شرك العبادة بل أمرهم أن يبدأوا بشرك العبادة فقال **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لاإله إلا أنا فاعبدون﴾** وشرك الحاكمية يدخل تبعاً.

وأخيراً فهل الصوفية بجميع أنواعها وسيلة من وسائل إصلاح المجتمعات أو من وسائل إهلاكها وإتلافها فالله المستعان .

وهل يصلح أن تقرن بالسلفية والسنة أترك الجواب للقارئ ؟

إن الجمع بين هذه الأمور جمع بين متناقضات لا تجتمع أبداً .

الملاحظة العاشرة :

ضعف الولاء والبراء في المنهج الإخواني فمن الأدلة الواضحة على ذلك أولاً ما نقل في كتاب الاخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ٤٠٩/١ تحت عنوان (في قضية فلسطين) تحدث محمود عبدالحليم وهو من قادة حزب الإخوان عن لجنة مشتركة أمريكية بريطانية جالت العالم العربي من أجل قضية فلسطين وقد حضر البنا اجتماعاً لها في مصر ممثلا عن الحركة الإسلامية وألقى كلمة قال فيها مانصه : والناحية التي سأتحدث عنها نقطة بسيطة من الوجهه الدينية إلا أن هذه النقطة قد لاتكون مفهومة في العالم الغربي فأريد أن أوضحها باختصار فأقرر أن خصومتنا لليهود ليست دينية لأن القرآن الكريم حض على مصافاتهم ومصادقتهم والإسلام شريعة إنسانية قبل أن تكون قومية . وقد أثنى عليهم وجعل بيننا وبينهم إتفاقاً **﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾** .

وحينما أراد القرآن أن يتناول مسئلة اليهود تناولها من الوجهة الإقتصادية والقانونية قال تعالى **﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾** أهـ (١) .

وأقول إذا كان البنا يقرر أن خصومتنا لليهود ليست دينية فما هي ؟ أليس القرآن يقرر بأنها دينية ويخبر الله نبيه بأن اليهود والنصارى لايرضون عن المسلمين إلا باتباع ملتهم ويحذر نبيه من اتباع ملتهم بعد ما جائه الحق ويتوعد من اتبع ملتهم من أمة محمد ﷺ فيقول **﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى**

١) بواسطة دعوة الإخوان المسلمين في ميزان الإسلام صـ١٥٧ .

حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهوائهم بعد الذي جائك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير﴾ وأما قوله أن القرآن حضنا على مصافات اليهود ومصادقتهم فهذه إن صحت عنه فهي فرية ما أعظمها وكيف لاتصح وقد ذكرها أتباعه معتزين بمثل هذه الأقوال ومفتخرين بها فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ثانياً : سعيه وجميع أتباعه في التقريب بين الشيعة مع ماعندهم من البلاوي المكفرة والمفسقة وبين أهل السنة وزعمهم أن الشيعة والسنة كلهم مسلمون وأقول :

١ - أيكون مسلماً من سب ابا بكر وعمر رضي الله عنهما بأبشع السب وأقذعه وأقذره .

٢ - أيكون مسلماً من سب أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديقة بنت الصديق المبرأة من فوق سبع سموات رضي الله عنها وعن أبيها ورماها بالفاحشة بعد أن برأها الله في كتابه وكذب القرآن في تبرئته لها .

٣ - أيكون مسلماً من يحكم على جميع الصحابة بالردة عن الإسلام إلا نفراً ،، قليلين ويزعم أنهم كفروا بسحبهم للخلافة من علي بن أبي طالب ضي الله عنه وعنهم واتفاقهم على ذلك مع أن النبي ﷺ يقول لاتجتمع أمتي على ضلالة وهم خير أمته وأفضلهم وقدوتهم أفيعقل أن يجتمعوا كلهم على ضلالة .

٤ - أيكون مسلماً من يدعي العصمة لعلي ابن أبي طالب وبنيه الإثنا عشر مع أن العصمة لم تثبت لأحد غير رسول الله ﷺ ووالله ما ادعاها علي لنفسه ولا ادعاها الحسن ولا الحسين ولا أحد من أبنائهم الغر الميامين الذين ادعيت لهم .

٥ - أيكون مسلماً من عَبَدَ بَعض المخلوقين أحياء وأمواتاً ودعاهم عند الشدائد وتطوف بقبورهم بل وزعم أن الحج إلى كربلاء يعدل الحج الى بيت الله الحرام .

٦ - أيكون مسلماً من يُعَبد أبناءه للمخلوقين فيسميهم بعبد الحسين وعبد الكاظم وعبد الزهراء وما أشبه ذلك .

٧ - أيكون مسلماً من يعتقد أن جبريل خان فذهب بالرسالة الى محمد وكانت الرسالة الى علي فعدل بها عنه ويلزم منه لوازم كفرية .

أ - تخوين الأمين جبريل عليه السلام الذي وصفه الله بقوله **﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾** وذلك تكذيب لله

في خبره وهو الكفر بعينه .

ب - ويلزم من ذلك نفي علم الغيب عن الله تعالى وأنه يمكن أن يخان من الوراء وهو لايعلم كما يخان المخلوق وهو لايعلم وهذا كفر بإجماع المسلمين .

جـ - ويلزم منه أنه جل وعلا وتقدس لايعرف المصلحة وأن جبريل كان أعرف بالمصلحة منه حين وجه بالرسالة الى ابن ثمان سنوات فعدل بها جبريل الى ابن الأربعين وفي ذلك تجهيل لله جل وعلا ونفى للحكمة عنه وهذا أعظم الكفر.

٨ - أيكون مسلماً من يعتقد أن القيامة هي إحياء أعداء آل محمد ﷺ عند خروج المهدي المنتظر والاقتصاص لآل محمد منهم عند ذلك ويزعم أن أول من يقتص منه هما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما .

٩ - أيكون مسلماً من يزعم أن المهدي المنتظر إذا خرج سيحقق مالم يحققه محمد ﷺ وهذه مقالة الخميني التي صرح بها في كتابه .

١٠ - أيكون مسلماً من يبيح الزنا ممثلاً في نكاح المتعة إذ أنه إذا أبيح فلا فرق بين نكاح ليلة أو ليال معدودة أو شهر أو أقل أو أكثر وهذا هو عين الزنا وأخيراً أيكون مسلماً : من فيه هذه البلاوي كلها وما هو أكثر منها وهل يمكن التقريب بين هؤلاء وبين أهل السنة وهل سيحصل تقارب بين أهل العقائد المتناقضة دون أن يتنازل أحد الفريقين أو كل الفريقين عن شيئ مما هو من صميم عقيدته فهل تنازلت الرافضة عن عقائدها التي هي عليها من أكثر من ألف سنة أو حتى عن بعضها هذا مالا يكون إلا أن يشاء الله وهل يمكن أن يتنازل أهل السنة عن بعض عقائدهم من أجل أن يتفقوا مع الرافضة هذا مالا يكون إلا أن يشاء الله ، وإن من يتخيل ذلك يتخيل سراباً لاماء فيه وظنوناً لاحقيقة لها وإن السعي إلى التقريب لم يقتصر على البنا في حياته بل استمر عليه أتباعه من بعده وقد أرسل الإخوانيون وفداً الى الخميني أيام ثورته يهنئونه بالثورة الإسلامية كما زعموا فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وقد نقل في كتاب موقف علماء المسلمين من الشيعة والثورة الإسلامية تأليف عز الدين إبراهيم صـ١٩ قوله وقبل أن نترك الأزهر نستمع الى الفتوى التي أصدرها بخصوص المذهب الشيعي جاء فيها ، نص الفتوى أن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإثنى عشرية مذهب يجوز التعبد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنة فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك وأن يتخلصوا من العصبية

بغير حق لمذاهب معينة فما كان دين الله وماكانت شريعته بتابع لمذهب معين أو مقصورة على مذهب فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى .

ويستغل هذه الفتوى التي صدرت من شيخ الأزهر سابقاً محمود شلتوت يستغلها الشيخ محمد الغزالي أحد المؤلفين والمنظرين في المذهب الإخواني فيقول في كتابه دفاع عن العقيدة الإسلامية ضد مطاعن المستشرقين صـ٢٥٦ جاءني رجل من العوام مغضباً يتسائل كيف أصدر شيخ الأزهر فتواه بأن الشيعة مذهب اسلامي كسائر المذاهب المعروفة .

فقلت للرجل ما تعرف عن الشيعة فسكت قليلاًوقال ناس على غير ديننا ، فقلت له لكني رأيتهم يصلون ويصومون كما نصلي ونصوم فعجب الرجل وقال كيف هذا قلت والأغرب أنهم يقرؤون القرآن ويعظمون الرسول ﷺ ويحجون البيت الحرام قال لقد بلغني أن لهم قرآناً آخر وأنهم يذهبون الى الكعبة ليحقروها ، فنظرت الى الرجل راثياً وقلت له أنت معذور ، ان بعضنا يشيع عن البعض ما يحاول به هدمه وجرح كرامته .

قلت قاتل الله الهوى رجل عامي عرف أن الشيعة لهم دين غير ديننا وإن صلوا وصاموا وعقائد غير عقائدنا وان أسدلوا عليها ستاراً وأنكروها أمام الآخرين عملاً بالتقيه التي هي من أصول عقائدهم وهو يحاول تغطية هذه العقائد وإنكارها أو بعضها . وقال في صـ٢٢ من كتاب موقف علماء المسلمين من الشيعة بعد ان نقل عن الغزالي نقولاً من كتبه تؤيد فكرة التقريب فقال ويصرح الغزالي للطليعة الإسلامية في عدد ٢٦ مارس / ٨٥ رداً على سؤال وجه إليه حول دوره في جماعة التقريب قال نعم أنا كنت من المعنيين بالتقريب بين المذاهب الإسلامية وكان لي عمل دؤوب ومتصل في دار التقريب بالقاهرة وصادقت الشيخ محمد تقي القمي كما صادقت محمد جواد مغنية رحمه الله ولي أصدقاء من العلماء والأكابر من علماء الشيعة وأنا أريد فعلاً أن تذهب الجفوة والشقاق المر الذي شاع بين المسلمين . ثم تابع صاحب الكتاب النقول عن أصحاب المنهج الإخواني أي عن كبارهم والمنضرين فيهم وممن نقل عنهم صبحي الصالح والدكتور عبدالكريم زيدان ومحمد أبو زهرة والدكتور مصطفى الشكعة والشيخ حسن أيوب وحسن الترابي وفتحي يكن والشيخ سعيد حوى والمفكر أنور الجندي والأستاذ سميح عاطف الزين والأستاذ صابر طعيمة والأستاذ علي سامي النشار والدكتور علي عبدالواحد وافي وزينب الغزالي والتلمساني ويوسف العظم والغنوشي كل - هؤلاء لهم مقالات ضمن مؤلفات أو إجابات على أسئلة يؤيدون فيها فكرة التقريب

بين أهل السنة والشيعة ويبرؤون الشيعة أن تكون عندهم عقائد منحرفة توجب الكفر أو الفسق ويقررون كلهم أن الشيعة مسلمون كسائر المسلمين لأنهم يقولون لاإله إلا الله ويصلون ويصومون ويحجون وأن الخلاف بينهم وبين أهل السنة كالخلاف بين المذاهب ولما قام الخميني بثورته في إيران هبَّ الإخوانيون يؤيدون فهذا يرسل برقية وهذا يدبج مقالاً في الصحف وهذا ينظم مسيرة تظاهر تؤيد الخميني لأنه هو الإمام الحق ودولته هي الدولة المؤمنة وحدها دون غيرها وإسمع الى يوسف العظم إذ يقول .

بالخميني زعيماً وإمام هد صرح الظلم لايخشى الحمام
قد منحناه وشاحاً ووسام من دمانا ومضينا للأمام
ندمر الشرك ونجتاح الظلام ليعود الكون نوراً وسلام

فانظر أخي القارئ الى هذا العمى وهذه الرعونة أي شرك دمره الخميني والشرك عند الشيعة قد باض وفرخ وأي شرك دمره الإخوان وهم من أول يوم راضون به ومقرون له بل واقعون فيه والعجيب من أمرهم أنهم يبغضون الدولة السعودية دولة التوحيد التي قامت عليه من أول يومها وهي الدولة الوحيدة التي تدرس التوحيد في مدارسها ومعاهدها وكلياتها ولا توجد بها قبور ولا أضرحه ولا مشاهد يرتادها المشركون ويأتون إليها من كل مكان يطلبون من أصحابها مالا يطلب إلا من الله ويحبون دولة الشرك والكفر والإلحاد ويجعلونها هي الدولة المسلمة الوحيدة يقول جابر رزق في مقال في مجلة الإعتصام عام ١٤٠١ عدد محرم صـ٣٧ وقد نسي صدام حسين أنه سيقاتل شعباً تعداده أربعة أضعاف الشعب العراقي وهذا الشعب هو الشعب المسلم الوحيد الذي إستطاع أن يتمرد على الإمبريالية الصليبية واليهودية .

ويقول النظام الدولي للإخوان ولو كان الأمر يخص إيران وحدها لقبلت حلاً وسطاً بعد أن تبينت ما حولها ولكنه الإسلام وشعوبه في كل مكان وقد أصبحت أمانة في عنق الحكم الإسلامي الوحيد في العالم الذي فرض نفسه بدماء شعبه في القرن العشرين ليثبت حكم الله فوق حكم الحكام وفوق حكم الإستعمار والصهيونية العالمية ٤٦م .

فانظر كيف تجاهل الحكومة السعودية ولم يعتبرها دولة مسلمة وحصر الإسلام في دولة إيران والأعجب من ذلك أن أهل المنهج الإخواني يدعون أنهم سلفيون وهم مع ذلك يخصون المذهب السلفي بالعداء ويتعاطفون مع أصحاب المذاهب

المنحرفة كما ترى وكما سيأتي .

ثالثاً : سياسة التجميع التي يجمعون فيها بين أصحاب العقائد المختلفة فهذا سني وهذا شيعي وهذا جهمي وهذا أشعري وهذا وثني وغير ذلك يدل على عدم الولاء والبراء عندهم) (١) .

قال أحمد سلام في كتابه نظرات في مناهج الإخوان صـ١٦١ وقد استمرت الدعوة على خط البنا في إعطاء الحركة أهمية أولى بينما بقي الإهتمام بتصحيح العقيدة في درجة ثالثة أو رابعة وبحجم متواضع وأما قضية التمييز على أساس العقيدة فهي غير واردة أصلاً في مخطط الجماعة فمنذ الأيام الأولى كان التركيز متجهاً الى المعاني الإسلامية العامة . فترى الجماعة تضم في صفوفها خليطاً لا لون له ولا منهج إلا أصول البنا العشرين فهي التي تشكل المنطلق النظري للجماعة أهـ .

الملاحظة الحادية عشرة :

عدائهم للموحدين السفليين وتعاطفهم مع المبتدعين والمشركين ومن أعظم الأدلة على ذلك قتالهم لجماعة جميل الرحمن الأفغاني في كنر وتركهم للملحدين وإجتماع جميع الفرق عليهم وتصريح بعضهم أن قتالهم لهم قتال عقيدة ومن أعظم الأدلة على عدائهم للسلفية المنشور الذي نشروه بعنوان السلفية الجديدة ندوب في وجه السلفية الحقيقية إن هذا العنوان جدير بأن يحاكموا فيه .

فهل في وجه السلفية ندوب وما هي هذه الندوب أهي دعوتهم الى التوحيد وإفراد الله بالعبادة دون سواه من المخلوقين أم هو إنكارهم على من أشرك به أو أقر الشرك وسكت عن فاعليه بل واحتضنهم وجعلهم إخواناً . أم هي كونهم أثبتوا لله ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات ولم يحرفوها أو يؤولوها أو يعطلوها . أم هي كونهم اتبعوا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وتركوا أقوال الرجال .

أم هي كونهم جعلوا متابعتهم لرسول الله ﷺ وأصحابه الكرام والتابعين لهم بإحسان الى يوم الدين أم هي كونهم نبذوا البدع بجميع أنواعها وأجناسها ونبذوا أصحابها ودانوا بسنة نبيهم ﷺ أخذوها من المنبع الصافي كتاب الله وصحاح السنن .

أفي وجه السلفية ندوبٌ كلا والله إن الندوب في الوجوه الكالحة التي

---

١) انظر كتاب نظرات في مناهج الإخوان المسلمين لاحمد سلام صـ٩٦/٩٧ وما نقله عن محمد قطب في كتاب واقعنا المعاصر صـ٤٠٥/٤٠٦ .

اتخذت لها قدوة من الخرافيين والمبتدعين وأعرضوا عن الحق بعد أن عرفوه .

إن هذا العنوان فيه ظلم وحيف على السلفية الحقيقية فلو فرضنا أن أحداً ممن انتمى الى السلفية في زمننا هذا قال قولاً في غير محله أو اعتقد عقيدة تخالف منهج السلف فهل يلحق السلفية منه شيئ ، فضلاً عن أن يكون ندوباً في وجهها ، كما أن من إنتمى الى الإسلام وعمل ما يتنافا مع الإسلام فإن عمله لايؤثر على الإسلام ولا يكون ندوباً فيه وكذلك السلفية التي هي المنهج النبوي الأصيل الذي سار عليه النبي ﷺ في حياته ثم سار عليه أصحابه من بعده وأتباعهم بإحسان الى يوم الدين .

لقد قرأت هذا المنشور الظالم عدة مرات ورأيت مافيه من الإتهامات الجائرة للسلفيين فأحياناً يسميهم الكاتب أذناباً للشيطان وأحياناً منافقين وأحياناً يتهمهم بأنهم يريدون أن يزحزحوا الشباب عن الثقة في دعاة الإسلام الذين سلكوا مسالك عدة واستخدموا وسائل متنوعة في نشره وتارة يتهمهم بأنهم خوارج أو مثل الخوارج الذين يقتلون أهل الايمان ويتركون عبدة الأوثان . ونحن نقول الملتقى عند الله ولا نعلم للسلفيين ذنباً إلا أنهم قالوا إن كل دعوة لاتؤسس على التوحيد الذي أسس عليه الرسل في دعواتهم فهي مخالفة للمنهج النبوي الكريم والسنة المطهرة وإن ادعى أصحابها أنهم على السنة فالدعاوي لاتقبل بدون إثبات ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ .

الملاحظة الثانية عشرة :

الحزبية التي تفرق الأمة وتشطرها شيعاً وأحزاباً يكيد بعضهم لبعض ويبغض بعضهم بعضاً . وقد سبق الكلام عن الحزبية بما أغنى عن إعادته هنا .

الملاحظة الثالثة عشرة :

دعوتهم إلى اقامة دولة وإعادة خلافة وهذا خطأ من مؤسس المنهج وإن كان حصل منه بحسن نية إلا أنه مخالف لما عليه دعوات الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . قال البنا في مجموعة الرسائل صـ٧٤(٤) تقوية الروابط بين الأقطار الإسلامية جميعاً تمهيداً للتفكير الجدي العملي في شأن الخلافة الضائعة أهـ .

ويقول أيضاً الإسلام دين ودولة ومصحف وسيف . ويقول في صـ١٧٨ الإخوان المسلمون والخلافة وذكر كلاماً ثم قال والإخوان المسلمون لهذا يجعلون فكرة

الخلافة والعمل لإعادتها في رأس منهاجهم وهذا التعبير وإن كان هو صحيح في نفسه ان الدين لايقوم إلا بدولة تحميه وتقيم حدود الله فيه إلا أنا لم نكلف بالدعوة الى دولة وإنما كلفنا بالدعوة الى الدين الحق الذي يقوم على التوحيد الذي هو معنى لاإله إلا الله والذي ما بعثت الرسل وأنزلت الكتب وجردت السيوف إلا من أجل تقريره والعمل به . ولا خلقت الجنة والنار إلا من أجل جزاء العاملين به والرافضين له وهذه هي دعوة الرسل ولم يعرف عن نبي ولا رسول منهم أنه دعا الى خلافة ولقد قص الله عزوجل علينا أخبارهم وأوضح لنا منارهم وأمرنا أن نقتفي آثارهم قال تعالى ﴿**أولائك الذين هدى الله فبهداهم اقتده**﴾ . ولا يقبل الله دعوة لاتقوم على الأساس الذي أسس عليه الأنبياء من أولهم نوح عليه السلام إلى آخرهم وخاتمهم نبينا محمد ﷺ ومن جهة أخرى فإن الدعوات التي قامت في بلدان ليس فيها دولة تحكم شرع الله ربما يكون لها بعض العذر لكونهم في دول لاتحكم بشرع الله فيما شجر بين الناس بل تحكم القوانين المستوردة . فإن من يقيم في دولة تحكم شرع الله وتقيم حدوده لايجوز له أن يدعوا إلى اقامة دولة وإن فعل كان خارجاً على الدولة التي هو فيها ومستحقاً للذم والعقوبة وبالله التوفيق .

الملاحظة الرابعة عشرة :

أنهم يتصيدون عثرات الولاة من أجل الإثارة عليهم متأسين في ذلك بالخوارج الذين ثاروا على عثمان رضي الله عنه وزعموا أنه لايستحق الخلافة والذين وصفهم النبي ﷺ بأنهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لايعودون إليه أخر ماعليهم وأنهم يقتلون أهل الايمان ويتركون أهل الأوثان ، وبالتأمل في حال الإخوانية نراهم يحبون المشركين ويعادون الموحدين . فنراهم يحبون الشيعة ويثنون عليهم ويزعمون أنهم هم المؤمنون حقاً كما تقدم لنا ما نقل عن بعضهم أنه يقول ان دولة الخميني هي الدولة المسلمة الوحيدة .

وقد تأسوا بهم في إحصاء عثرات الولاة والخروج عليهم ولو كانوا مسلمين ولو كانت الأخبار المنقولة عنهم كثير منها غير صحيح علماً بأنه لايجوز الخروج عليهم ولو فسقوا . وفي صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي قال رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم قالوا قلنا يا رسول الله أفلا ننبازهم عند ذلك قال لا ما أقاموا فيكم الصلاة ، لا ما أقاموا فيكم الصلاة ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي

شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة) (١) .

وفيه أيضاً عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع قالوا يارسول الله ألا نقاتلهم قال لا ما صلوا) (٢) .

وعن عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما أنه أتى الى عبدالله بن مطيع يوم الحرة فقال إني لم آتك لأجلس وإنما أتيتك لأحدثك حديثاً سمعت رسول الله ﷺ يقوله سمعت رسول الله ﷺ يقول من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعه مات ميتة جاهلية) (٣) .

فهذه الأحاديث الصحيحة تدل على عدم جواز الخروج على ولاة الأمور وعلى عدم نشر مثالبهم وعيوبهم لأن ذلك يترتب عليه من المساوئ والأضرار ما الله به عليم .

---

١) أخرجه مسلم في الإمارة باب ١٧ رقم الحديث ١٨٥٥ .

٢) أخرجه مسلم الباب ١٦ رقم الحديث ١٨٥٤ كتاب الإمارة .

٣) أخرجه مسلم في الإمارة الباب ١١ رقم الحديث ١٨٥١ وأخرجه البخاري أيضاً .

الملاحظة الخامسة عشرة : البيعة في المنهج الإخواني وأركانها العشرة وقد ذكرها البنا في رسالة التعاليم من مجموعة الرسائل له صــ ٢٦٨ حيث قال أيها الإخوة الصادقون أركان بيعتنا عشرة فاحفظوها .

(١) الفهم (٢) الإخلاص (٣) العمل (٤) الجهاد (٥) التضحية (٦) الطاعة
(٧) الثبات (٨) التجرد (٩) الأخوة (١٠) الثقة ظ.

وملاحظاتي على هذه البيعة من جهات :

الجهة الأولى : أن البيعة حق للإمام الأعلى فمن أخذ البيعة غير الإمام الأعلى فقد ابتدع في الدين بدعة مذمومة وقد قال النبي ﷺ (ورجل بايع إماماً لم يبايعه الا لدنيا فان أعطاه منها وفا له وان لم يعطه لم يف) (١) وقوله (سيكون عليكم أمراء فيكثرون قالوا فما تأمرنا قال فوا ببيعة الأول فالأول) (٢) وقوله (إذا بويع خليفتان فاقتلوا الآخر منهما) (٣) .

الجهة الثانية : أنه لم يعرف أن أصحاب الدعوات يأخذون البيعة على دعواتهم فقد قام الشيخ محمد ابن عبدالوهاب رحمه الله في القرن الثاني عشر الهجري بالدعوة الى الله في نجد ولم يأخذ من أحد البيعة على الطاعة ومع ذلك فقد بارك الله فيها وكذلك الشيخ عبدالله ابن محمد القرعاوي حين قام بالدعوة الى الله في جنوب المملكة لم يقل لأحد أنه يريد أخذ البيعة منه لما يدعوه إليه وقد بارك الله فيها وقبلهم شيخ الإسلام ابن تيمية لم يأخذ من أحد بيعة وقد بارك الله في دعوته فهؤلاء أصحاب الدعوة السلفية أما المبتدعة فإنهم لايتحاشون من البدع ومن الدعوة اليها .

الجهة الثالثة : أن أركان بيعة البنا عشرة أما بيعة النبي ﷺ لأصحاه فهي أقل من ذلك بكثير ففي صحيح البخاري من حديث عبادة ابن الصامت رضي الله عنه قال بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره وأن لا

---

١) صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني رقم الحديث ٣٠٦٣ .
٢) أخرجه مسلم في الإمارة برقم ١٨٤٢ .
٣) أخرجه مسلم باب إذا بويع لخليفتين في كتاب الإمارة رقم الحديث ١٨٥٣ .

تنازع الأمر أهله وأن نقول بالحق حيثما كنا لانخاف في الله لومة لائم) (١) وفي حديث ابن عمر با يعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فلقننا فيما استطعتم) (٢) . وفي حديث جرير ابن عبدالله البجلي أنه بايع النبي ﷺ على السمع والطاعة والنصح لكل مسلم) (٣) .

فهذه بعض الأركان العشرة وأين الدليل على الباقي ؟

فإن قيل أن بيعة البنا ليست لنفسه وإنما هي للعمل للإسلام . فالجواب أنه قد سبق البنا دعاة دعوا الى الله دعوة سلفية أو قل سنية أسسوا دعوتهم على التوحيد كما دعى رسول الله ﷺ ولم يأخذوا البيعة على احد بالعمل للإسلام ومع ذلك فقد نجحوا في دعواتهم رحمهم الله وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيراً .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ؒ وليس لأحد منهم (أي المعلمين) أن يأخذ على أحد عهداً بموافقته على كل ما يريده وموالاة من يواليه ومعاداة من يعاديه ، بل من فعل ذلك منهم كان من جنس جنكيز خان وأمثاله الذين يجعلون من وافقهم صديقاً والياً ومن خالفهم عدواً باغياً ، بل عليهم وعلى أتباعهم عهد الله أن يطيعوا الله ورسوله ويفعلوا ما أمر الله به ورسوله ويحرموا ما حرم الله ورسوله ويرعوا حقوق الله ورسوله) (٤) أهـ .

وروى الذهبي في السير بسنده الى قتادة قال حدثنا مطرف (أي ابن عبدالله بن الشخير التابعي المعروف) قال كنا نأتي زيد بن صوحان فكان يقول يا عباد الله أكرموا وأجملوا فإنما وسيلة العباد إلى الله بخصلتين الخوف والطمع قال فأتيته ذات يوم وقد كتبوا كتاباً فنسقوا فيه كلاماً من هذا النحو إن الله ربنا ومحمداً نبينا والقرآن إمامنا ومن كان معنا كنا وكنا ومن خالفنا كانت يدنا عليه وكنا وكنا قال فجعل يعرض الكتاب عليهم رجلاً رجلاً فيقولون أقررت يا فلان حتى انتهوا الي فقالوا أقررت يا غلام قلت لا قال زيد لاتعجلوا على الغلام ما تقول يا غلام قلت إن الله قد أخذ علي عهداً في كتابه فلن أحدث عهداً غير العهد الذي أخذه علي فرجع القوم من عند آخرهم ما أقر منهم أحد وكانوا زهاء ثلاثين

---

١) أخرجه البخاري في الأحكام باب ٤٣/٧١٩٩

٢) البخاري في الأحكام رقم الباب ٤٣ ورقم الحديث ٧٢٠٢ .

٣) البخاري في الأحكام رقم ٤٣ ورقم الحديث ٧٢٠٤ .

٤) الفتاوى جـ ١٦/٢٨ .

نفساً) (١) .

قلت وفي هذا دليل على أن البيعة لاتؤخذ في الدعوة لأن الله عزوجل قد أخذ على عباده أن يطيعوه ويطيعوا رسوله وأن يفعلوا ما أمرهم به ويتركوا ما نهاهم عنه وما على الداعيه إلا أن يبين للناس ما أمرهم الله به ورسوله وقد قال عزوجل لنبيه محمد ﷺ **﴿إن عليك إلا البلاغ﴾** (٢) وقال له **﴿فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر﴾** (٣) .

وبعد البيان الذي يقوم به الداعية يترك الناس يعملون فيما بينهم وبين ربهم فهو الذي سيحاسبهم إلا إذا ظهر له أن أحداً ركب محرماً أو قصر في واجب فعليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بالطرق المشروعة لذلك وبحسب الحالة المناسبة أما أن يأخذ عليهم البيعة أن يخلصوا أو أن يتجردوا لما أوجبه عليهم وكلفهم به أو أن يتآخوا- أو أن يثق المتبوع في التابع حتى يعطيه الطاعة العمياء فهذا ما أنزل الله به من سلطان .

الجهة الرابعة : جعله للطاعة في المرحلة الثانية من مراحل الدعوة الثلاث التي ابتدعها طاعة عسكرية لابد فيها من التنفيذ سواء كان الأمر خطئاً أم صواباً باطلاً أم حقاً وقد كان النبي ﷺ مع أنه معصوم من الخطأ ومؤيد بالوحي يشاور أصحابه وقد شاورهم يوم بدر وشاورهم يوم احد وقد مر بنا قريباً أنه كان يبايع أصحابه على السمع والطاعة ويلقنهم فيما استطعت .

أما الطاعة عند البنا فإليك ماقاله في رسالة التعاليم صـ ٢٧٤ قال وأريد بالطاعة امتثال الأمر وإنفاذه تواً في العسر واليسر والمنشط المكره وذلك أن مراحل هذه الدعوة ثلاث إلى أن قال في المرحلة الثانية التي هي مرحلة التكوين ونظام الدعوة في هذه المرحلة صوفي بحت من الناحية الروحية وعسكري بحت من الناحية العملية وشعار هاتين الناحيتين دائماً (أمر وطاعة) من غير تردد ولا مراجعة ولا شك ولا حرج أهـ .

قلت وهاتان الناحيتان غريبتان عن الإسلام فالطاعة في الإسلام حكمها الوجوب إلا أنها مقيدة بقيود الأول أنها مقيدة بالمعروف فلا طاعة في المعصية . وفي صحيح البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال

---

١) سير أعلام النبلاء جـ٤ / ١٩٢ .
٢) سورة الشورى آية ٤٨ .
٣) سورة الغاشية آية ٢٢ .

السمع والطاعة حق مالم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) (١) وقد ورد أيضاً إنما الطاعة في المعروف) (٢) .

القيد الثاني أن تكون الطاعة فيما يستطيع المرء وكان النبي ﷺ اذا بايع رجلاً على السمع والطاعة يلقنه فيما استطعت) رواه البخاري بمعناه في كتاب الأحكام من صحيحه وهذه الأحاديث دالة على أن الطاعة مقيدة بما يستطيع العبد وقد بوب البخاري بقوله باب عزم الامام على الناس فيما يطيقون وأورد فيه حديث ابن مسعود قال أتاني اليوم رجل فسألني عن أمر ما دريت ما أرد عليه قال أرأيت رجلاً مؤدياً نشيطاً يخرج مع أمرائنا في المغازي فيعزم علينا في أشياء لاتحصيها فقلت له والله لا أدري ما أقول لك إلا أنا كنا مع النبي ﷺ فعسى أن لايعزم علينا في أمر إلا مرة حتى نفعله ... الخ .

ومعنى لاتحصيها لانطيقها ومنه قوله في سورة المزمل علم أن لن تحصوه أي أن لن تطيقوه .

ومن هنا تعلم أن قول البنا ونظام الدعوة في هذه المرحلة صوفي بحت من الناحية الروحية وعسكري بحت من الناحية العملية ومعنى ذلك أن الناحيتين تتفقان على وجوب التنفيذ من غير مراجعة ولا تردد ولا تأخير وشعار الصوفية كن بين يدي شيخك كالميت أي تجرد من عقلك وثق به ثقة عمياء ونفذ كل ما يطلبه منك وإن ناقض الدين والعقل وشعار النظام العسكري يقول نفذ ثم اعترض أي لاتعترض قبل التنفيذ .

ومن هنا تعلم أن النظام الصوفي والعسكري في الطاعة كلاهما نظام باطل مخالف للإسلام ومضاد له . وبالله التوفيق .

قال الشيخ أحمد سلام في كتابه نظرات في مناهج الإخوان صـ٧٨ إن للطاعة في الإسلام حدوداً ظاهرة ومعالم واضحة يقول الله تبارك وتعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيئ فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ (٣) فطاعة الله هي اساس التوحيد وحقيقته وطاعة الرسول هي من طاعة الله سبحانه وتعالى فمن أطاع رسول الله ﷺ فبطاعة الله أطاعه ولذا أنزل الله تعالى رسوله ﷺ منزلة لم ينزلها أحداً من الناس وجعل له طاعة لم

---

١) أخرجه البخاري في الجهاد باب السمع والطاعة للإمام رقم الحديث ٢٩٥٥ .
٢) مسلم من حديث علي برقم ١٨٤٠ وفي الحديث قصة .
٣) سورة النساء الآية ٥٩ .

يعطها لسواه قال تعالى ﴿فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ (١) .

وهذه الطاعة المطلقة التي جعلها الله لرسوله والتي لايتحقق إيمان عبد دونها ولأنه عصمه الله من الخطإ والهوى وفي هذه الآية فرض الله طاعة أولي الأمر إلا أنها ليست كطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بل هي طاعة فيما أمروا به من طاعة الله وطاعة رسوله ، ولا طاعة لهم فيما سوى ذلك .

ولهذا قال تعالى في الآية ﴿فإن تنازعتم في شيئ فردوه إلى الله والرسول﴾ وقال رسول الله ﷺ ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق إنما الطاعة في المعروف (٢) .

وذلك أن وَليَّ الأمر مهما كان على علم وفضل فإنه بشر يجوز عليه الخطأ والنسيان والميل مع الهوى والآمر بالظلم وغير ذلك فكان لابد من وضع حد لطاعته حتى لاتزل الأمة بخطئه ولا تنحرف بانحرافه ، ولذا أوجب الله عزوجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومناصحة أولي الأمر إلى أن قال فهل يتفق هذا المفهوم للطاعة مع مفهوم الطاعة الصوفية الذي أدخله البنا في أصوله (صوفي بحت من الناحية الروحية وعسكري بحت من الناحية العملية أمر وطاعة من غير تردد ولا مراجعة ولا شك ولا حرج أهـ) (٣) .

واقول إن البنا أنزل نفسه منزلة مشرع حين فرض طاعة تختلف عن الطاعة التي فرضها الله ورسوله وفرض بيعة وجعل لها أركاناً عشرة وفرض طاعة عمياء وثقة في القائد لاتختلف عن الثقة في المعصوم من الخطأ ولا نعرف أحداً من أهل الإسلام وعلماء الإسلام يقول بعصمة أحد من الخطأ إلا الشيعة الإمامية الإثنا عشرية في أئمتهم وإلا الصوفية في شيوخهم ومع ذلك يزعم البنا أن دعوته دعوة سنية سلفية مع ما فيها من طوام ودواهي أوقعه فيها تربيته الصوفية التي عاشها في نشاته وطبق الكثير منها في دعوته .

الملاحظة السادسة عشرة : جعل البنا الأصول العشرين قاعدة لأصحابه ينطلقون منها وهي فيها حق مسلم به وفيها باطل مقطوع ببطلانه وفيها شيئ فيه نظر ، والذي يلاحظ عليه اكثر هو إلزامه لأتباعه بهذه الأصول وكأنه حصر الدين فيها

---

١) سورة النساء الآية ٦٥ .

٢) كتاب الجهاد من صحيح البخاري رقم الحديث ٢٩٥٥ .

٣) نظرات في مناهج الإخوان صـ٧٨/٧٩ بتصرف .

وقد أنكر ذلك عليه علماء الشريعة وأنا أنقل ماقاله الشيخ أحمد سلام في كتابه نظرات في مناهج الإخوان المسلمين صـ٧٦/٧٧ قال ونحن لانشك في ضرورة إلتزام الدعاة بفهم واحد ومنهج واحد من أجل توحيد مصادر التلقي وايجاد أساس لوحدة المفاهيم والسلوك والمسار فهل يتحقق هذا المطلب بصياغة الإمام البنا لأصوله العشرين ودعوة الدعاة إلى الإلتزام بها وحدها واعتبارها ديناً يدينون الله به (واذا علم الأخ المسلم دينه من هذه الأصول العشرين فقد عرف معنى هتافه دائماً القرآن دستورنا والرسول قدوتنا فما الذي يمنع المسلمين ودعاتهم من وضع أصول شبيهة تزيد عنها أوتنقص ومن دعوة الناس إلى إلتزامها والتجرد مما سواها وفهم الإسلام من خلالها والتعامل مع القرآن والسنة من قناتها .

أفبهذا المسلك يسير دعاة الإسلام نحو تحقيق وحدتهم أم يكونون عوناً لعدوهم على حربهم نحن لانشك لحظة واحدة أن غيرة الإمام البنا على دعوة الإسلام وشدة حرقته على أوضاع المسلمين هي التي أملت عليه هذه الأصول رغبة في جمع المسلمين في سبيل واحد وتوظيف جهودهم في عمل موحد . غير أن التجرد لأصوله وأفكاره واعتبارها أسنى الفكر وأجمعها وأعلاها إنما هو لازم العصمة في الحقيقة ولذا فلن تجد بين علماء الإسلام في السابق من يدعوا الى فكره ورأيه دون بقية الآراء والأفكار لأن كل عالم منهم كان يعلم أن علمه علم اتباع وأن عمله مقصور على بيان ماجهل الناس من العلم ودعوتهم إليه وإيضاح سبيل الخلق السوي الذي جاء به محمد بن عبدالله ﷺ واصلاح ما فسد منه وتربيتهم عليه . أهـ .

وأقول إن إلزام البنا باصوله العشرين وإلتزام اتباعه بها يصير المندوب فيها واجباً والواجب ركناً وإن عناية أتباعه بهذه الأصول يفوق كل الأحكام التي لم تذكر فيها لذلك فإنهم يقرأونها ويحفظونها أكثر من غيرها ويعنون بشرحها وهذا يجعل لها ميزة أكثر من غيرها ويعطي ما جاء فيها حكماً أقوى من الحكم الذي جاء في الشرع وكفى بهذا دليلاً على إضفاء الصبْغة التشريعية عليها ومن شرع مع الله فقد شاركه في منصب الألوهية قال تعالى ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من

الدين مالم يأذن به الله﴾ (١) .

الملاحظة السابعة عشرة : إستعمالهم للإمارة في الحضر وإكثارهم منها مع أن الإمارة لم ترد في الشرع إلا في السفر أما في الحضر فالأمير العام كاف ولا يجوز أن نتخذ أميراً آخر وإلا لزم من ذلك التناقض ومن زعم أن الإمارة في الحضر غير الإمارة التي تمثل السلطة القائمة مشروعة فعليه الدليل ولن يجد .

الملاحظة الثامنة عشرة : استعمالهم للتقية في أخبارهم وأقوالهم وهذه أمور سبرناها فيهم وعرفناها منهم والله يسألني قبل كل احد عن كل حرف أكتبه عنهم ووالله الذي لاإله الا هو ما كتبت عنهم شيئاً إلا بعد أن سبرته فيهم وعرفته منهم .

الملاحظة التاسعة عشرة : الإكثار من الأناشيد ليل نهار وتنغيمهم لها أي تلحينهم لها وأنا لا أحرم سماع الشعر فقد سمعه النبي ﷺ ولكن هؤلاء يذهبون في هذه الأناشيد مذهب الصوفية في غنائهم الذي يثير الوجد على ما يزعمون . وقد ذكر ابن الجوزي في كتابه نقد العلم والعلماء صـ٢٣٠ عن الشافعي أنه قال خلفت بالعراق شيئاً أحدثته الزنادقة يشغلون به الناس عن القرآن يسمونه التغبير قال المصنف رحمه الله (يعني ابن الجوزي) وذكر أبو منصور الأزهري المغبرة قوم يغبرون بذكر الله بدعاء وتضرع وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر في ذكر الله عزوجل تغبيراً كأنهم اذا شاهدوها بالألحان طربوا ورقصوا فسموا مغبرة بهذا المعنى وقال الزجاج سموا مغبرين لتزهيدهم الناس في الفاني من الدنيا وترغيبهم في الآخرة .

قلت عجيب أمر الصوفية يزعمون أنهم يزهدون الناس في الدنيا بالغناء ويرغبونهم في الآخرة بالغناء فهل الغناء يكون سبباً في الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ، أم العكس هو الحقيقة أنا لاأشك ولا يشك أحد عقل عن الله ورسوله أن الغناء لايكون إلا مرغباً في الدنيا مزهداً في الآخرة ومفسداً للأخلاق ، مع العلم أنهم اذا قصدوا به الترغيب في الآخرة فهو عبادة والعبادة إن لم يشرعها رسول الله ﷺ فهي بدعة محدثة ولهذا نقول إن الأناشيد بدعة .

---

١) سورة الشورى آية ٢١ .

الملاحظة العشرون : الإكثار من التماثيل التي تنبني على الكذب والتصنع وتقمص الشخصية زوراً وبهتاناً وظلماً وعدواناً فيتقمص الكافر أو الفاسق الشخصية الإسلامية العالية كالصحابة أو غيرهم من أهل العلم والإيمان وقد يتقمص المسلم شخصية كافرة وأذكر أني مرة حضرت حفلاً مثل واحد نعده من خيار الطلبة دور برجنيف الزعيم الروسي الملحد ونصح الطالب والمشرفون على الحفل بعدم إنفاذ ذلك ولكنهم أبوا إلا إنفاذه فإنا لله وإنا إليه راجعون .

الملاحظة الحادية والعشرون : خروج بعضهم في جنح الليل الى مكان بعيد عن البلد يزعمون أنهم يقرأون فيه القرآن أو أو !!! .

ولقد دعيت مرة إلى إلقاء محاضرة في أحد المعسكرات فكان من ضمن الأسئلة سؤال يقول جماعة يخرجون من بعد صلاة العشاء إلى الأماكن البعيدة يزعمون أنهم يقرأون القرآن فهل تنصحني بالذهاب معهم أم لا ؟ .

فقلت إجابة على هذا السؤال لا أرى لك أن تذهب معهم لأن هؤلاء لوكانوا صادقين انهم يريدون أن يقرأوا القرآن لجلسوا في المسجد أما الخروج في الليل إلى الأماكن البعيدة فأخشى أن يسول لهم الشيطان معصية وبالأخص اذا كان معهم طالب صغير .

وبناء على هذه الفتوى فقد جاء بعضهم يعاتبني ويزعم بأني أتهمهم بشيء أستحي من ذكره فقلت سبحان الله وهل يعقل أني أقول هذا وبعد حوار ونقاش قلت له اذكر أني دعيت إلى معسكر ما وكان من ضمن الأسئلة كذا وكذا وأجبت عليه بكذا فتنفس الصعداء وخفت حملته قليلاً فقلت أليس السلف كانوا ينهون عن الخلوة بالأمرد قال نعم وكان بعضهم يجلسه خلف ظهره .

الملاحظة الثانية والعشرون : مغالاتهم في شخص البناء ومن ذلك ما ذكره جابر رزق في كتابه .... عن مجلة الدعوة السنة الأولى العدد ٧ جمادى الأولى ١٣٧٠ هـ لصالح عشماوي عن حسن البنا قال فيها .

قد كنت أوثر أن تقول رثائي   يا منصف الموتى من الأحياء

ثم قال رحم الله حسن البنا فقد كان فلتة من فلتات الطبيعة قلما يجود الزمان بمثله وهو لم يمت بل حي عند ربه يرزق أهـ . من كتاب دعوة الإخوان المسلمون في الميزان .

قلت في هذين السطرين وبعض السطر عدة أخطاء .

الخطأ الأول في قوله يامنصف الموتى من الأحياء وذلك أن إنصاف الموتى من الأحياء من خصائص الله عزوجل الذي يعلم حال الموتى وحال الأحياء وما ظلموا به الموتى ويقدر على إنصافهم منهم .

الخطأ الثاني قوله فقد كان من فلتات الطبيعة وقائل هذا القول كأنه يقر إسناد خلق هذا الكون الى الطبيعة وكأن الطبيعة هي الخالقة لهذا الكون ولها فيه خلق منظم وخلق غير منظم بل هو فلتات والفلتة هو الشيئ الذي يأتي مصادفة من غير سابق تقدير ونظر وهذه عقيدة الملحدين الذين يزعمون أن الطبيعة هي الموجدة لهذا الكون والمتصرفة فيه ومن اعتقد هذا الإعتقاد كفر.

الخطأ الثالث : في قوله قلما يجود الزمان بمثله ووجه الخطأ فيه أن الزمان هو الذي يجود أحياناً برجل أو رجال مثل البنا وفي هذا إسناد الخلق الى الزمان لاإلى الله عزوجل الذي هو خالق كل شيئ .

الخطأ الرابع : قوله عن البنا وهو لم يمت بل حي عند ربه يرزق هذا كذب على الله وقد ورد في الصحيح من حديث أم العلاء قالت طار لنا عثمان بن مظعون فمرض فمرضناه فلما توفي قلت شهادتي عليك أبا السائب لقد أكرمك الله فقال النبي ﷺ وما يدريك أن الله أكرمه قالت بأبي وأمي أنت يارسول الله والله ما أدري فقال النبي ﷺ إني والله وأنا رسول الله ما أدري ما يفعل بي ولا بكم) (١)

وعلى هذا فلا يجوز لأحد أن يقطع بأن فلاناً عند ربه يرزق ولكن يقول أرجوا له الخير وأرجوا له الجنة وأرجوا أنه شهيد .

الملاحظة الثالثة والعشرون : تنظيم المسيرات والتظاهرات والإسلام لايعترف بهذا الصنيع ولا يقره بل هو محدث من عمل الكفار وقد انتقل من عندهم إلينا ، أفكلما عمل الكفار عملاً جاريناهم فيه وتابعناهم عليه إن الإسلام لاينتصر بالمسيرات والتظاهرات ، ولكن ينتصر بالجهاد الذي يكون مبنياً على العقيدة الصحيحة والطريقة التي سنها محمد بن عبدالله ﷺ ولقد ابتلي الرسل وأتباعهم بأنواع من الإبتلاءات فلم يؤمروا إلا بالصبر فهذا موسى عليه السلام يقول لبني اسرائيل رغم ماكانوا يلاقونه من فرعون وقومه من تقتيل الذكور من المواليد واستحياء الإناث يقول لهم ما أخبر الله عزوجل به عنه قال موسى لقومه

---

١) سير أعلام النبلاء ١/١٥٩/١٦٠ .

﴿استعينوا بالله واصبروا ان الأرض لله يروثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾ (١)

وهذا رسول الله ﷺ يقول لبعض أصحابه لما شكوا إليه ما يلقونه من المشركين (إن من كان قبلكم كان يؤتى بالرجل منهم فيوضع المنشار في مفرقه حتى يشق ما بين رجليه ما يصده ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الرجل من صنعاء الى حضرموت لايخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون) (٢) فهو لم يأمر أصحابه بمظاهرات ولا اغتيالات .

الملاحظة الرابعة والعشرون :

تدبير الاغتيالات انظر كتاب النقط فوق الحروف ، الإخوان المسلمون والنظام الخاص لمؤلفه أحمد عادل كمال أحد أعضاء الإخوان انظر صـ ٢٧٧ من هذا الكتاب موضوع النقراشي الذي كان وزيراً للداخلية ووزيرا للمالية وأصدر في ١٩٤٨/١٢/٨م النقراشي أمره بحل جماعة الإخوان المسلمين ولم تنقضي ثلاثة أسابيع حتى سقط النقراشي في عرينه بوزارة الداخلية برصاص الإخوان المسلمون وكان لذلك أسباب ثلاثة كما أفصح عنها عبد المجيد أحمد حسن الذي اغتاله ، تهاونه في وحدة مصر والسودان ، وخيانته لقضية فلسطين ، واعتدائه على الإسلام بحل الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية في عصرها ، وانظر صـ ٢١٨ من نفس الكتاب تحت عنوان كيف اغتيل الخازندار .

وأنا لا أنصب نفسي خصماً للإخوان في فعلتهم ولا أدافع عن أعداء الإسلام إلا أني أفهمهم أن مثل هذا الصنيع لا يقره الإسلام فالله تعالى يقول **﴿وان الله لا يهدي كيد الخائنين﴾** (٣) والنبي ﷺ يقول **(ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان بن فلان)** والله تعالى لم يرضى الغدر من عباده المؤمنين حتى ولا في حق الكفار الصرحاء قال تعالى **﴿وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين﴾** (٤) .

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية يقول تعالى **﴿وإما تخافن من قوم خيانة﴾** أي نقضاً لما بينك وبينهم من المواثيق والعهود **﴿فانبذ﴾** إليهم عهدهم

---

١) سورة الأعراف آية ١٢٨ .
٢) نظر اليقين .
٣) سورة يوسف آية ٥٢ .
٤) سورة الأنفال آية ٥٨ .

﴿على سواء﴾ أي أعلمهم أنك نقضت عهدهم حتى يبقى علمك وعلمهم بأنك حرب عليهم وأنهم حرب عليك وأنه لا عهد بينك وبينهم ﴿على سواء﴾ أي تستوي أنت وهم في ذلك . ثم أورد حديثاً من مسند الإمام أحمد عن سليم بن عامر قال كان معاوية يسير في أرض الروم وكان بينه وبينهم أمد فأراد أن يدنو منهم فإذا انقضى الأمد غزاهم فإذا شيخ على دابة يقول الله أكبر الله أكبر وفاء لا غدر إن رسول الله ﷺ قال ومن كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عقدة ولا يشدها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء قال فبلغ ذلك معاوية فرجع وإذا بالشيخ عمرو بن عبسه رضي الله عنه وهذا الحديث رواه أبو داوود الطيالسي عن شعبه وأخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي حديث حسن صحيح .

وقد أنكر صنيع الإخوان في الإغتيالات الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في كتابه المسمى فصول من السياسة الشرعية في الدعوة إلى الله صـ ٨٧ فقال :

واليوم ابتلينا بمن يتصدر الدعوة إلى الله سبحانه فينتحلون الإغتيالات السياسية والأعمال الهمجية الغوغائية والاستعانة على الباطل بالباطل وإذا جئت تنصحهم وتقول لهم أن هذه أخطاء اتهموك بالكفر والزندقة والمروق ومخالفة سبيل المؤمنين والمجاهدين .

وإن قلت لهم اعترفوا بأخطائكم لتتجاوزوها زعموا لأنفسهم وقادتهم العصمة أو أنكروا الحقائق وجادلوا بالباطل ولولا أن الدين الذي يحتمون به عظيم وقد نشره غيرهم لما وجد هؤلاء طريقاً إلى قلوب الناس وعقولهم أهـ .

قلت وإنهم حين يعملون مثل هذه الأخطاء الفادحة وهم يزعمون أنهم دعاة إلى دين الله يُحَمِّلون الدين تبعة أخطائهم وأخطاء كل من نسبوا إلى الدين عند عامة الناس وغوغَائهم ومن يريدون تشويه سمعة أهل الدين لينفروا عنه فكان في ذلك مساهمة في التنفير عن الدين وتشويه لسمعة الدين وأهل الدين وإعانة منهم لكل عدو متربص ليستغل الإثارة ضد الدين الحنيف .

ولقد ترك النبي ﷺ قتل المنافقين نفاقاً اعتقادياً بعد أن عرف أعيانهم خوفاً من أن يقال أن محمداً يقتل أصحابه فيستغل ذلك أعداء الدين في التنفير عن الدين مع ما لقي منهم فقد هموا بالإطاحة به ليلة العقبة لولا أن الله عز وجل قد عصمه وأخبر حذيفة بن اليمان بأسمائهم واستسره وقبل ذلك قال عبد الله بن أبي مقالته التي ذكرها الله في سورة المنافقين ففضحه الله وأظهر ما كان يكتمه من

عداوته للدين وللرسول الذي جاء به ﷺ حتى عرض ابنه على النبي ﷺ أن يقتله ويأتيه برأسه خوفاً من أن يأمر النبي ﷺ أحداً بقتله فتحمله الحمية أن يقتل مؤمناً بكافر فيكون من أهل النار فأبى النبي ﷺ ذلك وقال (**بل نترفق به ونحسن صحبته مادام معنا**) البداية والنهاية في التاريخ لابن كثير ج ٤ /١٤٠ وما كان المانع للنبي ﷺ أن يقتل المنافقين مع معرفته بأعيانهم إلا أن يشاع في العرب أنه يقتل أصحابه فيستغلها أعداء الإسلام في التنفير عن الإسلام وإن الواجب على أصحاب كل دعوة إسلامية يزعم أصحابها أنهم يدعون إلى الإسلام أن يتقيدوا بأوامر الإسلام ونواهيه وآدابه وألا يذهب بهم الهوى مذاهب تنأى عن الإسلام كثيراً أو قليلا .

إن الإسلام دين النقاء والوفاء وليس للغدر و الخيانة فيه مكان ونحن نعلم أن الإسلام أباح للإنسان إذا ظلم أن ينتصر ولكن بالطريقة المشروعة وليس بالطرق الملتوية وبقدر مظلمته فقط لا زيادة فمن سبك واحدة لا يجوز لك أن تسبه اثنتين وإن عفوت كان ذلك خير لك .

الملاحظة الخامسة والعشرون :

أنهم يزهدون في علماء السنة وينبزونهم بالألقاب فيصفون بعضهم بأنه عميل والبعض الآخر بأنه مداهن وتارة يقولون عنهم أنهم علماء الورق وعلماء الحيض والنفاس وأنهم يجهلون الواقع و و و... الخ القاموس الذي تفثه قادتهم في صدورهم ، فينفرون الشباب عنهم ويزهدون فيهم وفي حلقاتهم فلا ينظرون إليهم إلا بعين الإحتقار وينشأ عن ذلك حاجز وحجاب يفصل بين هؤلاء وهؤلاء أي بين العلماء والطلاب وتكون النتيجة مرة والعاقبة سيئة لأنهم إذا زهدوا في علمائهم واتهموهم على الدين سيقيسون الأمور بأهوائهم وما يسيرهم به قادتهم وبحكم جهلهم بكثير من الأحكام الشرعية سيقعون في أخطاء كثيرة يظنونها صواباً فيستمرون عليها فتموت بسبب ذلك سنن وتروج بدع وتفشو ويحملها بعضهم عن بعض حتى يأتي زمان يظن الناس فيه بأنها سنة .

فإنا لله وانا إليه راجعون . اللهم أرنا الحق حقاً وأرزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ولا تجعله ملتبساً علينا فنضل .

يقول عبد الرحمن عبد الخالق في كتابه خطوط رئيسية لبعث الأمة الإسلامية صـ٧٦ وهو واحد من هذا النمط وإن كان يخالفهم أحياناً كما سبق أن نقلت عنه نقده لمنهج الإخوان في الإغتيالات ، قال : واليوم للأسف نملك شيوخاً يفهمون قشور الإسلام على مستوى عصور قديمة تغير بعدها نظام حياة الناس وطرائق معاملاتهم ، ما قيمة عالم يقرأ آيات الربا ولا يفهم نظام المعاملات الربوية القائم الآن وما قيمة عالم لا يستطيع الرد على ملحد يزعم أن قطع اليد في السرقة وحشية وأن الزواج بأربع نسوة همجية ورجعية وما قيمة عالم بالشريعة يزعم أن السياسة ليست من الدين وأنها وقف على هذا الطابور الجاهل من محترفي السياسة ولصوصها ، وما قيمة عالم بالشريعة لو دعي إلى نداء الجهاد وحمل السلاح يقول ليس هذا من شأن رجال الشريعة اننا نستطيع فقط الفتوى في الحلال الحرام والحيض والنفاس . ثم استطرد في كلامه وضرب مثلا لهذا النمط بعالم جليل وشيخ عبقري علامة قل أن يرى مثله فسر كتاب الله بتفسير عظيم سماه أضواء البيان ورغم أنه أثنى عليه إلا أنه دس السم في الدسم فقال ولكن هذا الرجل لم يكن على شيء من مستوى عصره فما كان يدرك جواب شبهة يوردها عدو من أعداء الله ولا كان على إستعداد لسماع هذه الشبهة إلخ ما قال انظره في صـ٧٨/٧٧من الكتاب المذكور .

وأقول قاتلك الله ياعبد الرحمن أكان هذا جزاء شيخك منك أن ترميه بهذا

البهت فتزعم أنه على سعة علمه يعجز أن يرد شبهة يوردها عدو من أعداء الله عليه ، وقد فسر كتاب الله بتفسير لم يسبق إلى مثله وهو يحفظ أقوال الفقهاء والأصوليين في كل حكم ويحفظ أشعار العرب وأقوال اللغويين وخلافهم وما يستشهد به لكل قول أو كل فريق أتراه ، وقد حفظ كتاب الله وسنة نبيه وأقوال أهل العلم يعجز أن يرد على مارق من المارقين شبهة إلحاديه ان هذا لهو الإفتراء والكذب والظلم فلو ضربت مثلا بغير هذا الرجل لكان في الإمكان أن يصدقك بعض الناس ولكن الله يريد أن يظهر تجنيك عليه وظلمك له فاتق الله وتب إلى الله وامسح ما كتبته في هذا المقطع من رميك للعلماء بالجهل والعجز والخور ، أتريد من العلماء أن يعكفوا على نظام المعاملات الغربية فيدرسوه وهم قد درسوا الشريعة وآمنوا بأنها هي الحق وما سواها باطل فلا يعرض عليهم نظام من نظم الجاهلية إلا عرفوه وبينوا بطلانه بما عندهم من علم الشريعة الذي هو مهيمن على كل علم .

ثم أرني عالماً واحداً من العلماء بحق يقول إن السياسة ليست من الدين أو واحداً من العلماء بحق يدعى إلى الجهاد في سبيل الله فيأبى ذلك .

وأخيراً أرني القشور التي في الدين الإسلامي وبين لي ما هي ، إن الإسلام كله حق لا باطل فيه وصدق لا كذب فيه وجد لا هزل فيه ولب لا قشور فيه وأخاف على من زعم أن في الإسلام قشوراً أن يكون قد خرج منه وضار مرتداً فاتق الله يا عبد الرحمن وتب إليه لا يحملك التحزب والعصبية أن ترمي الدين بما ليس فيه وأنت تزعم أنك تدعوا إليه وترمي حملته من العلماء الربانيين بما ليس فيهم فالتوبة مواتية وممكنة الآن .

وأخيراً فهذا واحد من أهل هذا المنهج بل ربما قيل أنه من المعتدلين فيهم يتهم العلماء ويزدريهم ويرميهم بما ليس فيهم ويزعم أنهم فهموا من الدين قشوره إنه يسير على نمط الغزالي ويضرب على الوتر الذي ضرب عليه الغزالي ويأتي من ينتقد السلفية الجديدة كما زعم فيزعم أن السلفية الجديدة سلفية عرفت من الإسلام قشوره يقلد بعضهم بعضاً فهلا بينوا لنا القشور التي في الدين حتى نعلمها ولكنه التقليد الأعمى أتوا صوابه بل هم قوم طاغون .

فصل

ومن ولائد الإخوانية السرورية والقطبيين وهما فرقتان أو حزبان انفصلتا من الإخوانيين فالسرورية تنسب إلى محمد بن سرور زين العابدين الذي هو الآن مقيم في مدينة لندن ويصدر مجلة تسمى مجلة السنة وأمامي الآن مقال مطول بعنوان السرورية كتبه هو بنفسه وهاجم فيه الإخوانية بعد أن عمل فيها عشر سنين كما ذكر وهذا المقال نشر في مجلة السنة العدد السابع والعشرون جمادى الآخرة عام ١٤١٣ هـ . قال فيه بعد رحلة في هذه الجماعة استمرت عشرة أعوام هيأ الله لي أجواءً علمت من خلالها أن الدعوة ألى الله يجب أن تكون من خلال عقيدة ومنهج السلف الصالح رضوان الله عليهم ولم تكن الجماعة التي أنتسب إليها كذلك وكنت أحاول التوفيق بين قناعاتي الجديدة ووضعي في هذه الجماعة ولكن هيهات فالمسافة بعيدة والخرق يتسع ، صحيح أن الجماعة في المنطقة التي أقيم فيها ليس فيها أشاعرة أو متصوفة أو معتزلة ولكن هذا الصنف موجود في أماكن أخرى وبينهم مسئولون من كبار أهل الحل والعقد في إطار بلاد الشام أو في إطار البلدان العربية وهؤلاء عند منتسبي الجماعة ثقات وغير مسموح بنقدهم أو تجريحهم لأن الأصل في توثيقهم انتمائهم لهذه الجماعة وليس الأصل منهاجهم وتصوراتهم التي يدعون إليها وهذا العمل الحزبي يجعل الفرد المنتمي إلى هذه الجماعة يشعر بأن فلاناً الصوفي أقرب إليه مرات ومرات من فلان السلفي لسبب بسيط جداً فالأول من الجماعة والثاني مستقل ولا ينتمي لأية جماعة .

لقد سئمت من سياسة التجميع على أساس غير سليم وصرت أعتقد فشل سياسة وتخطيط هذا الخليط من الخلائق وان زعموا أنهم من النصر قاب قوسين أو أدنى ومللت ترداد من حولي ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه .

كيف يعذر بعضنا بعضاً في اختلاف التضاد ، وهذا الإعذار يعني أنه لا فرق يستحق الذكر بين السلفيين وأهل الإعتزال وغيرهم من أهل البدع والخرافات .

إن الغوغائية هي التي تجعل هؤلاء الناس يرددون هذه المقولة وعندما يتحررون من الغوغائية والسطحية سوف يشعرون بخطر هذا الشعار ..

وفضلا عن هذا وذاك لم أجد مسوغاً لتقديم قول قادة هذه الجماعة على كل قول وإن كان هذا القول شرعياً وعليه أدلة واضحة من الكتاب والسنة حاولوا تأويل

هذه النصوص حتى لا تتعارض مع أقوال القادة »»» وهذه هي مشكلة الأتباع يغالون في حب قادتهم ويزداد هذا الغلو مع مرور الزمن وقلة العلماء والعاملين واندراس العلم .

٢- كنت صغيراً عندما انتسبت إلى هذه الجماعة وكنت افتقد الحد الأدنى من العلوم الشرعية التي تمكنني من معرفة حدود الطاعة ولهذا فقد كنا نخضع لمزاجية المسئول عنا ...

كان يأمرنا بأن نقاطع فلاناً لأنه انحرف عن خط الجماعة وكنا نستجيب له لأنا نعتقد أن طاعة هذا المسئول طاعة لله ولرسوله وهو أي المسئول الذي علمنا هذا الإعتقاد وكنا نعلم بطريقة أو بأخرى أن هذا الأخ الذي قاطعناه لم ينحرف عن خط الجماعة ولم يَتَخَلَّ عنها أو يناصبها العداء ولكنه اختلف اختلافاً شخصياً مع صاحبنا الذي أمرنا بمقاطعته وكنا في هذه الحالة نبحث عن أعذار للمسئول عنا ، فان لم نجد أوهمنا أنفسنا بأن الجماعة على خير ما يرام ويجب أن لا نشتغل بما لا يعنينا .... أ هـ

وبعد هذا الهجوم العنيف والنقد اللاذع الذي سمعناه إلا انه هجوم في محله ونقد أصاب المقاتل من جماعة الإخوان لأنه صدر عن رجل عاش في هذه الجماعة عشر سنوات عرف خلالها أشياء كثيرة من الأخطاء وكل ما انتقده يؤيد ما لاحظه أهل العلم على هذا المنهج ودونته في ملاحظاتي السابقة

فأول : ما انتقده هو ذلك الخليط من البشر بين قناعات متباينة وعقائد متضادة واتجاهات مختلفة مما لا يستسيغه عقل ولا يقره شرع .

وثانياً : قوله وهذا العمل الحزبي يجعل فلاناً الصوفي أقرب إليه مرات ومرات من فلان السلفي لسبب بسيط جداً فالأول من الجماعة والثاني مستقل ويتبين من هذا شؤم الحزبية وأنها توجب من صاحبها أن يتولى من يجب بغضه وعداوته ويبغض من يجب حبه وموالاته لا لشيء سوى أن الأول من أهل هذا الحزب والثاني من خارجه .

ثالثاً : قوله سئمت من ترداد من حولي ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه وقد أنكر جزاه الله خيراً هذا التعبير الباطل الذي يتنافى مع أعظم الأسس في دين الإسلام قال تعالى : ﴿**لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من**

حاد الله ورسوله ...الآية﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءآء منكم ومما تعبدون من دون الله ..﴾ الآية (٢) .

رابعاً : ذكر أن الغوغائية هي التي تجعل هؤلاء الناس يرددون هذه العبارة بدون تفكير ولا تأمل لما ورائها من نتائج سيئة .

خامساً : قوله وفضلا عن هذا وذاك لم أجد مسوغاً لتقديم قول قادة هذه الجماعة على كل قول وذلك أنه لمس أن أصحاب الحزب يقدمون أقوال قادتهم حتى ولو خالفت النصوص الشرعية وأنهم حينئذ يتأولون النصوص لتوافق أقوال أئمتهم .

سادساً : تعظيم التابعين للمتبوعين ومغالاتهم في حبهم يؤدي بهم إلى أنهم يرفعونهم فوق منزلتهم ويعطونهم ما ليس لهم ويتخذونهم مشرعين من دون الله .

سابعاً : استنكر أيضاً تحكم القادة في حريات من تحت أيديهم فيامرهم القائد أن يقاطعوا فلاناً لأنه انحرف عن خط الجماعة حتى ولو لم يكن منه انحراف ولكن مجرد هوى .

ثامناً : ويُستنتج من هذا دليل على صحة ما قلناه من أنهم يحذرون ممن لم يكن معهم يوماً من الدهر من العلماء لا لشيء سوى أنه ليس من جماعة الحزب .

تاسعاً : إيمانهم بالنظام الديمقراطي الغربي في الإستفتاء وان من أخذ أصواتاً أكثر كانت له الشرعية في نظرهم حتى ولو زاد صوتاً واحداً أو صوتين واعتقادهم أن هذا يوجب الشرعية فما هي الشرعية التي اكتسبها بذلك .

عاشراً : أن الرئيس الذي يصل إلى سدة الرئاسة يصبح دكتاتوراً متسلطاً يفصل من يشاء ويعين من يشاء لا من أجل المصلحة ولكن من أجل الهوى واذا قال قولا وجب على الأعضاء أن يرفعوا أيديهم بالموافقة سواء كان حقاً أو باطلا والويل لمن خالف او رفع رأسه مستنكراً وقد يحدث التخاصم وتبادل التهم وتنفصل عن الجماعة جماعة أخرى إلى آخر ما ذكر .

قلت وفي هذا دليل لما قررته سابقاً من أن الحزبية مثل الجرثومة تنقسم وكل قسم من القسمين ينقسم وهكذا دواليك .

ثم أخبر أنه قرن انفصاله عن الجماعة لما عرف عندهم من السلبيات التي

---

١) سورة المجادلة آية ٢٢

٢) سورة الممتحنة آية ٤ .

ذكر وغيرها ثم قال بعد انفصالي عن الجماعة وضعت لنفسي ثوابت ومنطلقات محددة لا أحيد عنها ولا أستبدلها بغيرها وها قد مضى على مسيرتي في الطريق الجديد أكثر من عشرين عاماً ومرور هذه الأيام زادني قناعة واستمساكاً بهذه الثوابت ومن هذه الثوابت ما يلي :-

أولا : أصبح الأصل عندي الالتزام بعقيدة ومنهج السلف الصالح رضوان الله عليهم .

ثانياً : لم يعد العمل الإسلامي عندي دعوة سلفية وحقيقة صوفية لأن مثل هذا الخليط لا يصلح اساساً لوحدة العمل الإسلامي ولا يؤدي إلا إلى الخصومة والفرقة والتناحر .

ثالثاً : أن العمل الإسلامي لم يعد شعاراً يردده البعض دون تدبر لمعناه كقول القائلين ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه فإني لا أعذر من كان اختلافي معه اختلاف تضاد .

رابعاً : ولم يعد عقلي يتصور وجود جماعة واحدة فيها السلفي والصوفي والأشعري والخارجي ودعاة الإعتزال والعقلاتية وغير ذلك من العقائد والإتجاهات المختلفة المتباينة .

خامساً : وعندما نقول أن الأصل عندنا الإلتزام بعقيدة ومنهج السلف الصالح رضوان الله عليهم فإنما نقصد به رجال خير القرون المفضلة وليست السلفية عندنا تقليد رجل من الرجال المعاصرين في كل ما يقوله ويفتي به فمثل هذا النوع من التقليد نعتبره لوناً من ألوان الحزبية الضيقة وشكلا من أشكال التعصب المذهبي المذموم والعالم مهما علا شانه وعم فضله وعلمه لابد أن نأخذ من قوله ونرد .

سادساً : ليس لعملي هذا تسمية معينة لسببين (١) نحن جزء من أهل السنة والجماعة ، ونعمل من أجل عودة الجميع إلى هذا الكيان الكبير وكلما ذكرنا أهل السنة والجماعة فإنما نقصد به ما كان عليه سلف الأمة الأخيار ... الخ .

(٢) رأيت كثيراً من الأحزاب والجماعات الإسلامية يتعصبون للإسم الذي أطلقوه على أنفسهم ويصبح هذا الإسم شعاراً يميزهم عن غيرهم . إلى أن قال وإذا كان الأمر كذلك فمن أين أتى الظالمون باسم السرورية وفي أي مصنع من مصانع كذبهم لفقوا هذا الإسم اهـ . ما أردت نقله من مقاله بتصرف .

وعلى هذا فإن كلام الشيخ محمد سرور زين العابدين في نقده للمنهج الإخواني في محله وهو نقد في الصميم من قال كلمة الحق يجب أن يقال له

صدقت . وأما قوله بأنه في منهجه الجديد أخذ بالمنهج السلفي فهذا فيه نظر فإنه إن سلم له هذا في أشياء كأن يكون قد اخذ بالمنهج السلفي في الأسماء والصفات والولاء والبراء وهذا حسب ما يظهر من كتابته هذه أما التفصيل والطريقة في المجال العملي فهذا شيئ لاأعلمه وأسأل الله أن يوفقه ويوفق جميع الدعاة الى السير على النهج الصحيح وأخذه بحذافيره . إلا أني ألاحظ على الشيخ عدم تصريحه بالبدء بتوحيد الألوهية الذي بدأت به جميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم كما أخبر الله عزوجل عنهم بقوله ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لاإله إلا أنا فاعبدون**﴾ (١) .

ثانياً : الذي ظهر لنا وبلغنا عن الفرقة التي تسمى بالسرورية بقطع النظر عن كونه هو الذي سماها بهذا الإسم أو هي سمت نفسها أو سماها بهذا الإسم بعض القادة فيها فكل ذلك جائز وإنما الذي يهمنا هو العمل فهل كانت هذه الفرقة كما قال مؤسسها أنها على المنهج السلفي تماماً أم أنهم تنكروا له وتنكبوه في بعض الأمور التي تعتبر من الصميم هذا ما سنراه في السؤال الآتي :-

كتب لي سائل ما فقال فضيلة الشيخ أسأل الله أن يشرح صدرك للحق ، إنني ولله الحمد هداني الله الى الصواب ولكن مع استقامتي هذه وجدت مجموعات سرية تقوم بأنشطة سرية وبرامج فكرية معاصرة وهي عبارة عن سلسلة من الحلقات السرية حتى المسئول عنا لايُعرف من يقوم بتوجيهه وهي تقوم بسب ولعن الحكام والبحث في الواقع أكثر من طلب العلم الشرعي ويقولون أن الذي يفقه الواقع أفضل من علماء هذا الزمن ، وهم يتلقون تربيتهم من بعض المعاصرين الفكريين وصلتهم بالسلف الصالح والائمة قليلة جداً بدعوى أن هذا العصر لايصلح إلا لهذه الفكرة وهذه المجموعة تسمى (السرورية) أو (القطبيين) وأنا منتظم فيها ولي فيها أربع سنوات ووالله لم أستفد أي شيئ فما هي نصيحة والدي الغالي فأنقذني من هذا الأمر بالنصيحة الفاضلة .

وقد أجبته بما يلي :-

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد فإن هذه المجموعات السرية مجموعات مبتدعة ويتضح ذلك من الأمور الآتية :-

أولا : السرية والتكتم في دعوتهم بدون حاجة إليه فالدولة مسلمة تؤيد الدعوة وتعين عليها وتضع مرتبات لأهلها والمجتمع مسلم يؤيد كل دعوة اصلاحية ويتظافر

---

١) سورة الأنبياء آية ٢٥ .

معها فما هو الداعي للسرية إلا أنهم عندهم في دعوتهم أمور غير تعليم الأحكام الشرعية يريدون التكتم عليها حتى يصلوا الى مآربهم .

ثانياً : الحزبية والتنظيم الذي يفرق الأمة ويجعلها فرقاً متعادية يبغض بعضها بعضاً ويتنكر بعضها لبعض فكل حزب يرى أن الحق ما هو عليه دون غيره فيتعاطفون ويتناصرون فيما بينهم بيد أنهم لايفعلون ذلك مع غير حزبهم وهذه بدعة تشطر الأمة وتفرقها رغم أن الأمة واحدة حسب التوجيه القرآني الكريم قال تعالى ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ (١) .

ثالثاً : من بدعهم الإمارة في الحظر وهذه بدعة يستعبدون بها الأحرار فلا يتحرك أحد ممن انتطموا في حزبهم إلا بعد إذن أميره ، علماً بأن هذا لم يطلبه رسول الله ﷺ من أصحابه ولا أمر الله عزوجل عباده بذلك أي بأن لايتحركوا إلا بعد استئذان نبيهم إلا إذا كانوا معه على أمر جامع كالغزو مثلا قال تعالى ﴿وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾ (٢) أما بدون ذلك فكل منهم يذهب لحاجته لايحتاج أن يستأذن النبي ﷺ وإن هؤلاء القوم يلزمون الناس بما لم يلزمهم به الله ولا رسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه .

رابعاً : من بدعهم وجرائمهم لعن الحكام وسبهم والتزهيد فيهم وعدم اعتبارهم ولاة تجب طاعتهم وهذا خلاف ما أمر به رسول الله ﷺ حيث يقول (اسمع وأطع وان ضرب ظهرك وأخذ مالك) (٣) فمن منا اليوم ضرب ظهره بدون حق أو أخذ ماله بدون حق إن دولتنا ولله الحمد تعطينا ولا تأخذ منا بل نحن في أمن ورغد عيش تغبطنا عليه جميع الأمم فما هو الداعي للعن ولاة الأمور وسبهم ، أما المنكرات فهي قد وقعت في أبهى العصور وأفضلها كعصر الخلفاء الراشدين وعصر بني أمية وأول دولة بني العباس التي هي العصور المفضلة فاقرأوا التاريخ وانظروا ما تجدون فيه في زمن السلف الصالح والأئمة المتبوعين كالإمام مالك والشافعي وأحمد بن حنبل ولما وصف النبي ﷺ لأصحابه ولاة الجور قالوا أفلا ننابذهم قال لا ما أقاموا فيكم الصلاة لا ما أقاموا فيكم

---

١) سورة الانبياء آية ٩٢ .

٢) سورة النور آية ٦٢ .

٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة من صحيحه باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة عن حذيفة .

الصلاة) (١) . وفي حديث آخر (قال لا إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان (٢) .

وإن دولتنا ولله الحمد تقيم الصلاة وتقيم الحدود وتحكم شرع الله وتحكم به في محاكمها وتشجع على العلم وتعين عليه وتعين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد رصدت له موازنة وللدعوة والدعاة فهي لازالت والحمد لله بخير .

فقل لمن يلعن الحكام السعوديين في هذا البلد لينظر في حكام المعمورة أجمع هل يجد مثل الحكام السعوديين بل إن الفرق كبير والبون شاسع فليتق الله هؤلاء وليعودوا الى رشدهم قبل أن يعاقبهم الله (٣) ونحن لانقول إن الحكام في هذا البلد معصومون من الخطأ أو أنهم ملائكة لايخطئون فكل بشر يخطئ ولابد ولكن ذلك لايوجب سباً ولا لعناً ولاخروجاً عن الطاعة ماداموا ملتزمين بالشرع في أغلب أمورهم على أنفسهم وعلى من تحت أيديهم .

خامساً : أما فقه الواقع الذي ما زال هؤلاء يشقشقون به ويطنطنون فنحن نقول لهؤلاء إن كنتم تريدون بفقه الواقع ما تترتب عليه الأحكام الشرعية وتتبين به الفتوى مما يكون مناطاً للحكم أو سبباً له أو وسيلة إليه فإن سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز وابن عثيمين وابن فوزان والغديان وغيرهم من القضاة أو المفتين لم يصدروا الحكم أو الفتوى إلا بعد أن يعرفوا الواقع الذي يحيط بها أو يؤثر فيها وإن كنتم تريدون بفقه الواقع الإطلاع على أسرار الدول وأخبار أهل العصر مما يكتب في الجرائد والمجلات أو تتناقله وسائل الإعلام أو يستنتجه المحللون السياسيون أو غير ذلك فإن لأهل العلم شغلاً بأعمالهم التي نيطت بهم وأوكلت إليهم من الفتوى والتدريس والدعوة الى الله عزوجل مالا متسع معه لشيئ آخر مع أنهم لهم قدرة محدودة وهذا من خصائص وزارة الدفاع في كل بلد أي التنبه لمكائد الأعداء ومخططاتهم وإعداد العدة لكل أمر بما يناسبه .

وأخيراً فإني انصحك بأن تبتعد عنهم وتهرب منهم بعد أن تقرأ عليهم هذه الإجابة المختصرة فإن أطاعوك ورجعوا وإلا فابتعد عنهم وعن مجالستهم والسلام

---

١) أخرجه مسلم في الإمارة باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع وترك قتالهم ما صلوا بلفظ لا ما صلوا .

٢) أخرجه مسلم في كتاب الامارة باب وجوب طاعة الأمراء من حديث عبادة بن الصامت رقم الحديث ١٧٠٩ .

٣) ولم يقتصر سبهم على الحكام بل يتناولون علماء السعودية بالسب والتنقص والتجريح ويسميهم محمد سرور بعبيد السياسة وعبيد الحكام كما في مقال له في بعض أعداد مجلته المسماة ظلماً بمجلة السنة .

وأخيراً فمن هذا يتبين أن السرورية وليدة الإخوانية وتحذوا حذوها في سب الحكام ولعنهم وإن ادعى مؤسسها انه على المنهج السلفي إلا أن واقع السرورية الذي علمناه خلاف ذلك ولست أقطع بأن هذه الجماعة تابعة له إلا أن الإسم يدل على المسمى وكونه يقول انه لم يسم جماعته بهذا الإسم فلعله سماها بهذا الإسم بعض اتباعه (١) . وقد قال النبي ﷺ (**ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي ولا ينزعن يداً من طاعة**) (٢) فما كان سب الحكام المسلمين ولعنهم من منهج السلف الصالح ولا من طريقهم ولا يمت الى منهجهم بصلة وانما هو منهج الخوارج الذين يكفرون بالكبيرة .

أما القطبيون فهم قوم درسوا كتب السيد قطب وتابعوه في كل ماقاله واعتقده بل وعظموه كل التعظيم مما جعلهم يتخذون كل ماقاله في كتبه حقاً وصواباً وإن خالف الأدلة وباين منهج السلف ويتضح ذلك من الثورة الكلامية والاشاعات الاعلامية التي أشاعوها ضد الشيخ ربيع بن هادي المدخلي حين رد على سيد قطب في بعض الأخطاء الاعتقادية الفظيعة وجعلوه متجنياً عليه وظالماً له ، ولم يحملهم الانصاف أن يعودوا إلى تلك الأماكن والأرقام التي أشار ربيع في كتابه إليها كالنيل من نبي الله موسى عليه السلام والتحامل على عثمان رضي الله عنه واسقاط خلافته من بين خلافة الخلفاء الراشدين وجعلها فجوة بينها ونيله من باقي الصحابة وجهله بتوحيد الألوهية وسلوكه مذهب الأشاعرة في تأويل الصفات وتمييعه لكثير من المسائل العقدية وغير ذلك . فالله المستعان .

---

١) علماً بأن كل قوم يسمون باسم قائدهم ومتبوعهم غالباً كالأشعرية والماتريدية والجهمية والحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة ومأشبه ذلك .

٢) صحيح مسلم كتاب الامارة باب خيار الأئمة وشرارهم من حديث عوف بن مالك الأشجعي رقم الحديث ١٨٥٥

الباب العاشر فيما انتقد على جماعة التبليغ

جماعة التبليغ هي واحدة من الجماعات الدعوية الموجودة على الساحة وقد تأسست في منتصف القرن الرابع عشر الهجري أي القرن الماضي . على يد المؤسس لها وهو الشيخ محمد إلياس بن محمد اسماعيل الكاندهلوي

ترجمة المؤسس

ولد مؤسس هذه الجماعة وهو محمد إلياس عام ١٣٠٢ هـ وحفظ القرآن وقرأ الكتب الستة في الحديث على المنهج الديوبندي الحنفي مذهباً الأشعري الماتريدي عقيدة الصوفي طريقة

والطرق التي عندهم أربع طرق وهي ١- الطريقة النقشبندية ٢- الطريقة السهروردية ٣- الطريقة القادرية ٤- الطريقة الجشتية .

وقد أخذ الشيخ محمد إلياس المذكور البيعة الصوفية على يد الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي ، ثم جددها بعد موت الشيخ رشيد على يد الشيخ أحمد السهارنفوري الذي أجازه في المبايعة على النهج الصوفي المعروف . وكان يجلس في الخلوة عند قبر الشيخ نور محمد البدايوني ، وفي المراقبة الجشتية كان يجلس عند قبر عبد القدوس الكنكوهي (١) الذي كانت تسيطر عليه فكرة وحدة الوجود (٢) ، أقام ودرس ومات في دلهي سنة ١٣٦٣ هـ . ا هـ من كتاب حقيقة الدعوة الى الله للشيخ سعد بن عبد الرحمن الحصين بتصرف .

ظروف نشأتها

يرى الشيخ ابو الحسن الندوي ان الشيخ محمد إلياس لجأ إلى هذه الطريقة في الدعوة حين أعيته السبل التقليدية في اصلاح أهل منطقته (٣) وينقل الشيخ ميان محمد اسلم عن ملفوظات إلياس لمحمد منظور النعماني قول الشيخ محمد إلياس نفسه أنه انكشف له على هذه الطريقة بأن ألقي في روعه في المنام تفسير جديد لقوله تعالى ﴿**كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون**

---

١) جماعة التبليغ ميان محمد أسلم صـ ١٣/١٢ بواسطة كتاب حقيقة الدعوة إلى الله للشيخ سعد الحصين .
٢) الامام السرهندي حياته وأعماله : أبو الحسن الندوي صـ ١١٨ بواسطة المصدر أعلاه .
٣) من رسالة للشيخ أبي الحسن الندوي كتبها إلى الشيخ عبدالعزيز بن باز تأييداً للجماعة في ١٤٠١/٥/٢٨ بواسطة حقيقة الدعوة إلى الله .

عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (١) يقتضي الخروج للدعوة إلى الله فإنها لا تتحقق بالإقامة في مكان واحد بدليل قوله تعالى ﴿أخرجت﴾ وان الايمان يزداد بالخروج بدليل قوله تؤمنون بالله بعد قوله أخرجت للناس ، وأن المراد بقوله أمة : العرب ، والمراد بقوله للناس : العجم .

ويلاحظ على هذا المقطع بمايلي :

أولاً : أن القرآن لايفسر بالكشوفات والأحلام الصوفية التي يكون أغلبها بل كلها من وحي الشيطان .

ثانياً : يظهر مما سبق أن مؤسس هذه الجماعة غارق في الصوفية من أخمصه إلى مشاشه فهو أخذ بيعتين فيها وفتن بطواغيتها وأمضى وقته في الجلوس على قبورهم .

ثالثاً : أن مؤسس هذه الجماعة قبوري خرافي ويظهر ذلك من قوله وكان يجلس في الخلوة عند قبر الشيخ نور محمد ...إلخ وذكر عن الثاني أنه كانت تسيطر عليه فكرة وحدة الوجود عياذاً بالله فكيف يوجد الخير عند من يعكف على قبر من كانت تسيطر عليه فكرة وحدة الوجود ، وإن عكوفه عند قبر من كانت تسيطر عليه هذه الفكرة لدليل واضح أنه يؤمن بها ولو لم يكن يؤمن بها لما فعل ذلك.

---

١) سورة آل عمران ١١٠ .

ما هي وحدة الوجود

وحدة الوجود فكرة إلحادية يؤمن بها زنادقة الصوفية يتغنون بها في أشعارهم ويعبرون عنها في مقالاتهم وأمامي الآن عدد كبير من عباراتهم الدالة على سخف عقولهم وسوء عقيدتهم وخبث ما ينطوون عليه من الكفر القذر والزندقة الملحدة التي تقشعر القلوب من سماعها ويعف اللسان عن النطق بها واسماعها ويتحرج الإنسان من كتابتها ، وقد قيل كفاك من شر سماعه لكن لابد من كتابة شيء منها ليستدل به على ما وراءه وللشيخ عبد الرحمن الوكيل رئيس أنصار السنة بمصر سابقاً كتاب صغير الحجم عظيم الفائدة اقتنيته قبل سنوات ولما قرأته كتبت عليه هذه العبارة وإني لأعدها من صالح عملي وهذه هي العبارة رحمك الله يا عبد الرحمن لقد سجلت حقاً في هذا الكتاب وكشفت الستر المفتعل على تلك الأصنام الجوفاء التي كانت ومازالت بقاياها تقذف أخبث الكفر وأقذره وتزعم انه عين التوحيد وتضفي هالة من القداسة على قائليه الضلال معتقدين فيهم أنهم أولياء الله في الوجود وخاصته من بين العباد حتى بين الله أمرهم على يديك . أ هـ

واني لأحث جميع طلاب العلم على إقتناء هذا الكتاب وقراءته واسم هذا الكتاب هذه هي الصوفية

أيها القاريء الكريم أرجوا منك المعذرة إن رأيت في هذه الكتابة ما يقرف مسامعك ولربما أسال مدامعك من وصف الصوفية المارقة للرب جل وعلا انه حل في مخلوقاته أو اتحد بها جل ربي وعز وتقدس وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

قال الشيخ عبد الرحمن الوكيل رحمه الله وأسكنه فسيح جناته في كتابه هذه هي الصوفية آلهة الصوفية ثم قال يفتري الصوفية أنهم الذين يعرفون الله معرفة لا يمس يقينها ريب ولا يشوب جلال الحق فيها شبه ويصمون المسلمين بعمى البصيرة وعمه العقل وخطل الفكر وجمود العاطفة وفساد الذوق وخمود جذوة الحياة في الشعور ، والإغراق العميق في المادة الصماء والجمود الأحمق على عبادة التاريخ ومازالت تلك دعواهم فما الرب الذي يعبدونه - وإن شئت إحكام الدقة فسلهم ما الرب الذي إختلقوه ثم عبدوه .

ناشدتك الله إن مسك فيما أقول وهم وريبة أو فتنتك منهم عن الحق غزل ابتسامة أو ترنيمة عاشقة بتسبيحة أو دعاء ناشدتك الله إلا ما قرأت شيئاً من كتبهم لتعرف رب الصوفية الأعظم ، إقرأ من الفتوحات أو الفصوص أو ترجمان

الأشواق أو عنقاء مغريب أو مواقع النجوم وكلها لابن عربي . واقرأ من الإنسان الكامل للجيلي ، واقرأ من تائية ابن الفارض واقرأ من الطبقات والجواهر والكبريت الأحمر للشعراني ، واقرأ من الابريز للدباغ والجواهر والزماح للتيجانية وروض القلوب المستطاب لحسن رضوان بل اقرأ حتى مجموع الأوراد التي يتعبدون بها الآن ودلائل الخيرات واحزاب الكهنة منهم في العشايا والأسحار .

إن الصوفية تنعت ابن عربي بأنه الشيخ الاكبر والكبريت الأحمر وتخر له ساجدة والجيلي بأنه العارف الرباني والمعدن الصمداني وابن الفارض بأنه سلطان العاشقين والشعراني بأنه الهيكل الصمداني والقطب الرباني .

فما أدعوك إذن إلى كتب تنقم منها الصوفية دلائل الحق وإشراق الهدى ، بل إلى كتب تقدسها الصوفية على اختلاف نوازعهم وتباين أهوائهم ويجلونها ، ولا أعدوا الصدق إن قلت يعبدونها ويرونها الأفق الأسمى لنور التوحيد والمنبع - السلسال لفيوض الربانية فإن قرأت شيئاً من تلك الكتب فتدبر بعده آية واحدة من كتاب الله واقذف بنور الحق الإلهي على دياجير الباطل الصوفي وثمة يروعك ويستفز الغضاب الثوائر من لعناتك أن تجد الصوفية تدين برب يتجسد في أحقر الصور وتتعين هويته وإنيته في أنتن الجيف وتتمثل حقيقته الوجودية صور أوهام في الذهن الكليل وظنون حيرى في الفكر الضليل وتهاويل أسطورية في الخيال ألم تؤله الصوفية في دين كاهنها التلمساني رمة كلب تقزز من صديدها الدود ثم بعد ذلك يقول عبد الرحمن الوكيل رحمه الله إله ابن الفارض هو مؤمن ببدعة الوحدة أي وحدة الوجود وسمها بما شئت بصيرورة العبد رباً والمخلوق خلاقاً إلى أن قال يؤمنون بأن الرب الصوفي تعين بذاته وصفاته واسمائه وأفعاله بصور مادية أو ذهنية فكان حيواناً وجماداً وإنساً وجناً وأصناماً وأوثاناً وكان وهماً وظناً وكانت صفاته وأسماؤه وأفعاله عين ما لتلك الأشياء من صفات وأسماء وأفعال لأنها هي هو في ماهيته ووجوده المطلق أو المقيد وكلما يقترفه البغاة وما تنهش الضاريات من لحوم وتعرق من عظام فهو فعل الرب الصوفي وخطيئته وجرمه إلى أن قال وتدبر ما سأنقل لك عن ابن الفارض في تائيته فلعله يزول عجبك ويفيء غضبك يقول :

جلت في تجليها الوجود لناظري	ففي كل مرئي أراها برؤيتي
واشهد غيبي إذ بدت فوجدتني	هنالك إياهابجلوة خلوتي
ففي الصحو بعد المحو لم أك غيرها	وذاتي بذاتي إذ تجلت تجلت

إلى أن قال :

فإن دعيت كنت المجيب وإن أكن منادى أجابت من دعاني ولبت

يقول عبد الرحمن الوكيل رحمه الله إن دعى الله أجاب ابن الفارض لأنه عينه وإن دعى ابن الفارض لبى الله لأنه اسمه ومسماه إلى أن قال :

ولا فلك إلا ومن نور باطني به ملك يهدي الهدى بمشيئتي
ولا قطر إلا حل من فيض ظاهري به قطرة عنها السحائب سحت
ولولاي لم يوجد وجود ولم يكن شهود ولم تعهد عهود بذمتي
فلا حي إلا من حياتي حياته وطوع مرادي كل نفس مريدة

يقول إن كل نفس استمدت حياتها من حياة ابن الفارض لأنه هو الله عليه لعنات الله المتتابعة ثم يقول إله ابن عربي

أما الطاغوت الأكبر فقد افترى للصوفية رباً عجيباً يجمع بين النقيضين المتوترين في ذاته وبين الحقيقتين في صفاته فهو الوجود الحق وهو العدم الصرف وهو الخلاق وهو المخلوق وهو عين كل كائن وصفاته وعين صفات كل موجود وكل معدوم هو الحق الكريم والباطل اللئيم هو الفكرة العبقرية والخرافة الحمقى هو الخاطرة الملهمة والوهم الذاهل والخيال الحيران والمستحيل الذي لايتصور فيه العقل أبداً . إلى أن قال هو المؤمن وهو الكافر هو الموحد الخالص التوحيد وهو المشرك الأصم الوثنية هو الجماد الغليظ والحيوان ذو المشاعر المرهفة والحساسية المتوقدة هو الملاك الساجد تحت العرش وهو الشيطان الذي يصرخ في سقر هو القديس الناسك يذوب دمعه في دموع التسابيح وهو العربيد يضج الماخور من بَغي خطاياه ولا أريد أن أطيل عليك ، انظر هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل صـ ٣٤ .

ثم يقول : الرب هو صور العالم أي في عقيدة ابن عربي واسمع اليه يؤكد لك أن ربه كل ماترى من صور العالم هي ظاهر الحق إذ هو الظاهر وهو باطنها إذ هو الباطن وهو الأول إذ كان ولاهي وهو الآخر إذ كان عينها - الفصوص صـ ١١٢ ط الحلبي .

ثم قال : التجسد في النساء وإليك نصاً واحداً من نصوصه يكشف لك عن مدى إيغال ابن عربي في عبادة الأنثى - ولما أحب الرجل المرأة طلب الوصله أي غاية الوصله التي تكون في المحبة فلم يكن في صورة النشأة العنصرية أعظم من وصلة النكاح ولهذا تعم الشهوة أجزاؤه كلها ولذلك أمر بالاغتسال منه فعمت الطهارة كما عم الفناء فيها عند حصول الشهوة فإن الحق غيور على عبده أن

يعتقد وان يلتذ بغيره فطهره بالغسل ليرجع بالنظر إليه فيمن فنى فيه. إذ لايكون إلا ذلك فإذا شاهد الرجل الحق في المرأة كان مشهوداً في منفعل وإذا شاهده في نفسه من حيث ظهور المرأة عنه شاهده في فاعل وإذا شاهده في نفسه من غير استحضار صور ماتكون كان شهوده في منفعل عن الحق بلا واسطة فشهوده للحق في المرأة أتم وأكمل لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل بلا واسطة فشهوده للحق في المرأة أتم وأكمل لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل منفعل . يقول الفصوص من صـ ٢١٧ .

ثم قال : فقر الإله الصوفي إلى الخلق **﴿ياأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد﴾**

غير أن الصوفية تؤمن بإلاه فقير إلى الخلق فقير إليهم في وجوده فقير إليهم في علمه فقير إليهم في بقائه فقير إليهم في طعامه وشرابه فقير إليهم في كل شيء يهب له الظهور بعد الخفاء والوجود بعد العدم ويحول بينهم وبين الفناء . يقول ابن عربي (فوجودنا وجوده ونحن مفتقرون إليه من حيث وجودنا وهو مفتقر إلينا من حيث ظهوره لنفسه) ويقول فانت غذاؤه بالأحكام وهو غذاؤك بالوجود فتعين عليه ما تعين عليك . والأمر منه إليك ومنك إليه . غير أنك تسمى مكلفاً وما كلفك إلا بما قلت له كلفني بحالك وبما أنت عليه ولايسمى مكلفاً فيحمدني وأحمده ويعبدني وأعبده ثم ذكر عن الجيلي وادعاؤه الربوبية العظمى حيث يقول :

فمهما ترى من معدن ونباته وحيوانه مع إنسه وسجاياه
ومهما ترى من أبحر وقفاره ومن شجر أو شاهق طال أعلاه

إلى أن قال :

فإني ذاك الكل والكل مشهدي أنا المتجلي في حقيقته لاهو
وإني رب للأنام وسيد جميع الورى اسم وذاتي مسماه

ثم ذكر عن الغزالي وأنه يدندن بوحدة الوجود فيقول (العارفون بعد العروج الى سماء الحقيقة اتفقوا أنهم لم يرو في الوجود الا الواحد الحق ولكن منهم من كان له في هذه الحالة عرفاناً علمياً ومنهم من صار له ذوقاً وحالاً . فانتفت عنهم الكثرة بالكلية واستغرقوا بالفردانية المحضة فلم يبق عندهم الا الله فسكروا سكراً وقع دونه سلطان عقولهم فقال بعضهم : أنا الحق وقال بعضهم سبحاني ما أعظم شأني . وقال آخر ما في الجبة الا الله . وكلام العشاق في حال السكر

يطوى ولا يحكى أهـ . من هذه هي الصوفية صـ٥٣ .

وفي صـ٥٧ قال اله ابن عامر البصري ولكي لا ترتاب أن ما ذكرته هو دين الصوفية جميعاً من سلفهم إلى خلفهم ومعاصريهم أذكر لك دين بعض أصنامهم الصغيرة فاسمع إلى ابن عامر الذي عارض تائية ابن الفارض بتائية مثلها وزناً ومعنى ولطخها بنفس الزندقة الفارضية قال :

تجلى لي المحبوب في كل وجهة فشاهدته في كل معنى وصورة
وخاطبني مني بكشف سرائر تعالت عن الأغيار لطفاً وجلت
فقال أتدري من انا قلت أنت يا منادي أنا إذ كنت أنت حقيقة

وفي ص ٥٨ قال الاه الصدر القونوي :

قال في كتابه مراتب الوجود فالانسان هو الحق وهو الذات وهو الصفات وهو العرش وهو الكرسي وهو اللوح وهو القلم وهو الملك وهو الجن وهو السماوات وكواكبها والأرضون ومافيها وهو العالم الدنيوي وهو العالم الأخروي وهو الوجود وماحواه وهو الحق وهو الخلق وهو القديم وهو الحادث أهـ .

ثم ذكر عن النابلسي وابن بشيش والدمرداش وابن عجيبه وحسن رضوان عبارات تفيد أنهم يؤمنون بوحدة الوجود القذرة .

أما صاحب الكشف عن الصوفية لأول مرة في التاريخ وهو الشيخ محمد عبد الرؤوف القاسم جزاه الله خير الجزاء فهو يقول :

إن الصوفيين كلهم من أولهم إلى آخرهم إلا المبتدئين منهم يؤمنون بوحدة الوجود ومامضى ومئات النصوص التالية هي أدلة وبراهين. أهـ الكشف صـ ١٠٥

ويقول قبل الولوج في متاهات النصوص الصوفية ودهاليزها الملتوية المتعرجة وزحاليقها المتقنة الصنع قبل ذلك يجب أن نأخذ فكرة واضحة عن الأساليب التي يتبعونها في بسط أفكارهم وعقائدهم في أقوالهم وكتاباتهم في تواليفهم ودعاياتهم لنستطيع فهم كلامهم بوضوح تام وأن نعرف أغراضه وأهدافه وبدون ذلك لانستطيع دراسة الصوفية دراسة صحيحة وستكون دراستنا لأساليبهم من أساليبهم ومن أقوالهم وتواصيهم فيما بينهم سنرى بوضوح تام في هذه الدراسة مايلي :

١ - هناك سر غريب يتواصون بكتمانه عن غير أهله .

٢ - أهل هذا السر هم الصوفية .

٣ - هذا السر هو كفر وزندقة يقتل من يبوح به على أنه مرتد عن الاسلام .
٤ - يقسمون المجتمع الاسلامي إلى صنفين :
أ - أهل الشريعة ويسمونهم أهل الظاهر أو أهل الرسوم أو أهل الأوراق أو العامة .
ب - أهل الحقيقة وهم الصوفية ويسمونهم أيضاً أهل الباطن وأهل الأذواق أو الخاصة وخاصة الخاصة وهم كبارهم .
٥ - يتواصون دائماً وفي كل زمان ومكان أن يظهروا لأهل الشريعة ما يوافقهم من الأحكام الإسلامية وأن يكتموا عنهم ذلك السر حتى لاتباح دمائهم .
٦ - لايعرف هذا السر إلا بالذوق أن يذوقه الإنسان بنفسه وضربوا لذلك مثلاً باللذة الجنسية لايعرفها إلا من ذاقها.
٧ - في العادة يرمزون الى الذات الإلهية بأسماء مؤنثة مثل ليلى وبثينة وغيرها .

قاتلهم الله أنى يؤفكون أهـ الكشف صـ١٨/١٧ .

لقد ملئ كتاب الكشف عن الصوفية لأول مرة ملأه مؤلفه بمئات النصوص الصوفية التي تفيد أن أصحابها يؤمنون بوحدة الوجود وخصص لها باباً أو فصلا في صـ١٠٥ قال فيه الفصل الثالث وحدة الوجود عقيدة كل الصوفية وساق فيه نصوصاً كثيرة جداً في مائة وسبع وخمسين صفحة (١٥٧) ولولا أني أخشى عليك الملل والسآمة لأوردت كثيراً منها لاحباً في تلك النصوص ولا رغبة في سماع أو كتابة ما فيها من الكفر والزندقة ولكن رغبة في إقناع أقوام لايصدقون في فلان وفلان أن صوفيتهم صوفية مذمومة وكأنهم قد تيقنوا أن الصوفية منها ما هو مذموم ومنها ماهو غير مذموم ولنعلم أن الصوفية كلها مذمومة لأن من لم يؤمن بوحدة الوجود منهم قد استمرأها من غيره فسكت عنها ولم ينكرها ولم ينكر على أصحابها وربما عظمهم وتعظيمه إياهم على ما عندهم من الكفر جريمة كبرى ومن جهة أخرى فإن من دخل في الصوفية أقل أحواله أن يستمرأ الشرك الأكبر فلا ينكره بل يراه حسناً أو مباحاً فإنا لله وإنا إليه راجعون ماذا جرت الصوفية على الإسلام من بلاء وماذا خربت فيه من تخريب وأخيراً فإن عقيدة وحدة الوجود عقيدة إلحاد وزندقة وتأليه للمادة وهي في ذلك تشابه الشيوعية شبهاً بيناً فالشيوعية شعارها لاإله والحياة مادة فألهوا بذلك المادة وهي كل ما نراه في هذا الكون والصوفية يقولون في وحدة وجودهم لاشيئ في هذا الكون سوى الله وكل ما نراه ونسمعه ونحسه بأي نوع من أنواع الإحساس فهو الله فهو الإنس والجن

والملائكة وهو الطير والهوام والحشرات الزاحفة وهو البحر المائج والبر المترامي والهواء الطلق وهو الشجر والحجر وهو الجيفة العفنة والشهوة العارمة وهو الحي الحياة التي تسري في الأحياء وهو الموت الذي يصير الميت جثة وهو الذي يولد ويموت وهو كل شيء .

وبقليل من التفكير نرى أن كل ماقالوه هو المادة التي ألهها الشيوعيون ويتضح لنا أن هذه الأشياء قائمة بنفسها وأن الخالق لها والمتصرف فيها هو الله الذي إتفقت على إنكاره النحلة الشيوعية والنحلة الصوفية سواء كان ذلك بقصد أو بغير قصد ولقد عقد مؤلف كتاب الكشف عن الصوفية لأول مرة فصلا في آخر كتابه ببيان التشابه بين الصوفية والشيوعية وهو آخر فصل فيه صـ٨٧١ قال فيه هناك تشابه عجيب بين الصوفية والشيوعية . ومن وجوه هذا التشابه :

١ - الصوفية والشيوعية تلتقيان بعقيدة وحدة الوجود والخلاف بينهما لفظي فالصوفية تقول لاموجود إلا الله وكل الموجودات هي الله والشيوعيون يقولون لاإله موجود ، إذاً فالخلاف في التسمية فقط هؤلاء يسمونها الله تعالى الله عن قولهم وهؤلاء أي الشيوعية يسمونها المادة .

٢ - الصوفية والشيوعية تلتقيان في الكذب الذي لايعرف الحدود فالصوفية يكذبون على الله ومخلوقاته من العرش الى الفرش من دون خوف و لا حياء . والشيوعيون شعارهم اكذب ثم أكذب ثم أكذب وسوف يصدق الكذب .

٣ - تلتقيان في الكيد للدين والمكر به . فمثلا تقول الصوفية ان الصوفية نزلت وحياً من الله على رسوله ﷺ وكان محمد ﷺ صوفياً وأخذ الطريقة عنه أبو بكر وعمر وعلي وغيرهم والشيوعيون يقولون إن الإسلام دين الإشتراكية وقد كان محمد ﷺ إشتراكياً .

قلت وتلتقيان في العداء للدين الصحيح وهو دين التوحيد والحق والعدل والعقيدة الصحيحة فالصوفية تخص بعدائها السلفيين وتسميهم الوهابين مع أنها تتعاطف مع سائر النحل الوثنية والباطلة حتى ولو كانوا ممن يزعمون لأنفسهم أنهم على السنة والسلفية وقد رأينا كيف تعاطف الإخوانيون مع الشيعة وإمامهم الخميني وزعموا أن الشيعة هم أهل الإسلام الصحيح وحدهم ونسوا أو تناسو أن الشيعة يألهون الأئمة ويسبون الصحابة ويبيحون الزنا ممثلاً في المتعة أما الشرك فليس من قواعدهم إنكاره ولا محبة من ينكره . والشيوعية تعادي الإسلام وحده وتتعاطف مع سائر الأديان فتشابهتا في ذلك . ثم قال .

٤ - وتلتقيان بتأليه البشر وعبادتهم وتقديسهم في حياتهم وبعد موتهم فالصوفية يألهون سدنة الصوفية وكهنتها (الشيوخ) بشكل عام وشيخ طريقتهم بشكل خاص والشيوعية يألهون الشيوعية وكهانها ماركس ولينين وماوتسي تونغ وغيرهم) بشكل عام وحاكم بلدهم أو قائد حزبهم بشكل خاص .

٥ - تلتقيان في سجن الفرد المنتمي إليها في زنزانة فكرية لاتسمحان له بالتطلع خارجها .

٦ - تلتقيان أو تتشابهان في الغاية فالصوفية تعد مريدها أن يكون هو الله المتصرف في الكون والشيوعية تعد مريدها أن يكون سيد مصيره .

٧ - تدعي الصوفية أنها الطريق الى السعادة الأبدية التي لاتزيد عن كونها تلبيساً وخدعة والشيوعية تدعي أنها تؤدي الى نعيم الانسان والذي لايزيد عن كونه تلبيساً وخدعة .

٨ - كلتاهما تنبذان الآخرة وقد مر معنا قولهم واخلع نعليك الدنيا والآخرة الى أن قال تشابه بين الضلالتين يثير الإنتباه وتلاق يبعث على التساؤل وأخيراً فهذه هي الصوفية وهذه عقيدتها إيمان بالمادة وكفر بالله إيمان بالكشف الشيطاني للشيوخ وكفر بالقرآن تصديق للخرافة وجحود للتوحيد انغماس في البدع ورفض للسنن إيمان بالباطل وكفر بالحق تطاول على عظمة الله وألوهيته وادعاء لها أمن من مكر الله وتجرأ على محارم الله وتعد لحدوده وطغيان وتجاوز للحدود البشرية بناء على التخيلات الشيطانية التي حوت كل شر وخلت من كل خير .

وبالجملة فما كيد الإسلام بشيئ أعظم من الصوفية فالله المستعان .

ظروف نشأتها

يرى أبو الحسن الندوي في كتاب كتبه للشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز حفظه الله أن الشيخ محمد إلياس لجأ إلى هذه الطريقة في الدعوة بعد أن أعيته السبل التقليدية في إصلاح أهل منطقته (١) .

قلت : أي إصلاح يرجى ممن يؤمن بوحدة الوجود إن كان المقصود هو الإصلاح الصحيح أما الإصلاح في حسبانهم فهو إدخال العامة في صوفيتهم ووثنتيهم إيمان بالقبور وعكوف عليها وتأليه لأصحابها . قال أبي الحسين في

---

١) من رسالة كتبها أبوالحسن لسماحة الشيخ ابن باز تأييداً للجماعة في ١٤٠١/٥/١٨هـ بواسطة حقيقة الدعوة ألى الله صـ٦٣ .

الدعوة الى الله صـ٦٣ وينقل الشيخ محمد أسلم عن ملفوظات (١) إلياس لمحمد منظور النعماني قول الشيخ محمد إلياس نفسه أنه انكشف على هذه الطريقة بأن ألقى في روعه في المنام تفسير جديد لقوله تعالى ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تؤمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾ (٢). يقتضي الخروج للدعوة الى الله فإنها لاتتحقق بالإقامة في مكان واحد بدليل قوله تعالى ﴿**أخرجت**﴾ وأن الايمان يزداد بهذا الخروج بدليل قوله تؤمنون بالله بعد قوله أخرجت للناس ، وبعد قوله تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وأن معنى ﴿أمة﴾ العرب ومعنى الناس الأعاجم أما العرب فقد قيل في حقهم لست عليهم بمسيطر وقال وما أنت عليهم بوكيل .

وتعليقي على هذا المقطع ما يلي :-

١ - أن القرآن لايفسر بالمنامات والكشوف الصوفية التي هي من الشيطان .

٢ - قوله أن الدعوة لاتتحقق إلا بالخروج وأنها لاتتحقق بالإقامة في مكان واحد هذا كلام باطل فقد تحققت دعوة النبي ﷺ وهو مقيم في مكة وتحققت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهو مقيم بالدرعية ومن فتح مدرسة وعلم الناس تحققت الدعوة على يديه إذا أخلص ونصح وهو مقيم . فالدعوة تنتشر وصاحبها مقيم في مكان معيَّن.

٣ - وأما قوله أن الإيمان يزيد بالخروج فهذا كلام غير صحيح أيضاً بل يزيد بالطاعة أيّاً كان نوعها اذا توفر فيها شرطا القبول بأن تكون خالصة لله صواباً على ما شرع رسوله ﷺ قال تعالى ﴿**ويزيد الله الذين اهتدوا هدى**﴾ (٣) فقراءة القرآن بالتدبر وقراءة السنة والتفقه في الدين والذكر المشروع ونوافل الصلاة والصدقة والصوم وغير ذلك هذه هي التي تزيد في الايمان ليس مجرد الخروج .

٤ - أما قوله تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فهذا قد تركه التبليغيون مرة واحدة فهم حتى الأمر بالمعروف صراحة لايفعلونه ولا يحبون من فعله. أما النهي عن المنكر فإنهم لايقتصرون على تركه ولكنهم يغضبون أشد الغضب وينفرون أشد النفور ممن ينكر منكراً ولو كان في البيان كما يقولون ولو قال المنكر له ما بال أقوام كما قال النبي ﷺ فإنهم يشمئزون من ذلك جداً وربما

---

١) جماعة التبليغ ميان محمد أسلم صـ١٤ بواسطة حقيقة الدعوة الى الله للحصين صـ٦٣ .
٢) سورة آل عمران آية ١١٠ .
٣) سورة مريم آية ٧٦.

فصلوه إن كانوا قد أدخلوه في حزبهم .

٥ - أما تفسير أمة بأنهم العرب خاصة والناس بأنهم العجم فهذا التفسير لم أر له فيه سلفاً بل الخطاب لأمة محمد ﷺ عامة عربهم وعجمهم وفي الحديث « أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله» (١) . وقال أبو هريرة نحن خير الناس للناس نسوقهم بالسلاسل الى الإسلام وقال عبدالله ابن عباس هم الذين هاجروا من مكة وشهدوا بدراً والحديبية وقال عمر بن الخطاب من فعل فعلهم فهو مثلهم . وفي الحديث الصحيح « خير الناس قرني ثم الذين يلوهم ثم الذين يلونهم » (٢) الحديث .

فتبين أن الخيرية ثابتة لهذه الأمة على سائر الأمم ولصدر هذه الأمة على من بعدهم وللسابقين إلى الإسلام ونصرة النبي ﷺ والجهاد معه من الصدر الأول على غيرهم .

٦ - يظهر من فحوى كلامه أن العرب ليسوا بحاجة الى تذكير لأن الله عزوجل قال لنبيه في حقهم **﴿فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر﴾ وقال ﴿ وما أنت عليهم بوكيل﴾** فإن كان قصده هذا فهو قول باطل وقد قال النبي ﷺ (لاتقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة) (٣) وهو صنم لدوس كانوا يعبدونه في الجاهلية وقال أيضاً (لاترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) (٤) .

٧ - قوله وأن النية في الدعوة إصلاح النفس أما هذه الفقرة فقد أصاب فيها ولكن الدعوة التي يترتب عليها صلاح النفس وصلاح الغير هي الدعوة المبنية على التوحيد وأن تكون خالصة لله وصواباً على شرعه .

منهج دعوة التبليغ

قال الشيخ سعد الحصين لايعرف عن الجماعة اصدار وثيقة واحدة عن منهجها فهي لاتستخدم نظم الإدارة الحديثة في تسيير شئونها وإنما يتم التخطيط

---

١) ابن كثير ٣٩٢/١ وعزاه الى مسند أحمد والترمذي وابن ماجة والحاكم وحسنه الترمذي .
٢) ابن كثير ٣٩٢/١ .
٣) صحيح الجامع الصغير وزياداته رقم الحديث ٧٢٨٧ .
٤) صحيح الجامع أيضاً رقم ٧١٥٣/٧١٥٤ .

والتنفيذ بالطريقة البسيطة الأولى دون حاجة الى الثقافة العالمية المستوردة . ولا يظهر من منهجها للمشارك العادي في نشاطها إلا قراءة السور العشر الأخيرة من القرآن مع فاتحة الكتاب والقراءة في كتاب رياض الصالحين للنووي وكتاب حياة الصحابة للكاندهلوي قصص عن الصحابة لايثبت أكثرها وهما للعرب خاصة وكتاب تبليغي نصاب لمحمد زكريا وهو لغير العرب وهو في فضائل الأعمال ويقوم على القصة والحديث الضعيف والموضوع والخرافة والبدعة غالباً ولا يخلو من الشرك وسأعرض أمثلة قليلة ان شاء الله يضاف إلى ذلك أصول الجماعة الستة وتغلب عليها في الأعوام الأخيرة تسميتها بالصفات الست المختارة من صفات الصحابة . ويبدوا أن قيادة الجماعة لجأت الى هذا التغيير للتخلص من إتهامها باستبدال أصولها الستة عن أركان الإسلام الخمسة .

والأصول الستة أو الصفات الست كما ترد في خروجهم هي :

١ - تحقيق الكلمة الطيبة لاإله إلا الله محمداً رسول الله .

٢ - الصلاة ذات الخشوع والخضوع .

٣ - العلم بالفضائل لاالمسائل مع الذكر .

٤ - إكرام المسلم .

٥ - تصحيح النية .

٦ - الدعوة الى الله والخروج في سبيل الله (على منهج التبليغ) .

ولكل من هذه الأصول أو الصفات مقصد وفضيلة وطريقة حصول محدد .

فمقصد لاإله إلا الله (على سبيل المثال) إخراج اليقين الفاسد من القلب على الأشياء ، وإدخال اليقين الصحيح على ذات الله ، أنه لاخالق إلا الله ولا رازق إلا الله ولا مدبر إلا الله .

وفضيلتها قول رسول الله ﷺ من كان آخر كلامه لاإله إلا الله دخل الجنة وطريقة الحصول عليهات ترديدها (١) أهـ .

وملاحظاتي على هذا المقطع وعلى قوله فمقصد لاإله إلا الله إخراج اليقين الفاسد على الأشياء وإدخال اليقين الصحيح على ذات الله . أنه كلام خطير يقرر فيه قائله وحدة الوجود ولكن في قالب وعبارة لاتنكر عليه ، فاليقين الفاسد عند أصحاب وحدة الوجود هو التوحيد الذي جاءت به الرسل واعتقاد أن كل مافي هذا الكون هو خلق لله وأن الله مستو على عرشه بائن من خلقه وعلمه بكل مكان.

---

١) من كتاب حقيقة الدعوة إلى الله للحصين جزاه الله خيراً .

ولهذا يقول بعضهم وهو عبدالسلام بن بشيش وزج بي في بحار الأحدية وانشلني من أوحال التوحيد وأغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا أحس إلا بها .

فهم يعتقدون أن التوحيد أوحالاً (١) . ويعتبرون وحدة الوجود هي اليقين الصحيح وأن تتيقن أن كل ماتشاهده هو الله جل الله عما يقولون ولكنهم يتسترون على ذلك ويأتون بعبارات محتملة حتى لايحكم عليهم بالردة فيقتلون ويذهب القبول لهم عند العامة والتصريحات في كتبهم كثيرة لكنهم لايبوحون بها إلا على أمثالهم فإذا مات القائل نشروا مقولاته فإذا قال أحدهم لاإله إلا الله فإنه يعتقد في هذه الكلمة أنه لاموجود إلا الله بمعنى أن كل الموجودات هي الله ، وإن كنت في شك مما قررته عنهم فإليك هذا الذكر وهو من أذكار النقشبندية . قال في الكشف عن الصوفية صـ ٢٤٧ ومن أذكار النقشبندية ذكر النفي والإثبات لاإله إلا الله جاء في آدابه .

ضارباً بلفظ الجلالة الى القلب منفذاً الى قعره بقوة يتأثر بحرارتها جميع البدن . مع ملاحظة معنى هذه الجملة ، وهو أنه لامقصود إلا ذات الله تعالى وينفي بشق النفي (لاإله) جميع المحدثات الإلهية وينظرها بنظر الفناء ، ويثبت بشق الإثبات (إلا الله) ذات الحق تعالى وينظره بنظر البقاء .

ومعنى نظر الفناء عندهم أن ينظر الى المخلوقات مع تعددها وتعدد أسمائها وصفاتها أنها شيء واحد هو الله . جل الله عما يقولون وتعالى علواً كبيراً .

وقال في صـ٢٤٩ من المرجع السابق ومن أورادهم (أي الشاذلية) مناجاة ابن عطاء الله وتقرأ في السحر .

إلاهي كلما أخرسني لؤمي أنطقني كرمك وكلما أيأستني أوصافي أطمعتني منتك وترددي في الآثار يوجب بعد المزار فاجمعني عليك بخدمة توصلني إليك .

تأمل في العبارات الآتية أيكون لغيرك من الظهور ماليس لك حتى يكون هو المظهر لك ، متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك ، حققني بحقائق أهل القرب واسلك بي مسالك أهل الجذب ، أنت الذي أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك وأنت الذي أزلت الأغيار من أسرار أحبائك أهـ

---

١) انظر كتاب الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ لمحمود عبدالرؤوف القاسم صــ٢٤٨ .

توضيح هذه العبارة أو العبارات :

معنى قوله أيكون لغيرك من الظهور ماليس لك حتى يكون هو المظهر لك . يعني أنه لايعقل في عقول أصحاب وحدة الوجود المنحرفة أن يكون لغيره من الظهور ماليس له حتى يكون ذلك الغير هو المظهر له وعلى هذا فيكون أن كل ماظهر لك فرأيته ببصرك أو سمعته بأذنك أو لمسته بيدك فهو الله . عياذاً بالله من ذلك .

وعلى هذا المعنى يحمل قوله متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك . يعني أنك لم تغب بل أنت موجود نراك ونسمعك ونلمسك فأنت الشمس وأنت القمر وأنت الكواكب وأنت السماء وأنت الأرض وأنت الصخر وأنت الإنسان وأنت كل شيئ نراه ونسمعه ونلمسه ولو كان حقيراً كالكلب والخنزير أو مستقذراً كالجيف والنتن . اللهم فاكتب لعنائك المتتابعة وغضبك المستمر على الصوفية المارقة الذين يزعمون أنك حللت في الفرج المنكوح والطعام المأكول والجيفة المستحيله فهل هناك كفر أعظم من هذا الكفر كلا !!! نقلت لك هذه النقول وهي قليل من كثير لتستيقن أن ما قلته عنهم أنهم حينما يقولون لاإله إلا الله إنما يقصدون معنى أنه لايوجد إلا الله وأن هذه عقيدتهم التي يتسترون عليها وأن معنى قوله إخراج اليقين الفاسد على الأشياء وإدخال اليقين الصحيح على ذات الله لايقصد به إلا هذا الإعتقاد الخبيث كما أوضحته سابقاً ومما يدل على صحة ما أوضحته أن محمد إلياس كان يجلس في المراقبة الجشتية عند قبر عبدالقدوس الكنكوهي الذي طغت عليه فكرة أصحاب وحدة الوجود ولو كان منكراً لهذه الفكرة ما جلس عند قبر من قالها وأقرها وتفوه بها .

فصل فيما ذكره عنهم الشيخ حمود بن عبدالله التويجري رحمه الله .

قال وأما في باب السلوك فهم صوفية والصوفية من شر أهل البدع وقد تقدم ذكر الطرق الأربع التي كانوا يبايعون أتباعهم عليها (قال هي الجشتية والنقشبندية والسهروردية والقادرية) قال ومن أورادهم إلا الله أربع مائة مرة ، والله الله ست مائة مرة يومياً والأنفاس القدسية عشر دقائق يومياً وتتحقق بالتصاق اللسان في سقف الفم والذكر بإخراج النفس من الأنف على صورة لفظ الله والمراقبة الجشتية نصف ساعة أسبوعياً عند أحد القبور بتغطية الرأس

والذكر بهذه العبارة الله حاضري - الله ناظري - وهذه الأوراد بدع وضلالات مخالفة لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان .

وقد ذكر بعض العلماء عن التبليغيين نوعاً آخر من الذكر وهو أنهم يكررون كلمة لاإله ستمائة مرة وإلا الله أربعمائة مرة وذكر آخر عن عدد كثير من الرجال أنهم سمعوا جماعة من التبليغيين الهنود وهم في بيت في شارع المنصور في مكة يكررون كلمة لاإله نحواً من ستمائة مرة ثم بعد ذلك يكررون كلمة إلا الله نحواً من مائتي مرة ويقولون ذلك بصوت جماعي مرتفع يسمعه من كان في الشارع وذلك بحضرة شيخ من كبار مشائخهم الهنود وقد استمر فعلهم هذا مدة طويلة وكانوا يفعلون ذلك في الشهر مرتين مرة في نصفه ومرة في آخره . ولا شك أن هذا من الإستهزاء بالله وبذكره ولا يخفى على من له علم وفهم أن فعلهم هذا يتضمن الكفر ستمائة مرة لأن فصل النفي عن الإثبات في قول لاإله إلا الله بزمن متراخ بين أول الكلمة وآخرها على وجه الإختيار يقتضي نفي الألوهية عن الله ستمائة مرة وذلك صريح الكفر ولو أن ذلك وقع من أحد مرة واحدة لكان كفراً صريحاً فكيف بمن يفعل ذلك ستمائة مرة في مجلس واحد . ثم إن إتيانهم بكلمة الإثبات بعد فصلها عن كلمة النفي بزمن متراخ لايفيدهم شيئاً وإنما هو التلاعب بذكر الله والإستهزاء به وهذا المنكر القبيح والضلال البعيد من نتائج تقليدهم لشيوخهم شيوخ السوء والجهل والضلال الذين أغواهم الشيطان وزين لهم ماكانوا يعملون (١) . أهـ.

وقال أيضاً ومما ذكره بعض العلماء عن التبليغيين أيضاً أن رجلاً من طلبة العلم خرج معهم من المدينة الى الحناكية وأميرهم أحد رؤساء جماعة التبليغ وفي أثناء الليل رأى أحدهم يهتز ويقول هو ، هو ، هو ، فأمسكه فترك الحركة وسكت وفي الصباح أخبر أميرهم بما فعله الهندي الصوفي التبليغي ، فأنكر الأمير على طالب العلم إنكاره على التبليغي وقال له بغضب شديد أنت صرت وهابياً والله لولي من الأمر شيئ لأحرقت كتب ابن تيمية وابن القيم وابن عبدالوهاب ولم أترك على وجه الأرض منها شيئاً .

ففارقهم طالب العلم حين سمع منه هذا الكلام السيء لأنه عرف عداوتهم لأهل العلم والهدى من أهل التوحيد وأنصار السنة وعرف محاربتهم لكتبهم المشتملة على تقرير التوحيد والدعوة إليه وإخلاص العبادة لله وحده والنهي عن الشرك

---

١) القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ لمؤلفه الشيخ حمود بن عبدالله التويجري رحمه الله .

للكتاب والسنة ، فإن الله تعالى يقول ﴿**فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى**﴾ (١) ويقول كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ (٢) قال وقد دلت الآية الأولى على أن الإستمساك بالعروة الوثقى له شرطان لابد منهما أحدهما الكفر بالطاغوت والثاني الإيمان بالله فمن أتى بهذين الشرطين فقد استمسك بالعروة الوثقى ومن لم يأت بهما أو ترك واحداً منهما فليس له حظ في الإستمساك بالعروة الوثقى .

والعروة الوثقى هي الإيمان وقيل الإسلام وقيل لاإله إلا الله وقيل الحب في الله والبغض في الله قال ابن كثير في تفسيره وكل هذه الأقوال صحيحة لاتنافي بينها أهـ .

وإذا عرفنا الأصول الثلاثة التي تقدم ذكرها من أصول التبليغيين على نص الاية الكريمة التي تقدم ذكرها تبين لنا أنه لاحظ لهم في الإستمساك بالعروة الوثقى لأنهم قد تركوا شرطاً من شروط الاستمساك بها وهو الكفر بالطاغوت ومن ليس لهم حظ من الإستمساك بالعروة الوثقى فلا خير فيهم ولا في مرافقتهم ولا الخروج معهم .

ثم إن التبليغيين لم يقتصروا على ترك الصراحة بالكفر بالطاغوت بل ضموا إلى ذلك ما هو شر منه وهو التجنب بشدة والمنع بعنف من الصراحة بالكفر بالطاغوت وتعطيل جميع النصوص الواردة في الكتاب والسنة بصدد الكفر بالطاغوت وهذا من زيادة ارتكاسهم في الغي والضلال عافنا الله وإخواننا المسلمين مما ابتلاهم .

وأما تركهم الصراحة بالنهي عن المنكر وتجنبهم ذلك بشدة ومنعهم منه بعنف وتعطيلهم لجميع النصوص الواردة في الكتاب والسنة بصدد النهي عن المنكر فهو من أوضح الأدلة على زيغهم وفساد معتقدهم وسلوكهم طريق الغي والضلال الذي ذكره الله عزوجل عن العصاة من بني إسرائيل وذمهم على ذلك ولعنهم فقال ﴿**لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون**﴾ وروى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة عن عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (لما وقعت بنوا إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وآكلوهم وشاربوهم

---

١) سورة البقرة الآية ٢٥٦ .

٢) سورة آل عمران الآية ١١٠ .

فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس فقال لا والذي بنفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطراً هذا لفظ أحمد والترمذي ولفظ أبي داوود قال رسول الله ﷺ إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لايحل لك ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما صنعوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال ﴿**لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم**﴾ الى قوله ﴿فاسقون﴾ ، ثم قال كلا والله لتؤمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق قصراً ، زاد في رواية أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ثم ليلعنكم كما لعنهم)

وفي هذا أبلغ رد على التبليغيين الذين لايبالون بالنهي عن المنكر ولا يعدونه من واجبات الإسلام وقد زادوا على ماذكره الله عن بني إسرائيل بزيادات من الغي والضلال وهي تجنبهم الصراحة في النهي عن المنكر بشدة ومنعهم من ذلك بعنف وتعطيلهم جميع النصوص الواردة في الكتاب والسنة بصدد النهي عن المنكر وفي هذا أوضح دليل على مخالفتهم لطريق الرسل صلوات الله وسلامه عليهم (١) أهـ .

---

١) من القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ للشيخ حمود التويجري رحمه الله ورفع درجاته في الفردوس الأعلى .

الملاحظات نعدها باختصار لأن الكلام فيها قد تقدم أما مالم يذكر من الملاحظات أي ما تجدد فسأذكره مع التوضيح .

الملاحظة الأولى : أن مؤسس جماعة التبليغ نشأ على الصوفية وأخذ فيها بيعتين وعاش عليها إلى أن مات لذلك فهو صوفي عريق في الصوفية .

الملاحظة الثانية : أنه كان يرابط عند القبور ينتظر الكشف والفيوضات الروحية من أصحابها .

الملاحظة الثالثة : أنه كان يرابط في المراقبة الجشتية عند قبر عبدالقدوس الكنكوهي الذي كان يؤمن بفكرة وحدة الوجود .

الملاحظة الرابعة : المراقبة الجشتية أن يجلس عند القبر نصف ساعة من كل أسبوع بتغطية الرأس والذكر بهذه العبارة الله حاضري الله ناظري وهذا العمل إن كان لله فهو بدعة وإن كان الخضوع لصاحب القبر فهو شرك بالله والأخير هو الظاهر لأنه لو كان هذا الخضوع لله لعمله في المسجد ولم يجلس عند القبر فلما جلس عند القبر بهذا الخضوع كان ذلك دليلاً على أنه قصد بهذا الخضوع صاحب القبر .

الملاحظة الخامسة : أن مؤسس هذه الجماعة وأتباعه في السلوك صوفية يعملون على أربع طرق هي الجشتية والنقشبندية والسَهْروردية والقادرية .

الملاحظة السادسة : أن جلوس مؤسس هذه الجماعة عند قبر من يؤمن بوحدة الوجود يدل على أنه يؤمن بها ولولم يكن يؤمن بها ماجلس عند قبر من يؤمن بها على تلك الهيئة وذلك الخضوع عافانا الله مما ابتلاهم .

الملاحظة السابعة : أن مؤسس هذه الجماعة صوفي قبوري خرافي .

الملاحظة الثامنة : أن مسجدهم الذي إنطلقت منه دعوتهم فيه أربعة قبور وقد قال النبي ﷺ إن من شرار الخلق الذين يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك (الحديث في الصحيحين) .

الملاحظة التاسعة : أن مؤسس هذه الجماعة يؤمن بالكشف كما ظهر من قوله في تفسير آية ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾ أنه فسرها بالكشف الصوفي ولا يجوز أن يفسر القرآن بالكشف الصوفي .

الملاحظة العاشرة : أن التبليغيين يتعبدون بالذكر المبتدع على طريق الصوفية وهو تفريق كلمة التوحيد لاإله إلا الله .

الملاحظة الحادية عشرة : أن من قطع النفي عن الاثبات عمداً بأن يقول (لاإله) لزمه على ذلك الكفر وأن من قال لاإله خمسمائة مرة فقد كفر خمس مائة مرة كما قرر ذلك الشيخ حمود التويجري نقلاً عن العلماء .

الملاحظة الثانية عشرة : ان الذكر بهذه الصفة التي عليها الصوفيون بدعة وضلالة لايجوز التعبد به فمن يقول لاإله خمس مائة مرة ثم يقول إلا الله أربعمائة مرة فانه مبتدع ضال بل كافر لأنه فصل النفي عن الإثبات ومن فعل ذلك عمداً كفر وإن كان جاهلاً لم يعذر بالجهل .

الملاحظة الثالثة عشر : أنهم أو بعضهم يجعلون وردهم حرز الجوشن وفيه بدع وشركيات كثيرة .

الملاحظة الرابعة عشر : أنهم يجيزون حمل الحروز التي فيها طلاسم وأسماء مجهولة لعلها أسماء شياطين وهذا لايجوز .

الملاحظة الخامسة عشر : أنهم يعتقدون أن حياة النبي ﷺ وحياة الأولياء حياة دنيوية ليست حياة برزخية .

الملاحظة السادسة عشر : أنهم يجهلون توحيد الألوهية ولايجعلون له قيمة ولا إهتماماً في حسابهم لما قد تقدم توضيحه في الملاحظات السابقة .

الملاحظة السابعة عشر : وهم في توحيد الأسماء والصفات أشعرية ماتريدية وإن كانوا يقرأون الحديث للبركة .

الملاحظة الثامنة عشر : أن عباراتهم تدور حول توحيد الربوبية وهذا التوحيد لايدخل أحداً في الإسلام كما لم يدخل مشركي العرب فيه .

الملاحظة التاسعة عشر : أنهم يبغضون دعاة التوحيد الذين يسمونهم بالوهابية كابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب وهذا يدل على انحرافهم وخبثهم.

الملاحظة العشرون : أنهم لايصرحون بوجوب الكفر بالطاغوت ولا يرضون لأحد أن يتكلم عن الكفر بالطاغوت ويغضبون غضباً شديداً إن تكلم أحد عن ذلك بل ويطردونه من بينهم .

الملاحظة الحادية والعشرون : أنهم لاينهون عن منكر ولا يصرحون لأحد بإنكار أي منكر بل يعدون التنصيص على بعض المنكرات ينافي الحكمة كما زعموا والله سبحانه وتعالى قد ذم بني اسرائيل ولعنهم بسبب عدم تناهيهم عن المنكر فقال **﴿لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه**

لبئس ماكانوا يفعلون﴾ (١) فهل ترى أنهم هم أعلم أم الله .

الملاحظة الثانية والعشرون : أن قول مؤسس هذه الجماعة فمقصد لاإله إلا الله أخراج اليقين الفاسد من القلب على الأشياء وإدخال اليقين الصحيح على ذات الله مفهومه الايمان بوحدة الوجود وهو أن اليقين الفاسد عندهم مايعتقده كل مسلم أن كل مانراه ونسمعه ونلمسه ونحسه فهو مخلوق إلا كلام الله فهو صفة من صفاته غير مخلوق والله خالق هذا الكون والمالك له والمتصرف فيه وهو مستو بذاته على عرشه بائن من خلقه وعلمه بكل مكان فهذه العقيدة باطلة عند أصحاب وحدة الوجود وإعتقادها إعتقاد باطل وفاسد عندهم واليقين الصحيح على ذات الله أنه ليس على العرش وأن الرب كل مانراه من المخلوقات كما سبق أن بينته ودللت عليه من كلامهم وتصريحاتهم وأورادهم .

وعلى هذا فمعنى لاإله إلا الله أنه لاموجود إلا الله وذلك نفي لوجود كل موجود إلا وجود الله تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

الملاحظة الثالثة والعشرون : اعتقادهم في المنامات والكرامات والحكايات والخرافات وأن فلان خرج من عند أهله وأغلق عليهم الباب ومكث عنهم أربعة أشهر ثم عاد إليهم فوجدهم على أحسن حال ولما سألهم قالوا له إن عجوزاً تدخل عليهم وتخدمهم وقد سمعت مثل هذا من بعضهم بأذني ويزعمون أن هذه كرامة تدل على أن عملهم مرضي لله عزوجل .

الملاحظة الرابعة والعشرون : أن المؤسس لهذه الجماعة قد نصب نفسه مشرعاً ، فشرع لأتباعه هذه الأركان الستة أو الصفات الست وشرع لهم الخروج ثلاثة أيام أو عشرة أيام أو أربعين يوماً أو أربعة أشهر .. الخ . وهذا يعد تشريعاً لأتباعه واذا وقف أتباعه على ما رسمه لهم ولم يتجاوزوه فقد جعلوه مشرعاً لهم حيث مشوا على الخطة التي رسمها لهم مما سبق ومن غيره كعدم التصريح بالكفر بالطاغوت وعدم التصريح بإنكار المنكر الى غير ذلك .

الملاحظة الخامسة والعشرون : ما ذكره الشيخ حمود التويجري نقلاً عن الأستاذ سيف الرحمن بن أحمد في كتابه نظرة عابرة اعتبارية عن الجماعة التبليغية أن لهم شبه بالشيعة في عدة أمور فقال وقد ذكر سيف الرحمن في كتابه صـ٥٦/٥٧ أنواعاً كثيرة من مشابهة التبليغيين للشيعة ومن تشبه بقوم فهو منهم وهذا ملخص ماذكره قال ومما يلاحظ أن لهم الشبه بالشيعة في إخفاء السم بالدسم ولهم الشبه بالشيعة في اخفاء ما في كتبهم ولهم الشبه بالشيعة في إخفاء

---

(١) سورة المائدة آية ٧٨/٧٩ .

كثير من عقائدهم المبعدة في الغلو والضلال والتطرفات النائية ، وله شبه بالشيعة في التقيه باسم الحكمة والإحتياط حيث يظهرون شيئاً ويخفون شيئاً ويحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون شيئاً ويفعلون شيئاً . ولهم شبه بالشيعة في كثير من التأويلات النائية عن طريق السلف الصالح ولهم شبه بالشيعة في بعدهم عن النصوص وعن العلم بالنصوص . ولهم شبه بالشيعة في تحديد علمهم وعلم طائفتهم في كتبهم المعروفة عندهم دون غيرها من الكتب ودون غيرهم من علماء المسلمين .

ولهم شبه بالشيعة في منع أتباعهم عن البحث وطلب الحق من عند غيرهم ، ولهم شبه بالشيعة في جعل معظم الدين محصوراً في المناقب والمثالب وتعظيم الأكابر ولهم شبه بالشيعة في المقدرة على المغالطات والمبالغات ، ولهم شبه بالشيعة في المقدرة على النفاق وإظهار التوحيد وإخفاء الإشراك بل النداء بالتوحيد وترويج الإشراك -ـ انظر كتاب نشر الطيب ، للمصنف أشرف علي النهارفوري أهـ . صـ٦/٥ من كتاب القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ للشيخ حمود التويجري رحمه الله بشيء من التصرف .

ثم ذكر في نفس الصفحة أوجه الشبه بينهم وبين القاديانيين أيضاً نقلاً عن كتاب سيف الرحمن أحمد نظرة عابرة اعتبارية في الجماعة التبليغية . فمن شاء الازدياد فليرجع إلى ذنيك الكتابين أو أحدهما . والله الموفق لمن يشاء من عباده وهو الهادي الى صراط مستقيم .

الباب الحادي عشر في بيان وجوب السير على منهج النبي ﷺ في الدعوة الى الله وغيرها

لقد بعث الله عزوجل نبيه محمداً ﷺ على حين فترة من الرسل وانطماس من السبل فدعا الى الله ليل نهار وصبر وصابر حتى نشر الله عزوجل دعوته ففتح بها أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً وهدى به من الضلالة وعلم به من الجهالة كسر به الأصنام وأباد به الأوثان وأزال به عبادة المخلوقين وأرسى به دعائم التوحيد وثبت أساس الملة على عبادة الله وحده دون سواه فدانت له ولأصحابه من بعده بذلك العرب وملكوا به العجم ومكن الله لهذا الدين وحملته فكسروا الملوك وابتزوا الممالك حتى وصلوا الى مشارف الصين شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً وإلى أسوار القسطنطينية شمالاً وتحقق بذلك وعد الله عزوجل للمؤمنين الموحدين بالنصر والتمكين حيث يقول عز من قائل ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لايشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**﴾ (١) فظهر الدين وانتشر الإسلام وكان بذلك الدين كله لله فكان من دخل في الإسلام يعلم أن دخوله في الإسلام يعني رفض العبودية لغير الله والإتجاه بها الى خالق هذا الكون ومبدعه وهو الله رب العالمين وواهب الحياة وخالق الأحياء ورازقهم والمتصرف فيهم كان يعلم ذلك الصغير منهم والكبير والذكر والأنثى والحر والعبد والعامي والمتعلم وتحقق بذلك ماقاله نبي الهدى ﷺ « إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن بالتحريش بينهم» (٢).

ولقد بقي الناس على ذلك ردحاً من الزمن غير قليل حتى ظهرت بدعة التصوف وبزغت نحلة التشيع والرفض في القرن الأفريقي على أيدي العبيديين الذين ملكوا المغرب في آخر القرن الثالث الهجري وامتد ملكهم فيما بعد الى مصر فأباحت هاتين النحلتين الشرك الأكبر باسم محبة الصالحين والتوسل بهم الى الله ، فشاع الشرك بين المسلمين وفشا شيئاً فشيئاً حتى أصبح كثير من المسلمين بل غالبهم يظنون أن التعبد للأضرحة والقبور والهتاف عند الشدائد

---

١) سورة النور آية ٥٥.

٢) أخرجه أحمد ٣٥٤/٣ كنز ١٢ كثير ٢٠٢/٢٢/٣ ترغيب ٤٥٧/٣ .

بأسماء أصحابها والتطوف بها والتقبيل لأعتابها والسجود على ترابها يحسبون ان ذلك هو الدين الذي جاء به نبي الهدى ورسول الرحمة ﷺ ذلك لأن هذا أمر نشأ عليه الصغير وهرم عليه الكبير وعاشوا عليه قروناً طويلة لاينكر إلا على من أنكره فرسخ في أذهان الناشئة أن الآباء والأجداد لايقرون ما يناقض الدين وهم أهل الدين يصلون ويصومون ويزكون ويحجون ويحرمون الفواحش ويستنكرون الظلم وزعموا أن الآيات الكثيرة الواردة في القرآن الكريم بذم الشرك والمشركين خاصة بمن عبد الأصنام المنحوتة وسجد لها وزين لهم ذلك كهنه الصوفية وسدنة القبور والمنتفعون والمأجورون ممن يريدون أن يخضع الناس لسلطانهم ويتخذونهم أرباباً من دون الله تساق إليهم الأموال نذوراً وقرابين ويسجد الناس على أيديهم وأرجلهم فأخرجوا الناس من الدين باسم الدين وكانوا بذلك مدعين كذباً وزوراً لحق الله رب العالمين يدخلون في جنته ورحمته حسب زعمهم من شاؤا ويمنعون من ذلك من أرادوا حتى راج ذلك على من نصبوا أنفسهم للدعوة الى الله وهذا هو السر في ضعف المسلمين وتسلط أعدائهم عليهم ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها كما أثر عن الامام مالك رحمه الله .

ووالله لن يعود للمسلمين نصرهم وعزهم ، إلا إذا عادوا الى المنبع الصافي والمورد العذب والسلسبيل الفياض كتاب الله المبين وحبله المتين وصراطه المستقيم ثم السنة والآثار وطريق السلف والأخيار من أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم على الهدى في غابر الأزمنة وحاضرها من جميع الأقطار وهذا هو ما أمر الله عزوجل به حيث يقول ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب**﴾ (١) ويقول ﴿**وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله**﴾ (٢) ويقول ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾ (٣) ويقول ﴿**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله**

---

١) سورة الحشر آية ٧ .

٢) سورة النساء آية ٦٤ .

٣) سورة آل عمران آية ٣١ .

شديد العقاب﴾ (١) .

ويقول ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ (٢) .

ويقول ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ (٣) .

هذه بعض الآيات الآمرة بطاعة الرسول ﷺ وهي شاملة للمنهج الدعوي وغيره مما يتعلق بالدين .

أما الأحاديث الواردة في ذلك أيضاً فإليك بعضها فمنها ما رواه العرباض ابن سارية رضي الله عنه قال صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فما تعهد إلينا قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً فإنه مَن يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة (٤) .

وروى مالك في الموطأ بلاغاً أن رسول الله ﷺ قال تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله . وهذا الحديث من بلاغات مالك وفيه نظر إلا أنه يشهد له حديث ابن عباس عند الحاكم حدثنا إسماعيل ابن محمد بن الفضل الشعراني حدثنا جدي حدثنا ابن أبي أويس حدثني أبي عن ثور ابن زيد الديلي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فقال قد يئس الشيطان أن يعبد بارضكم ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم ، فاحذروا يا أيها الناس إني تركت فيكم ما ان اعتصمتم به لن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه ﷺ إن كل مسلم أخو المسلم المسلمون إخوة ولا يحل لامرئ من مال أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس ولا تظلموا ولا ترجعوا من بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» (٥) قال

---

١) سورة الانفال آية ٢٤/٢٥ .
٢) سورة الأحزاب آية ٣٦ .
٣) سورة التغابن آية ١٢ .
٤) أخرجه أبو داوود في السنة رقم ٤٦٠٧ باب لزوم السنة والترمذي في العلم باب رقم ١٦ وإسناده صحيح وأخرجه أحمد في المسند ١٢٦/٤/١٢٧ وابن ماجه في المقدمة رقم ٤٢ باب اتباع الخلفاء الراشدين .
٥) أخرجه أحمد ٢٨٤/٣ والحاكم ٩٣/١ في كتاب العلم .

الحاكم قد احتج البخاري بأحاديث عكرمة واحتج مسلم بأبي أويس وسائر رواته متفق عليهم ووافقه الذهبي في احتجاج البخاري بعكرمة ومسلم بأبي اويس وقال وله أصل في الصحيح . ثم قال الحاكم وقد وجدت له شاهداً من حديث أبي هريرة ثم ساقه بسنده الى عبدالعزيز بن رفيع عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض ، وسكت عليه الحاكم والذهبي ولا يعتبر شاهداً إلا وهو صحيح أو مقارب لكن قال الذهبي صالح ابن موسى الطلحي واه .

قلت : كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هما الأصلان اللذان يؤخذ الدين عنهما باتفاق جميع المسلمين ومن خرج عن هذا الإجماع فهو ضال ومن استثنى الآحاد فهو مفتون ومبتدع مخالف لما عليه سلف الأمة وعلمائها وعليه أن يستغفر الله ويتوب إليه .

وعن المقدام بن معد كرب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراماً حرمناه وإنما حرم رسول الله كما حرم الله » (١) هذه رواية الترمذي . ورواية أبي داود قال : قال رسول الله ﷺ ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السباع ولا لقطة معاهد أن لا يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه» (٢) .

وعن أبي رافع رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لا أعرفن الرجل منكم يأتيه الأمر من أمري إما ما أمرت به أو نهيت عنه وهو متكئ على أريكته فيقول ما ندري ما هذا عندنا كتاب الله وليس هذا فيه ومالرسول الله أن يقول ما يخالف القرآن وبالقرآن هداه الله» (٣) .

وعن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال إنما مثلي ومثل

---

١) أخرجه الترمذي في العلم باب رقم ١٠ وقال هذا حديث حسن .

٢) أخرجه أبو داود في السنة باب لزوم السنة وسنده صحيح .

٣) المسند ١٣٢/١٣٠/٤ وابن ماجه في المقدمة رقم ١٢ باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ .

مابعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني واتبع ماجئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق) (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار تقع فيها فجعل ينزعهن ويغلبنه فيتقحمن فيها فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقحمون فيها (٢) هذه رواية البخاري ولمسلم نحوه وقال في آخرها فذلك مثلي ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار هلم عن النار فتغلبونني وتقحمون فيها) وأخرجه الترمذي بنحوه وعن جابر ابن عبدالله رضي الله عنه نحوه رواه مسلم .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال إن أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشرار الأمور محدثاتها وإنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين) أخرجه البخاري هذه أحايث صحيحة إضافة إلى الآيات التي سبق ذكرها وكلها تفيد وجوب متابعة النبي ﷺ والإقتداء بسنته واتباع طريقته فخير الهدي هديه وخير السنن سنته صلوات الله وسلامه عليه فمن زعم أنه يأتي بأحسن من سنته أو يأتي بأفضل من طريقته في الدعوة الى الله فإنه قد كذب وافترى وضل ضلالاً بعيداً .

---

١) أخرجه البخاري في الرقاق ومسلم في الفضائل باب شفقته ﷺ على أمته .
٢) أخرجه البخاري في الرقاق رقم ٦٤٨٣ .

الباب الثاني عشر في ذم البدع والمبتدعين

البدعة إحداث في الدين واستدراك على سيد المرسلين الذي أكمل الله لنا به الدين وتكذيب لله رب العالمين في اخباره بأن الدين قد كمل ولم يعد بحاجة أن يكمله أحد أو يزيد فيه .

قال تعالى ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾ (١) .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية وقال علي بن طلحة عن ابن عباس قوله (اليوم أكملت لكم دينكم) وهو الإسلام أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الايمان فلا يحتاج الى زيادة أبداً وقد أتمه فلا ينقصه أبداً وقد رضيه فلا يسخطه أبداً . وقد روى بن كثير عن هارون بن عنترة عن أبيه قال لما نزلت ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ وذلكم يوم الحج الأكبر بكى عمر رضي الله عنه فقال له النبي ﷺ ما يبكيك قال أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا فأما اذا كمل فإنه لايكمل شيء إلا نقص فقال له صدقت قال ابن كثير ويشهد لهذا المعنى الحديث الثابت بان الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء .

قلت المراد بالنقص هنا النقص في قلوب الناس أما أحكام الإسلام فهي كاملة وباقية على كمالها الى يوم القيامة . ولهذا كان من ابتدع بدعة في الدين مذموماً وملوماً وآثماً اتفق على ذلك الكتاب والسنة والآثار وإجماع أهل السنة قال تعالى ﴿**ولاتكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون**﴾ (٢) وقال تعالى ﴿**إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيئ إنما أمرهم الى الله ثم ينبئهم يوم القيامة بما كانوا يفعلون**﴾ (٣) .

قال أبو هريرة رضي الله عنه في هذه الآية هم أهل البدع وأهل الشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة . وقال النبي ﷺ في حديث عائشة المتفق عليه (من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد) وفي رواية (من عمل عملا ليس عليه

١) سورة المائدة الآية ٣ .
٢) سورة الروم آية ٣١/٣٢.
٣) سورة الانعام الآية ١٥٩ .

أمرنا فهو رد) (١)

وقال ﷺ في حديث العرباض بن سارية (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) (٢) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (أنا فرط لكم على الحوض وليختلجن رجال دوني فأقول يارب أصحابي فيقال إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك (٣).

وفيه دليل على أن أصحاب البدع يذادون عن حوض النبي ﷺ لقوله ﷺ (وليختلجن رجال دوني فأقول يا رب أصحابي فيقال إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك) وقد تقدم أن عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه لما وقف على حلق في مسجد الكوفة كل حلقة فيها رجل يقول سبحوا مائة فيسبحون مائة كبروا مائة فيكبرون مائة هللوا مائة فيهللون مائة فقال إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد ﷺ أو مفتتحوا باب ضلالة فقالوا والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير فقال رضي الله عنه :-

وكم من مريد للخير لم يصبه . وقد روى ابن الجوزي بسنده الى سفيان الثوري أنه قال : البدعة أحب الى إبليس من المعصية المعصية يتاب منها والبدعة لايتاب منها . قال رجل للفضيل ابن عياض من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها فقال له الفضيل من زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها ومن جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة واذا علم الله من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجوت أن يغفر الله له سيئاته . وقال أيضاً اذا رأيت مبتدعاً في طريق فخذ في طريق آخر ولا يرفع لصاحب البدعة عمل الى الله عزوجل ومن أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام وعن محمد بن سهل قال كنا عند الفريابي فجعل يذكر أهل البدع فقال له رجل لو حدثتنا كان أعجب إلينا فغضب وقال كلامي في أهل البدع أحب إلي من عبادة ستين سنة أهـ . من كتاب نقد العلم والعلماء لابن الجوزي) وقال الشاطبي رحمة الله عليه في كتاب الإعتصام ، الباب الثاني في ذم البدع وسوء منقلب أهلها .

لاخفاء أن البدع من حيث تصورها يعلم العاقل ذمها لأن إتباعها خروج عن

---

١) أخرجه البخاري ومسلم .

٢) تقدم تخريجه .

٣) أخرجه البخاري ومسلم .

الصراط المستقيم ورمي في عماية وبيان ذلك من جهة النظر والنقل الشرعي العام أما النظر فمن وجوه .

أحدها أنه قد علم بالتجارب والخبرة السارية في العالم من أول الدنيا الى اليوم أن العقول غير مستقلة بمصالحها استجلابا لها أو مفاسدها استدفاعاً لها لأنها إما دنيوية أو أخروية :-

فأما الدنيوية فلا يستقل باستدراكها على التفصيل البتة لافي ابتداء وضعها **أولاً** : ولا في استدراك ما عسى أن يعرض في طريقها إما في السوابق وإما في اللواحق لأن وضعها أولا لم يكن إلا بتعليم من الله تعالى .

لأن آدم عليه السلام لما أنزل الى الأرض علم كيف يستجلب مصالح دنياه إن لم يكن ذلك من معلومه أولاً .

إلى أن قال وأما المصالح الأخروية فأبعد عن مصالح المعقول من وضع أسبابها وهي العبادات مثلا فإن العبد لايشعر بها على الجملة فضلا عن العلم بها على التفصيل .

الثاني : أن الشريعة جاءت كاملة لاتحتمل الزيادة ولا النقصان لأن الله تعالى قال فيها ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾ (١) .

ثم ذكر حديث العرباض بن سارية الذي سبق ذكره ، ثم قال وثبت أن النبي ﷺ لم يمت حتى أتى ببيان جميع ما يحتاج اليه في أمر الدين والدنيا وهذا لامخالف فيه من أهل السنة فإذا كان كذلك فالمبتدع محصل قوله بلسان حاله أو مقاله أن الشريعة لم تتم وأنه بقي منها اشياء يجب أو يستحب استدراكها .

قال ابن الماجشون سمعت مالكاً يقول : من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة لأن الله تعالى يقول ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ فما لم يكن يومئذ ديناً لم يكن اليوم ديناً .

والثالث : أن المبتدع معاند للشرع ومشاق له ، لأن الشارع قد عين لمطالب العبد طرقاً خاصة على وجوه خاصة وقصر الخلق عليها بالأمر والنهي والوعد والوعيد وأخبر أن الخير فيها وأن الشر في تعديها الى غيرها لأن الله يعلم ونحن لانعلم وأنه إنما أرسل الرسول رحمة للعالمين والمبتدع راد لهذا كله .

فإنه يزعم أن ثم طرقاً اخرى وليس ما حصره الشارع بمحصور ولا ماعينه بمتعين وكأنه يقول الشارع يعلم ونحن نعلم بل ربما يفهم من استدراكه الطرق على

---

١) سورة المائدة آية ٣ .

الشارع أنه علم مالم يعلمه الشارع وهذا إن كان مقصوداً للمبتدع فهو كفر بالشريعة والشارع وان كان غير مقصود فهو ضلال مبين .

وإلى هذا المعنى أشار عمر ابن عبدالعزيز رحمه الله حين كتب له عدي بن أرطاه يستشيره في بعض القدرية فكتب إليه الخليفة يقول : أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله والإقتصاد في أمره وإتباع سنة نبيه ﷺ وترك ما أحدث المحدثون فيما قد جرت به سنته وكفوا مؤنته فعليك بلزوم السنة فإن السنة إنما سنها من قد عرف مافي خلافها من الخطإ والزلل والحمق والتعمق . فارض لنفسك بما رضي به القوم لأنفسهم فإنهم على علم وقفوا وببصر نافذ قد كفوا وهم كانوا على كشف الأمور أقوى وبفضل كانوا فيه أحرى فلئن قلتم أمر حدث بعدهم ، ما أحدثه بعدهم إلا من اتبع غير سنتهم ورغب بنفسه عنهم إنهم لهم السابقون فقد تكلموا منه بما يكفي ووصفوا منه ما يشفي فما دونهم مقصر ، وما فوقهم محسر لقد قصر عنهم آخرون فغلوا وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم .

الرابع : أن المبتدع قد نزل نفسه منزلة المضاهي للشارع لأن الشارع وضع الشرائع وألزم الخلق الجري على سننها وصار هو المنفرد بذلك لأنه حكم بين الخلق فيما كانوا فيه يختلفون .

وإلا فلو كان التشريع من مدركات الخلق لم تنزل الشرائع ولم يبق الخلاف بين الناس ولا احتيج إلى بعث الرسل عليهم السلام . ثم إن هذا الذي ابتدع في دين الله قد صير نفسه نظيراً ومضاهياً للشارع حيث شرع معه وفتح للإختلاف باباً ، ورد قصد الشارع في الإنفراد بالتشريع وكفى بذلك ضلالاً .

الخامس : أن المبتدع متبع للهوى لأن العقل اذا لم يكن متبعاً للشرع لم يبق له إلا الهوى والشهوة وأنت تعلم مافي اتباع الهوى وأنه ضلال مبين ألا ترى قول الله تعالى ﴿ **يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل**

الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ (١) .

فحصر الحكم في أمرين لاثالث لهما عنده وهو الحق والهوى وعزل العقل مجرداً ، قال تعالى **﴿ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه﴾** (٢) فجعل الأمر محصوراً في أمرين إتباع الذكر واتباع الهوى .

ومثل ذلك قوله تعالى **﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾** (٣) وتأملوا هذه الآية فهي صريحة في أن من لم يتبع هدى الله فهو متبع هوى نفسه فلا أحد أضل منه (٤) أهـ .

وفي هذا كفاية ومقنع لمن أراد الحق ومن أراد أن يستزيد فعليه بالكتب التالية :-

١ - كتاب الإعتصام للشاطبي رحمه الله .

٢ - كتاب إقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

٣ - تلبيس إبليس أو نقد العلم والعلماء لابن الجوزي .

٤ - ذم البدعه والمبتدع .

٥ - كتاب الإعتصام من صحيح البخاري .

٦ - كتاب السنة من سنن أبي داود .

---

١) سورة ص آية ٢٦ .

٢) سورة الكهف آية ٢٨ .

٣) سورة القصص آية ٥٠ .

٤) من كتاب الإعتصام للشاطبي ٤٦/١ وما بعدها بتصرف .

باب فضل الإلتزام بالسنة ومتابعاتها وهو الباب الثالث عشر والأخير

قال الله عزوجل **﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لاتخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ماتشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم﴾** (١) .

إن الإستقامة هي إخلاص الدين لله والمتابعة لرسول الله ﷺ قال ابن كثير رحمه الله يقول تعالى **﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾** أي أخلصوا العمل لله وعملوا بطاعة الله على ما شرع الله لهم . وفي صحيح مسلم عن سفيان ابن عبد الله قال قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم) . وعن ابن عباس رضي الله عنهما **﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾** على أداء فرائضه وكذا قال قتادة وقال أبو العالية ﴿ ثم استقاموا ﴾ أخلصوا له الدين والعمل ، وكان الحسن يقول اللهم أنت ربنا فارزقنا الإستقامة .

تتنزل عليهم الملائكة قال مجاهد والسدي وزيد بن اسلم وابنه يعني عند الموت قائلين (لاتخافوا) قال مجاهد وعكرمة وزيد بن أسلم أي مما تقدمون عليه من امر الآخرة ﴿ ولا تحزنوا ﴾ على ما خلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو دين فإنا نخلفكم فيه **﴿وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾** فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير وهذا كما جاء في حديث البراء رضي الله عنه ، أن الملائكة تقول لروح المؤمن أخرجي أيتها الروح الطيبة كانت في الجسد الطيب تعمره أخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان وقيل إن الملائكة تنزل عليهم يوم خروجهم من قبورهم حكاه ابن جرير عن ابن عباس والسدي . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو رزعة حدثنا عبد السلام ابن مطهر حدثنا جعفر بن سليمان قال سمعت ثابتاً قرأ سورة حم السجدة حتى بلغ **﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة﴾** . فوقف فقال بلغنا أن العبد المؤمن حين يبعثه الله من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا فيقولان له لاتخف ولا تحزن **﴿وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾** قال فيأمن الله تعالى خوفه ويقر عينه فما عظيمة يخشى الناس (منها) يوم القيامة إلا وهي للمؤمن قرة عين لما هداه الله

---

١) سورة فصلت آية ٣٠/٣١/٣٢

تبارك وتعالى ولما كان يعمل في الدنيا ، وقال زيد بن أسلم يبشرونه عند موته وفي قبره ويوم بعثه) (١) .

قلت لايكون من أهل هذه البشارة إلا من عاش حياته الدنيا على النهج السلفي والعقيدة السلفية عقيدة التوحيد .

لقوله ﷺ افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قالوا من هم يا رسول الله قال هم الذين على مثل ما أنا عليه واصحابي أي كانوا في حياتهم الدنيا مستقيمين وثابتين على النهج الذي تركت أصحابي عليه كما قال ﷺ تركتكم على بيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها إلا هالك (٢) .

فمن زاغ عن الطريق الواضحة التي تركنا عليها رسول الله ﷺ وأشار إليها في هذا الحديث وهي ألا نعبد إلا الله ولا نعبد الله إلا بما شرع رسول الله ﷺ فقد هلك ومن اتبعها فقد نجا وقد قال كثير من السلف إن شريعة النبي ﷺ وسنته كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك وعلى ذلك دلت الأدلة فمنها قوله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب**﴾ (٣) .

وقوله تعالى ﴿**فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**﴾ (٤) وفي صحيح البخاري من طريق جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا ان لصاحبكم هذا مثلاً قال فاضربوا له مثلاً فقال لبعضهم انه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبه وبعث داعياً فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة . فقالوا أولوها له يفقهها فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا فالدار الجنة والداعي محمد ﷺ فمن أطاع محمداً ﷺ فقد

---

١) رواه ابن أبي حاتم ، وهذا القول يجمع الأقوال كلها وهو حسن جداً وهو الواقع أهـ . ط دار الفكر .

٢) أخرجه ابن ماجة في المقدمة رقم الحديث /٥ .

٣) الانفال آية رقم ٢٤/٢٥ .

٤) سورة النور آية ٦٣ .

أطاع الله ومن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله) (١) . وفيه أيضاً عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا ، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق) (٢) .

وهذه الآيات والأحاديث نذر لمن عصى الله ورسوله وبشائر لمن أطاع الله ورسوله .

ومن البشائر حديث لاتزال طائفة من أمتي قوامة على الحق ظاهرين لايضرهم من خذلهم ولامن خالفهم حتى يأتي وعد الله وهم على ذلك) (٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لاتزال طائفة من امتي على أمر الله لايضرها من خالفها (٤) .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه قال قام معاوية خطيباً فقال أين علماؤكم أين علماؤكم سمعت رسول الله ﷺ يقول لاتقوم الساعة إلا وطائفة من أمتي ظاهرون على الناس لايبالون من خذلهم ولا من نصرهم) (٥) .

وعن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لاتزال طائفة من أمتي على الحق منصورين لايضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله عزوجل) (٦) .

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإعتصام بالسنة رقم ٧٢٨١ .

٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب الإنتهاء عن المعاصي رقم الحديث ٦٤٨٢ وفي الإعتصام رقم الحديث ٧٢٨٣ .

٣) أخرجه ابن ماجة عن معاوية بن قرة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ لاتزال طائفة من أمتي منصورين لايضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة . وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة رقم ٦ المقدمة .

٤) صحيح ابن ماجة رقم ٧ والصحيحة ١٩٦٢ .

٥) صحيح ابن ماجة رقم ٩ والصحيحة رقم ١١٩٥ ورقم ١٩٥٨و١٩٧١ .
قلت ظاهره الإنقطاع فإن شعيباً والد عمرو لم يدرك معاوية إلا أن يكون سقط منه عن جده . إلا أن الحديث صحيح من غير طريق عمرو بن شعيب أخرجه البخاري من طريق يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن حميد سمعت معاوية يخطب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لايضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله . ورواه مسلم وغيره مما لانطيل بذكره وقد أطال الألباني في الصحيحه في تخريج طرقه فانظره على الأرقام المشار إليها سابقاً .

٦) خرجه الألباني في صحيح ابن ماجه رقم ١٠ وفي الصحيحة برقم ١٩٥٧ وذكر أنه أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة وأحمد والحاكم .

ومنها حديث (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وابن عمر ولم يقل ابن عمر فطوبى للغرباء ولكن قال وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في حجرها . ورواه ابن ماجة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بمثل رواية مسلم ومن حديث أنس بمثل حديث أبي هريرة ومن حديث ابن مسعود رضي الله عنه بزيادة قيل ومن الغرباء قال النزاع من القبائل . أهـ .

والمراد بالنزاع من هداهم الله الى الطريق الحق والصراط السوي وهي العقيدة السلفية الصحيحة .

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء قالوا يا رسول الله ومن الغرباء قال الذين يصلحون عند فساد الناس) (١) .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الايمان بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى يومئذ للغرباء إذا فسد الناس والذي نفس أبي القاسم بيده ليأرزن الايمان الى بين هذين المسجدين كما تأرز الحية الى حجرها) (٢) .

وعن جابر ابن عبدالله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إن الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء قال ومن الغرباء يا رسول الله قال الذين يصلحون إذا فسد الناس) (٣) .

وعن عبدالله ابن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن عنده طوبى للغرباء فقيل من الغرباء يا رسول الله قال أناس صالحون في أناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم) (٤) .

وأخرج أبو داود والترمذي من طريق أبي أمية الشعباني قال : سألت أبا ثعلبة الخشني فقلت يا أبا ثعلبة كيف تقول في هذه الآية ﴿ عليكم أنفسكم ﴾ قال أما والله لقد سألت عنها خبيراً سألت عنها رسول الله ﷺ فقال بل إئتمروا

---

١) رواه الطبراني في الثلاثة ورجاله رجال الصحيح غير بكر بن سليم وهو ثقة قاله الهيثمي في المجمع .

٢) عزاه الهيثمي في مجمع الزوائد الى مسند أحمد والبزار وأبي يعلى وقال ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح .

٣) رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبدالله ابن صالح كاتب الليث وهو ضعيف وقد وثق قاله الهيثمي في المجمع .

٤) رواه أحمد والطبراني في الأوسط وقال أناس صالحون قليل وفي سنده ابن لهيعة وفيه ضعف .

بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوىً متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك يعني بنفسك - ودع العوام فإن من وراءكم أيام (الصبر) الصبر فيها مثل قبض على الجمر للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله ، وزاد في غيره قال يا رسول الله أجر خمسين منهم قال أجر خمسين منكم ، هذا لفظ أبي داود .. ولفظ الترمذي فإن من ورائكم أياماً الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم) قال عبدالله ابن المبارك وزاد في غير عتبة ، قيل يا رسول الله أجر خمسين رجلاً منا أو منهم قال لا بل أجر خمسين رجلاً منكم) (١) .

---

١) أخرجه أبو داود في الملاحم باب الامر والنهي رقم الحديث ٤٣٤١ ، وأخرجه الترمذي في التفسير من تفسير سورة المائدة رقم الحديث في تحفة الأحوذي ٥٠٥١ وأخرجه ابن ماجة في الفتن وفيه ضعف خفيف وخرجه الالباني في الضعيف من سنن ابن ماجه صـ٣٢٢/٣٢٣ وقال لكن فقره أيام الصبر ثابتة في الصحيحة - ٤٩٤ وقال وفي الصحيحة جـ١ صـ٨١٢ بالرقم المشار إليه ٤٩٤ أن من ورائكم إيام الصبر المتمسك فيهن يومئذ بما أنتم عليه له أجر خمسين منكم قالوا يا نبي الله منا أو منهم قال بل منكم . أخرجه ابن نصر في السنة صـ٩٠ من طريق ابراهيم ابن أبي علية عن عتبة ابن غزوان أخي بني مازن وكان من الصحابة أن رسول الله ﷺ قلت (يعني الالباني واسناده صحيح رجاله كلهم ثقات لولا أن إبراهيم بن أبي عُليه عن عتبة بن عزوان مرسل كما في التهذيب لكن له شاهد من حديث عبدالله ابن مسعود مرفوعاً به ، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٣/٧٦/١ من طريقين عن أحمد ابن عثمان ابن حكيم الأودي حدثنا سهل ابن عثمان البجلي حدثنا عبدالله ابن نمير عن الأعمش عن زيد بن وهب عنه وقال قلت وهذا اسناد صحيح رجال سنده كلهم ثقات رجال مسلم . وله شاهد آخر من حديث أبي ثعلبة الخشني مرفوعاً به أخرجه أبو داود رقم ٤٣٤١ والترمذي (٢/١٧٧) وابن ماجه (٤٠١٤) . وابن حبان (١٨٥٠) وابن أبي الدنيا في الصبر (ق ٤٢/١) وقال الترمذي حديث حسن أهـ.

قلت : وتحسين الترمذي هنا لا يبعد عن الحقيقة فإن عتبه بن أبي حكيم وثقه قوم وضعفه آخرون وقال بن عدي أرجو أنه لا بأس به وقال في التقريب صدوق يخطيء كثيرا . وعمرو بن جارية وهو عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بفتح أوله ابن جارية بالجيم الثقفي المدني حليف بني زهرة وقد ينسب إلى جده ويقال عمر ثقة من الثالثة خ م د س . وأما أبو أمية الشعباني واسمه يحمد بضم التحتانية واسكان المهملة وكسر الميم وقيل بفتح أوله والميم وقيل اسمه عبد الله مقبول من الثانية عخ د ت ق تقريب ت ٧٩٤٧ .

ومن هنا نعلم أن تحسين الترمذي لايبعد عن الحقيقة كما قلت وقد استشكل جعله للعامل بالسنة والثابت عليها في ذلك الزمن أجر خمسين من الصحابة ويلزم منه تفضيل المتأخرين على الصحابة ووجه بأن المزية الخاصة لايلزم منها التفضيل المطلق ، وقال ابن عبدالسلام ليس هذا على إطلاقه بل هو مبنى على قاعدتين إحداهما : أن الأعمال تشرف بثمراتها . والثانية : أن الغريب في آخر الزمان كالغريب في أوله وبالعكس لقوله ﷺ بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبي للغرباء من أمتي) يريد المنفردين عن أهل زمانهم (يعني المتمسك بالسنة) .

اذا تقرر ذلك فنقول الإنفاق في أول الاسلام أفضل لقوله ﷺ لخالد ابن الوليد رضي الله عنه لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه أهـ . بواسطة عون المعبود جـ١١ صـ٤٩٦ .

والشاهد في الحديث قوله للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً قيل يا رسول الله أجر خمسين منا أو منهم قال لا بل منكم وهذه فضيلة عظيمة لمن عمل بالسنة واستقام على الشرع الحنيف في آخر الزمان . وبالله التوفيق .

فصل

وقد تبين من هذه النصوص فضيلة المتمسك بالسنة الذي قال ربي الله ثم استقام أي وقف وثبت ولكن من هم الغرباء الذين يصلحون اذا فسد الناس فاستحقوا هذا الثناء العاطر من نبي الهدى الذي جاء يتخطى الزمن فرفعهم فوق هامة الثريا وإن كانوا أصحاب فقر وعوز وحاجة وضعف ومن هي الفرقة الناجية والطائفة المنصورة وماهو ظهورهم على الناس وغلبتهم لهم ماهو نوع هذه الغلبة وهذا الظهور وأنه لايضرهم من خذلهم ولا من خالفهم .

إن أصحاب هذه البشارات والمعنيين بها هم أصحاب العقيدة السلفية الصحيحة الذين اعتقدوا ما اعتقد أصحاب رسول الله ﷺ من التوحيد الذي لايشوبه شرك والايمان الذي لايشوبه شك والسير على السنة التي لاتشوبها بدعة .

الذين اعتقدوا وحدانية الله وانفراده بالكمالات التي لايشاركه فيها أحد لافي اسمائه الحسنى ولا في صفاته العليا فأثبتوها له اثباتاً يليق بجلاله سبحانه وتعالى كما وصف نفسه بها وكما وصفه رسوله ﷺ بها معتقدين بأن الإشتراك في الإسم لايلزم منه الإشتراك في الحقيقة واعتقدوا وحدانية الله وانفراده بالألوهية فأفردوه بالعبادة من دعاء وخوف ورجاء ورغبة وخشوع وخشية وغير ذلك ، وعملوا بالقاعدة الشرعية في الولاء والبراء واعتقدوا وجوب البغض للكفار و الملِيين والمشركين الخرافيين ممن ينتمون الى الإسلام ويدعون أصحاب الأضرحة ويفزعون إليهم في الشدائد معتقدين فيهم القدرة على إزالة الشدة وفك الكربة وإعطاء المطلوب واعتقدوا أيضاً أن من اعتقد أنهم باقون على شريعة الإسلام مع هذه العقيدة فهو كافر مثلهم وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم .

واعتقدوا وجوب المتابعة للنبي ﷺ وأن الواجب على كل مسلم طاعته في ما أمر واجتناب مانهى عنه وزجر وتصديقه فيما أخبر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع وأنه لاعصمة لأحد سواه ولا يُعارض قوْله بقول أحد ولا حكمه بحكم أحد وأنه لاسبيل إلى الجنة إلا من طريقه وأنه لايقبل الله من أحد عملاً إلا أن يكون على شرعه وانه صلوات الله وسلامه عليه هو خاتم الرسل فلا نبي بعده وأنه صاحب الشفاعة العظمى والمقام المحمود والحوض المورد في الآخرة وان له معجزات وأعظمها معجزة القرآن ، واعتقدوا أن القرآن كلام الله غير مخلوق وأن الله يرى في الآخرة يراه المؤمنون في الجنة كما يرون القمر ليلة البدر ويكلمونه ويكلمهم ، وأنه لاتخليد في النار على صاحب الكبيرة إذا مات على الإسلام وهو التوحيد وأن أصحاب الكبائر تحت المشيئة الإلهية منهم من يعفو الله عنه بدون

عذاب ومنهم من يعذب في النار وقتاً من الزمن ثم يخرجه الله منها بشفاعة الشافعين أو برحمة أرحم الراحمين ثم يدخله الجنة . واعتقدوا أن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم عدول وأفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم سائر العشرة المشهود لهم بالجنة ثم أهل بدر ثم أهل بيعة الرضوان ثم من أسلم قبل الفتح وهاجر ثم من أسلم بعد الفتح ، ويتولون أهل بيت رسول الله ﷺ ولا يعتقدون فيهم ولا في أحد منهم العصمة بل يعتقدون أن فيهم المطيع والعاصي والبر والفاجر شأنهم شأن غيرهم الا أن المطيعين منهم لهم حق القرابة من رسول الله ﷺ وحق الإسلام وان الفرقة الناجية هي الطائفة المنصورة وهم الغرباء وهم النزع من القبائل وإنما سموا غرباء لقلتهم ومخالفتهم لما عليه أهل زمانهم ومكانهم من الفساد والشر وإتباعهم للشرع في وسط الجموع الفاسدة (١)

---

١) الحق أن الطائفة المنصورة هي الفرقة الناجية وهم الغرباء وهم النزع من القبائل وأن هذه أوصاف لفئة واحدة هم أهل الحديث ومن اعتقد عقيدتهم وهي العقيدة التي ذكرت شيئاً منها على سبيل الاجمال وهي مبسوطة في الكتب المخصصة لها وهم متبعوا الآثار كما نص على ذلك أهل العلم وأئمة الهدى فروى الحاكم في معرفة الحديث عن أحمد بن حنبل رحمه الله أنه سئل عن معنى هذا الحديث لايزال ناس من أمتي منصورين لايضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة فقال إن لم يكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث فلا أدري منهم . قال أبو عبدالله وفي مثل هذا قيل من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحق .

فلقد أحسن أحمد بن حنبل رحمه الله في تفسير هذا الخبر أن الطائفة المنصورة التي يدفع الخذلان عنهم الى قيام الساعة هم أصحاب الحديث ومن أحق بهذا التأويل من قوم سلكوا محجة الصالحين واتبعوا آثار السلف من الماضين ودمغوا أهل البدع من المخالفين بسنن رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين من قوم أثروا قطع المفاوز والقفار على التنعم في الدمن والأوطار وتنعموا بالبؤس في الأسفار مع مساكنة العلم بالأخبار . وساق إسناده إلى حفص بن غياث أنه قيل له ألا تنظر إلى أهل الحديث وما هم فيه قال هم خير أهل الدنيا والى أبي بكر ابن عياش أنه قال إني لأرجوا أن يكون أصحاب الحديث خير الناس ثم قال الحاكم « ولقد صدقا جميعاً أن أصحاب الحديث خير الناس وكيف لايكونون كذلك وقد نبذوا الدنيا ورائهم بأسرها وجعلوا غذاؤهم الكتابة وسموهم المعارضة واستروحاهم المذاكرة وخلوقهم المداد ، فعقولهم بلذاذة السنة غامرة وقلوبهم بالرضى في الأحوال عامرة تعلم السنن سرورهم ومجالس العلم حبورهم وأهل السنة قاطبة إخوانهم وأهل البدع بأسرها أعدائهم .

سمعت أبا الحسين محمد بن أحمد الحنظلي ببغداد يقول سمعت أبا اسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي يقول كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند أبي عبدالله أحمد بن حنبل فقال له أحمد بن حسن يا أبا عبدالله ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة أصحاب الحديث فقال أصحاب الحديث قوم سوء فقام أبو عبدالله وهو ينفض ثوبه فقال زنديق زنديق زنديق ، ودخل البيت ثم ساق سنده إلى أحمد بن سنان القطان أنه قال ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث وإذا ابتدع الرجل نزع حلاوة الحديث من قلبه .

قال أبو عبدالله وعلى هذا عهدنا في أسفارنا وأوطاننا كل من يتسب إلى نوع من الإلحاد والبدع لاينظر

فصـــل

وأما معنى ظهورهم على عدوهم فهو ظهورهم بالحجة في كل زمان ومكان وقد يظهرون أحياناً بالقوة المادية وقد يكونون غير ظاهرين مادياً ولكنهم يكونون ظاهرين بالحجة الفالجة والسلطان الغالب كما قال تعالى **﴿وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم﴾** (١) .

ولم يكن إبراهيم عليه السلام ظاهراً على قومه مادياً وإنما ظهر عليهم بالحجة الفالجة والسلطان الغالب ومن استقرأ التاريخ يعلم صحة ما قلته فأصحاب الحديث والعقيدة السلفية المنوه عنهم في الأحاديث الصحيحة بالفرقة الناجحة تارة والطائفة المنصورة تارة والغرباء الذين يصلحون اذا فسد الناس تارة والنزع من القبائل تارة . لم يكونوا ظاهرين حسياً أو بالأحرى سياسياً وعسكرياً في زمان ومكان وإن كانوا قد يظهرون أحياناً حسياً ومادياً كما أنهم ظاهرون بالحجة والسلطان في كل زمان وقد يكون ظهورهم في بلد دون آخر وزمن دون آخر كما تحقق ذلك في الجزيرة العربية في عهد الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود وأنجالهما رحمهم الله ثم اختفى قليلاً بسبب حملة إبراهيم باشا المعادية لدعوة التوحيد ثم عاد إلى الظهور في عهد الأمير فيصل بن تركي ثم اختفى بعد ذلك ثم عاد إلى الظهور بصورة أقوى وأعم وأوضح في عهد الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن الفيصل رحمه الله رحمة الأبرار الأخيار فقد نشر التوحيد والعقيدة السلفية في عهده وقضى على المعابد الوثنية ومحى آثارها ومنع البدع المخالفة للشرع الحنيف وأبدلها بالسنة ونشر العلم الشرعي وأعان عليه ونصر حملته ثم سار أنجاله الغر الميامين على نفس الطريقة التي رسمها لهم رحمه الله ورحم من قد وافى أجله من أولاده وحفظ من بقي منهم من كل سوء ومكروه ووفقهم لكل خير ، فالمدارس في هذه البلاد يدرس فيها التوحيد من السنة

إلى الطائفة المنصورة إلا بعين الحقارة ويسميها الحشوية . أهـ بواسطة كتاب أهل الحديث هم الطائفة المنصورة للشيخ ربيع المدخلي صـ٩٩/١٠٠/١٠١ .

وقد تبين من هذا أن الفرقة الناجية والطائفة المنصورة والغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس والنزع من القبائل هم أهل الحديث وهم حملة السنن المقتفون للآثار العاملون بها الذابون عنها المجاهدون في سبيل تعلمها ونشرها ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً وقولاً وفعلاً ومن تبعهم على عقيدتهم وسلك سبيلهم في العقيدة والعمل فهو منهم وسبيله سبيلهم وإن كان دونهم في الرتبة فكن منهم يا عبدالله تنجوا وتسعد وتنال في الجنة أحسن مقعد ﴿ إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ .

١) سورة الأنعام آية ٨٣ .

الأولى الإبتدائية إلى آخر سنة في الجامعة بطريقة التدرج الصعودي والمذهب السلفي سائد والبدع محاربة والحمد لله ، وإن كان هناك مظاهر سيئة أوجدها الترف إلا أنها محاربة والحمد لله والدولة تعين على إزالة كل مظهر سيئ يخالف الشرع وفقها الله ونصر بها الإسلام ونصرها به ولست أريد بهذا إلا التمثيل أن العقيدة السلفية قد تكون أحياناً منصورة حسياً إلى جانب أنها منصورة دائماً وأبداً بالحجة والسلطان ولكن ذلك يكون في مكان دون مكان وزمان دون زمان والأكثر دائماً أن تكون السلطة والقوة المادية في الجانب المعادي لهم ولو حملنا الحديث على الظهور الحسي المادي لكان خبر الشارع المعصوم والذي لاينطق عن الهوى قد تخلف وماكان لخبر الرسول ﷺ أن يتخلف أبداً لأنه وحي من الله الذي علم كل شيء.

لذلك فإن حمله على الظهور بالحجة والسلطان هو المتعين كما ظهر إبراهيم عليه السلام على قومه بالحجة التي أضافها الله عزوجل الى نفسه تعالى لأنه هو الذي علمها نبيه وخليله ولذا فإنا نجد أن اتباع الرسل وحملة العقيدة السلفية من العلماء تكون الغلبة لهم على أعداء الحق في كل زمان ومكان ولذلك فإن أعداء الحق يلجئون اذا غلبوا إلى القوة المادية ليستعملوها ضد أهل الحق كما قال فرعون لعنه الله لموسى عليه السلام حين غلبه بالحجة لإن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين ، وكما حصل لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حين كانت تعقد مجالس المناظرة بينه وبين علماء عصره الذين كانوا على العقيدة الأشعرية فيخرج منتصراً في كل مجلس فلم يجدوا شيئاً يتشفون به إلا كونهم يحملون الدوله على سجنه خوفاً من أن يضل الناس فيما زعموا ولم يفعلوا ذلك إلا حين غلبوا بالحجة مع أنه واحد وهم كثيرون ولهم مناصب في دولة ذلك الزمن تمكنهم من أن يقولوا فيسمع لقولهم فمن ينظر إلى الحاله الحسية يقول أنهم هم الذين انتصروا عليه وظهروا عليه لكونه كان مسجوناً وهم متبوأون للمناصب العالية ومن نظر الى الحقيقة يجد أنه هو الذي انتصر عليهم وظهر عليهم بالحجة وهو الطائفة وإن كان واحداً كما كان إبراهيم عليه السلام أمة وحدة. وبالله التوفيق .

الخاتمة

وقد تبين مما سبق أن هذه المناهج التي كتبت عنها وهما منهج الاخوان الملسمون ومنهج التبليغ قد ترك أصحابها أعظم أصل في الإسلام وأعظم أساس فيه ألا وهو التوحيد الذي دعت إليه جميع الرسل من أولهم نوح إلى آخرهم محمد ﷺ بشهادة القرآن الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حيث يقول الله جل وعلا ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾ (١) .

وقد أخبر الله عزوجل عن كل رسول أنه يقول لقومه ﴿**يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره**﴾ .

وقد ترك هؤلاء هذا الأصل الأصيل الذي بدأت به الرسل واستهانوا بضده وهو الشرك الأكبر ففعلوه أو فعل أمامهم فأقروه وشجعوا على فعله بالسكوت عمن فعله والتغاضي عنه حتى ظن الجهال أن عبادة القبور ودعوة اصحابها عند الشدائد هو الدين فدعي الأموات وطلب منهم قضاء الحوائج وكشف الشدائد وتفريج الكروب من غير نكير بل وقع الشرك الأكبر من قادتهم كما قد تقدم .

ثانياً : أن القادة والمؤسسين في هذه المناهج شرعوا لأتباعهم قوانين في الدعوة لم يشرعها الله ولا رسوله فأوجبوا ماليس بواجب بمحض الشرع وتركوا بعض الفرائض المهمة والواجبات المؤكدة فاعتنى أتباعهم بما حضوهم عليه من السنن وكان له عندهم الأولوية وتركوا مالم يحضوهم عليه من الأصول والأسس في الدين .

ثالثاً : وترتب على ذلك أن قدم أتباعهم المؤخر وأخروا المقدم فإن سمعوا داعياً يحض على التوحيد ويبين منزلته من الدين وأنه هو الأساس الأعظم فيه ويبين خطر الشرك وفضاعته وفحشه سخروا منه وحقروه وزعموا أنه صاحب عقل بدائي لأنه يوجه نقده إلى الشرك البدائي أو يترك الشرك السياسي والخمر والعهر والإباحية السائدة .

قلنا أما النهي عن الخمر والعهر والإباحية وتحريمها وبيان مضارها فما أحسنه إن بنى على التوحيد وكان بعد بيان مضار الشرك بالله المخلد في النار وأما الشرك السياسي فنقول

أ - أن الدعوة إلى عبادة الله وحده لاشريك له شاملة للدعوة إلى ترك الشرك

---

١) سورة النحل آية ٣٦ .

السياسي وشرك العبادة .

ب - وأن الله قد أرسل رسلاً إلى قومهم ولم يأمر أحداً منهم أن ينهى عن الشرك السياسي ويترك شرك العبادة بل أمرهم أن يدعوا أممهم إلى عبادة الله وحده وترك ما كانوا يعبدون من الآلهة .

ج - أنه ما من قوم بعث فيهم رسول إلا ولهم كهان يتحاكمون إليهم ولهم رؤساء يحكمون بغير ما أنزل الله فلم يأمرهم أن يخصصوا دعوتهم لهؤلاء دون أولئك .

د - أما تسمية شرك القبور شركاً بدائياً فهي مكيدة شيطانية يريد الشيطان أن يلهي بها من يتسمون بالدعاة عن الشرك الأكبر الذي اكتسح العالم الإسلامي أجمع وعم جميع البلدان إلا ماشاء الله .

رابعاً : بل تجاوزوا ذلك إلى بعض من دعا الى التوحيد وحذر من الشرك وبين خطره والإشمئزاز منه وإسكاته أو التنفير عنه زاعمين أن ذلك ليس من الحكمة وكأن شيوخهم الذين سنوا لهم ذلك أعرف بالحكمة من الله ورسوله ﷺ .

خامساً : تجاوزوا ذلك إلى نفي الإسلام عن الموحدين والحكم بالإسلام للمشركين الوثنيين ولا أدل على ذلك من قول جابر رزق في مقابلة له نشرت في مجلة الإعتصام عام ١٤٠١ هـ صـ٢٧ عدد محرم ...... وقد نسي صدام حسين أنه سيقاتل شعباً تعداده أربعة أضعاف الشعب العراقي وهذا الشعب هو الشعب المسلم الوحيد الذي استطاع أن يتمرد على الإمبريالية الصليبية واليهودية .

وقول التنظيم الدولي للإخوان ولو كان الأمر يخص إيران وحدها لقبلت حلاً وسطاً بعد أن تبينت ما حولها ولكنه الإسلام وشعوبه في كل مكان وقد أصبحت أمانة في عنق الحكم الإسلامي الوحيد في العالم الذي فرض نفسه بدماء شعبه في القرن العشرين لتثبيت حكم الله فوق حكم الحكام وفوق حكم الإستعمار والصهيونية العالمية ٤٦م .

فالقارئ يرى أن الإخوان قد قرروا بكتابهم الذين هم ألسنتهم الناطقة وتنظيمهم ان الشعب الايراني هو الشعب المسلم الوحيد متجاهلين جميع المسلمين في الأرض وعلى رأسهم الدولة السعودية التي قامت من أول يومها على التوحيد وما زالت عليه فهي التي يدرس فيها التوحيد في مدارسها ومعاهدها وجامعاتها وليس فيها أضرحة ولا قبور يرتادها الجهال وشعبها كله شعب مسلم والحمد لله علماً بأن سائر الشعوب الإسلامية ما من شعب وإن كان قادته يحكمون بالقانون وعامته يعبدون القبور إلا وفيه مسلمون حقاً يوحدون الله ويحكمون شرعه

في أنفسهم ومن تحت أيديهم على حسب الاستطاعة فنفي الإسلام عن جميع المسلمين والحكم به لإيران وحدها مع مافي مذهبها من البعد عن الإسلام جهل من أقبح الجهل وظلم من أعظم الظلم . .

سادساً : ضعف الولاء والبراء في المنهجين وقد سبق الإستدلال على ذلك .

سابعاً : أن المؤسسين في المنهجين قد تربوا في أحضان الصوفية وإن كان مؤسس التبليغ أعظم إيغالاً في الصوفية وتأثراً بها .

ثامناً : اتخاذهم لهؤلاء المؤسسين مشرعين يتحاكمون إلى أقوالهم ويترسمونها ويأمونها ويتخذونها نبراساً يعودون إليها عند التشاجر فيقولون قال الإمام كذا في كتاب كذا .

تاسعاً : سنوا لهم بدعاً فأخذوها ورسموا لهم خطة فاتبعوها وزعموا أنها هي الضمان للمصلحة دون غيرها .

عاشراً : سنوا لهم البيعة فأخذوا بها وإن كان في ذلك مخالفة لهدي النبي ﷺ وأصحابه وعلماء السلف من ذلك الزمن إلى زمننا هذا لانعلم أن داعيه قد قام بدعوة الى الله فأخذ البيعة من الناس عليها إلا إذا كان يريد بدعوته ملكاً .

الحادية عشر : أنهم سنوا لهم الإمارة في الحضر فأخذوا بها وإن كانت مخالفة لهدي المصطفى ﷺ وأصحابه ومن سار على هديه من سلف الأمة وإلى يومنا هذا وغرروا بهذا على الأحداث وأعطوهم مناصب وهمية فظنوا أنهم قد حازوا من العلم ما يكفي فكانوا مثل عتاب بن أسيد ومحمد بن القاسم رحمهم الله .

الثانية عشرة : سنوا لهم الخروج للدعوة فيما زعموا وإن اختلفت صفته من منهج الى منهج وما عرفنا عن السلف أنهم كانوا يخرجون إلا للغزو وما كانوا يجلسون لإلقاء الدروس وتعليم القرآن والسنن وتعلمها إلا في المساجد .

الثالثة عشرة : سنوا لهم التقيه زاعمين في ذلك أنهم يتأسون بالنبي ﷺ في دعوته السرية والجواب أن الدعوة السرية قد نسخت بقوله تعالى ﴿**فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين**﴾ (١) .

الرابعة عشرة : أن كلا من المنهجين قد حصر الإسلام في الأصول التي ألزم بها أتباعه فالمنهج الإخواني مثلا حصر الإسلام في الأصول العشرين أو جعل لها مزية على غيرها .

والمنهج التبليغي قد ألزم اتباعه بالأصول الستة أو جعل لها العناية دون

---

١) سورة الحجر آية ٩٤ .

غيرها وهذا ما أنزل الله به من سلطان .

الخامسة عشرة : أن كلا من المنهجين يعنون بالفضائل ويزهَدون ويَزهَدون في العقائد وتعلمها وتعلم السنة ويفضلون العبادة والدعوة وإن كانت على جهل على الفقه في الدين سواء كان هو الفقه العقائدي المبني على الكتاب والسنة أو الفقه الفروعي المأخوذ منهما فكم غروا من جهال وأطفال عن أنفسهم وعن طلب العلم الذي ينفع بما أعطوهم من إمارة ورتب وهمية لكي يقودوا جهالاً مثلهم إلى الدينونة بذلك المنهج الخاطئ ويغروهم كما غرُّوا ويظن الجميع بأنفسهم أنهم علماء ويكونون كلهم ضحية لتلك المناهج الخاطئة .

وفيما ذكر كفاية يستدل بها على ما وراءه .

وأخيراً فإني أدعو القراء الكرام ممن انخدعوا بتلك المناهج المبتدعة سواء كانوا من إخواننا طلاب العلم في المملكة الذين درسوا التوحيد منذ نعومة أظفارهم الى آخر سنة في الجامعة أو من غيرهم أدعوهم الى قراءة الملاحظات التي حواها هذا الكتاب ولاحظها عليهم أهل العلم وما كان لي فيها إلا مزية الجمع والترتيب فقط .

أدعوهم الى قراءتها متجردين عن الحزبية والعصبية وأن ينظروا إليها بعين الحق والعدل لابعين البغض لكاتبها لكونه نقد الحزب الذي ينتمي إليه هذا القارئ فلعل الناقد كان مشفقاً عليكم وعلى أمثالكم أن تعيشوا وتموتوا على باطل .

وليعلموا أنه لاينفع عند الله ولا ينجي من عذابه إلا متابعة نبي الهدى الذي أرسله الله رحمة للعالمين وحجة على الكافرين والمعاندين محمد بن عبدالله الأمين صلوات ربي وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين .

وأن كل خلة وقرابة وصداقة وصلة منقطعة يوم القيامة وذاهبة وغير مفيده إلا ما قدمه العبد من عمل مطيعاً فيه لله مُتبعاً لرسول الله ﷺ وأن كل قريب وصديق وخليل سيتخلى عنك في ذلك الموقف العصيب قال تعالى ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لايجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله**

الغرور﴾ (١) .

وقال تعالى **﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ماعملت﴾** (٢) .

إقرأوا هذه الملاحظات لتكونوا على بينة من أمركم ولا يغركم من يقول إن هذا تجن على هذه المناهج ومبالغة في النقد بدون حق راجعوا الفقرات المنقوده في الكتب التي أخذت منها إن شككتم واسألوا الله أن يهديكم الى الحق ويثبتكم عليه فهو لايرد من طرق بابه صادقاً .

اللهم إن هذا جهد مقل فتقبله مني فأنت تعلم أني دافعت به عن التوحيد والسنة التي هي عقيدة السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة المهتدين وانفعني به في يوم الفاقة والحاجة يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

اللهم ماكان فيه من حق وصواب فهو منك لأنه تم بعونك وتوفيقك وتسديدك وما كان فيه من خطإ وباطل فهو مني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان من ذلك .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكان الإنتهاء من هذا السفر المبارك في يوم الخميس ١٤١٤/٩/١٤هـ .
حرر ما فيه أحمد بن يحيى النجمي

---

١) سورة لقمان آية ٣٣ .
٢) سورة النحل آيـة ١١١ .

فهرس كتاب المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال

الموضوع